الشيخ محمد اليعقوبي

ثلاثة يشكون

القرآن - المسجد - الإمام

شكوى القرآن

شكوى المسجد

شكوى الإمام

دار الكاتب العربي



ثلاثة يشكون

القرآن - المسجد - الامام

ثلاثة يشكون

القرآن - المسجد - الامام

شكوى القرآن

شكوى المسجد

شكوى الإمام

الشيخ محمد اليعقوبي

مؤسسة البديل للدراسات والنشر

دار المتقين للثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الأول

شكوى القرآن

سلسلة محاضرات ألقيت بمناسبة حلول العام الدراسي الجديد على طلبة الحوزة العلمية الشريفة في النجف الأشرف وقد بدأت بتاريخ ١٩ محرم ١٤٢٢

الشيخ محمد اليعقوبي

عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله قال: **(يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: يا ربّ حرّفوني ومزّقوني، ويقول المسجد: يا رب عطّلوني وضيّعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشرّدونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي: انا أولى بذلك منك)**

(وسائل الشيعه، كتاب الصلاة، المجلد الثالث، ابواب أحكام المساجد، الباب٥، الحديث٢)

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: **(ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل: مسجد خراب لا يُصلي فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لا يُقرأ فيه)**

(الكافي، كتاب فضل القرآن، باب قراءة القرآن في الصحف ج٣، الخصال للصدوق، ابواب الثلاثة ١٤٢/١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

صدق الله العلي العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على رسوله والأئمة الميامين من آله وسلم تسليماً كثيرا.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي، يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾(١).

(١) طه: ٢٥ – ٢٨.

الافتتاح

اعتاد الناس افتتاح الندوات والمؤتمرات واللقاءات وبرامج الاذاعة والتلفزيون بتلاوة آيات من الذكر الحكيم تبركاً بها وتعظيماً لها وقد جرى على ذلك حتى غير المسلمين مما يدلُّ على هيبة هذا الكتاب الكريم حتى في قلوب اعدائه فما أحرانا نحن طلبة الحوزة الشريفة ان نفتتح دروسنا بالقرآن الكريم وينبغي ان يكون افتتاحاً واعياً متفاعلاً مع روح القرآن ومضامينه ومعانيه وليس افتتاحاً شكلياً وكأنه مجرد نشيد وترنيمه أو عوذة وتميمة.

شكوى القرآن

وقد اخترت ان أبدأ من الحديث الشريف المروي في الكافي والخصال(١) عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يُصلي فيه أهله وعالم بين جهّال ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لا يُقرأ فيه) واوضح مصاديق العالم هم أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً الإمام الفعلي القائم بالأمر (ارواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة يقول المصحف يا ربّ حرّفوني ومزّقوني، ويقول المسجد: يا رب عطّلوني وضيعّوني وتقول العترة يا رب قتلونا وطردونا وشردّونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي: انا أولى بذلك منك)(٢).

ونستفيد من هذا الحديث اكثر من امر:

الأول: ان اسس بناء الأمة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الاركان الثلاثة لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا يكون بمعنى حديث الثقلين المشهور (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما ان تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبداً وقد نبأني اللطيف الخبير

(١) الكافي: كتاب فضل القرآن، باب قراءة القرآن في المصحف، ح٣. الخصال: ١: ١٤٢ أبواب الثلاثة.
(٢) الوسائل: كتاب الصلاة، مج٣ ابواب احكام المساجد ب٥ ح٢.

انهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة)(١) والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة اما الثالث وهو المسجد فهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في اجوائه المقدسة بالأمة.

الثاني: الإشعار بأن الأمة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلّفها وراء ظهورها لذلك أخبرصلى الله عليه وآله عن الشكوى كحقيقة واقعة وهوصلى الله عليه وآله يحذر الأمة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كان الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل، وما دامت هذه الثلاثة هي اسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفنائه لذا كان لزاماً علينا ان نفرد كل واحد منها ببحث خاص لبيان اثره في حياة الأمة وعظيم خسارتها بالاعراض عنه وأساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين وارى من واجبي ان انصب نفسي (مدعياً عاماً) كما يعبرون اليوم لارفع هذه الشكاوى الثلاث وابدأ برفع شكوى ثقل الله الاكبر: القرآن الكريم وهو الحبل الممدود من الله تبارك وتعالى إلى عباده هذه الشكوى التي يرفعها رسول اللهصلى الله عليه وآله يوم القيامة﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُورًا**﴾(٢) وحذّر المسلمين من هذا الخطر حين عرض عليهم سبب انحراف الامم السابقة وهو ترك ما انزل الله اليهم قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾(٣) فمن تمسك به فقد سلك الطريق الموصل إلى الله ومن أعرض عنه هلك وهوى.

---

(١) راجع في مصادره من كتب العامة كتاب المراجعات للسيد شرف الدين.

(٢) الفرقان: ٣٠.

(٣) المائدة: ٦٨.

ومنشأ هذه الشكوى اعراض مجتمعنا المسلم حتى الملتزمين(١) منهم عن تلاوة القرآن والاهتمام به وتدبر آياته فضلاً عن اعطائه دور الريادة والامامة في الحياة ليكون هو النبراس والدليل الذي يهتدي به المهتدون في جميع تفاصيل الحياة حتى عاد منسياً عندهم ولا يذكرونه الا قليلاً في شهر رمضان المبارك ونحن نحث على زيادة الاهتمام بالقرآن في هذا الشهر المبارك للعلاقة الحميمة بينهما حتى ورد في الحديث (ان لكل شيء ربيعاً وربيع القرآن شهر رمضان) لكن هذا لا يعني اهماله أو قلّة التعرض له في غيره من الشهور.

البعد عن القرآن سبب انحطاط المسلمين

ان اختيار الحديث عن هذه الشكوى لم يأتِ اعتباطاً وليس هو من الترف الفكر ي بل هو ناشئ عن بصيرة نافذة ونظر ثاقب في تحليل واقع المسلمين وما تردّت اليه اوضاعهم حتى صاروا يهدون مقتلهم على طبق من ذهب إلى اعدائهم الذين هم ابليس والنفس الامارة بالسوء وصنيعتهما الغرب الكافر الذي جهد على ان يفصل بين المسلمين وعنوان عزهم وشرفهم

(١) استقرأت عدداً من العينات العشوائية وكانوا من الطلبة المتقدّمين للقبول في الحوزة الشريفة لاستبيان علاقتهم بالقرآن والمفروض انهم يمثلون درجة من الوعي والايمان الذي دفعهم لاختيار هذا المسلك فوجدت ان بعضهم لم يختم القرآن ولا مرة وآخر - وهو متصدي للمنبر- ختمه مرتين في حياته والكثير منهم يقرأ سوراً متفرقة في المناسبات والمواسم الدينية هذا على صعيد تلاوته اما فهمه واستيعاب معانيه والتأمل في مفاهيمه ومضامينه فالجهل هنا مطبق.

وكرامتهم وهو القرآن وها هو غريب بينهم لذا ثارت في قلبي شجون.

ان سبب انحطاط الأمة وما آلت اليه من ضعف وانحلال هو اعراضها وعدم تمسكها بحبل الله تبارك وتعالى الذي أمرهم بالاعتصام به فقال عز من قائل: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا**﴾(١) وقد بين رسول الله ﷺ هذا الحبل فقال ﷺ (واني تارك مخلف فيكم الثقلين: الثقل الأكبر القرآن والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي هما حبل الله ممدود بينكم وبين الله عز وجل ما ان تمسكتم به لم تضلوا، سبب منه بيد الله وسبب بايديكم الحديث)(٢)

ما تمسك بالقرآن من اعرض عن العترة الطاهرة

ولكن الأمة تركت كتاب الله وابتعدت عنه منذ ان اقصت العترة الطاهرة عن مكانها الذي اختارهم الله سبحانه له لعدم امكان الفصل بينهما معرضين عن قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾(٣) ومن خطل القول وتسويلات الشيطان ونزغات النفس الامارة بالسوء ان يقول قائل(حسبنا كتاب الله) التي لا يزال يكررّها وينفثها الشيطان على لسان من يريد ان يقوّض بناء الاسلام من اسسه بما فيها القرآن الذي يدعي انه حسبه لانه

(١) آل عمران: ١٠٣.
(٢) البحار: ٩٢ / ١٠٢.
(٣) القصص: ٦٨.

يعلم ان القرآن انما يكتسب فاعليته ويؤدي دوره بالقائم به الواعي لاحكامه ومفاهيمه وهم العترة وهذه الفتنة الفصل بين القرآن والناطق به قديمة وممن ابتلى بها امير المؤمنين حينما أجبر على التحكيم وعلى ان يجعل القرآن حكماً قال عليه السلام: (هذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لا ينطق بلسان ولا بد له من ترجمان وإنما ينطق عنه الرجال)(١) فالكتاب والعترة صنوان لا يفترقان ولا يمكن التمسك باحدهما دون الآخر فان أهل البيت عليهم السلام هم باب الله الذي لا يؤتى الا منه وقد امرنا بأتيان البيوت من ابوابها.

فما يزعمه غيرنا من اهتمامه بالقرآن أكثر منا باطل جزماً، نعم، اهتموا بمخارج حروفه وتحسين الصوت إلى حد الغناء بقرائته وضبط قواعد التجويد التي وضعوها هم وبعضها مخالف للحكم الشرعي وهذه كلها اهتمامات قشرية والمهم هو استيعاب المحتوى والمضمون والعمل به فان اللفظ هو قشر والمعنى هو اللب والمتكلم لا يلحظ اللفظ بنفسه بل يتخذه وعاءاً للمعنى وآلة لايصاله إلى المخاطب والمعنى هو المراد الحقيقي للمتكلم، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم المتشدقين بالفاظ القرآن وحروفه المضيعين لمعاني القرآن وحدوده ففي الحديث المشهور (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) وهو خصمه لانه غير عامل بما فيه وفي حديث عن ابي جعفر عليه السلام قال: (قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدرَّ به الملوك واستطال به على الناس فذاك من أهل النار، ورجلٌ قرأ

(١) نهج البلاغة: ج١ الخطبة ١٢٥.

القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده فذاك من أهل النار، ورجلٌ قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله وأضمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه فباولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء، وباولئك يديل الله من الاعداء أي ينصرهم على الاعداء وباولئك ينزل الله الغيث من السماء فوالله هؤلاء قراء القرآن اعزّ من الكبريت الأحمر)(١) وفي حديث عن الإمام الحسن عليه السلام (وإن احق الناس بالقرآن من عمل به وإن لم يحفظه وابعدهم منه من لم يعمل به وإن كان يقرأه)(٢).

فيبدوا من هذا ان خطّة الفصل بين الكتاب والعترة وبالتالي تفريغ الكتاب من محتواه ومضمونه والتشجيع على الاهتمام بالفاظه فقط قديمة نبّه اليها المعصومون عليهم السلام فأي اهتمام بالقرآن وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ**﴾(٣) ثم يعرضون عمن اختارهم الله تبارك وتعالى ويقدمّون غيرهم وقد جعل الله تعالى هذا الأمر كله في كفةٍ ورسالة الاسلام كلها في كفةٍ أخرى ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾(٤) وأي اتباع للقرآن الذي يقول برفيع صوته ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(٥) وهم ينصبون العداء لأهل بيت النبوة ويتتبعونهم تحت كل حجر ومدر

---

(١) الخصال للصدوق: ابواب الثلاثة،ص ١٤٢.

(٢) ارشاد القلوب للديلمي: ٧٩.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) المائدة: ٦٧.

(٥) الشورى: ٢٣.

ولو كان لهم ادنى فهم لكتاب الله لضمّوا هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴾(١) ليحصلوا على حقيقة ان اهل البيت هم السبيل الذي امر الله تعالى باتباعه بقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢) وبه فسر الامام الباقر عليه السلام الآية فقال عليه السلام: (نحن السبيل فمن ابى فهذه السبل فقد كفر)(٣) ولا أقول ان كلمة (حسبنا كتاب الله) والابواق التابعة لها التي ترددها إلى الآن وتطلب الدليل من القرآن فقط على أي شيء يقال لهم هي كلمة حق يراد بها باطل بل هي كلمة باطل يراد بها باطل وهؤلاء انما يريدون بذلك هدم اسس الاسلام لان الاكتفاء بالقرآن - كما يزعمون - يعني استغناءهم حتى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يعني الجهل بكل تفصيلات الشريعة فان رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من آله هم القائمون على أمر الكتاب والمبيّنون لاحكامه وهذه العلوم كلها بين يديك هل تستطيع ان تكون طبيباً أو مهندساً من دون اخذه على يد المتخصصين العارفين باسراره وفك رموزه فكيف بالقرآن الذي هو ﴿تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾(٤) و﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(٥) وفيه صلاح البشرية جميعاً ولكل الأزمنة ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٦) وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذا الخطر بقوله: (لا

---

(١) الفرقان: ٥٧.
(٢) الانعام: ١٥٣.
(٣) الميزان: ٧ / ٣٨٥.
(٤) النحل: ٨٩.
(٥) الانعام: ٣٨.
(٦) الصافات: ١٥٤.

ألقيَّن أحدكم متكئاً على اريكته يأتيه الأمر من أمري مما أمرتُ به أو نهيتُ عنه فيقول: لا ندري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه)(١).

ولكن اعداء الله سبحانه واتباع الشيطان علموا ان القرآن هو حصن هذه الأمة الحامي لها من الزيغ والانحراف وان أهل البيت عليهم السلام هم القيمون عليه فخطّطوا لإبعادهم فبقيت الأمة بلا راعٍ والحصن بلا حامٍ، واصبحت فريسة سهلة بيد الأعداء والمتربصين بها السوء وها أنت تراها تتزعزع لابسط شبهة وتسقط في أول فتنة وتنهار بأول اختبار ﴿وهذه أعظم ثلمة انثلم بها علم القرآن وطريق التفكر والتفكير الذي يندب اليه ومن الشواهد على هذا الأعراض قلة الأحاديث المنقولة عنهم عليهم السلام فانك اذا تاملت ما عليه علم الحديث في عهد الخلفاء من المكانة والكرامة وما كان عليه الناس من الولع والحرص الشديد على أخذه ثم احصيت ما نقل في ذلك عن علي والحسن والحسين وخاصة ما نقل من ذلك في تفسير القرآن لرأيت عجباً: اما الصحابة فلم ينقلوا عن علي عليه السلام شيئاً يذكر واما التابعون فلا يبلغ ما نقلوه عنه عليه السلام ان احصي مئة رواية في تمام القرآن واما الحسن عليه السلام فلعل المنقول عنه لا يبلغ عشراً واما الحسين عليه السلام فلم ينقل عنه شيء يذكر، وقد انهى بعضهم الروايات الواردة في التفسير إلى سبعة عشر الف (ذكره السيوطي في الاتقان) حديث من طريق الجمهور وحده وهذه النسبة موجودة في روايات الفقة أيضاً)(٢).

---

(١) الميزان: ٣ / ١٦٤.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٥ / ٢٧٤ — ٢٧٥.

فماذا كانت خسارة القرآن بابعاد أهل البيت عليهم السلام عن ممارسة دورهم الذي اختارهم الله تبارك وتعالى له:

١ ـ غياب الكثير من العلوم الحقيقية التي لا يفهمها من الكتاب الا هم عليهم السلام.

٢ ـ تراجع القرآن عن ممارسة دوره في اصلاح النفس والمجتمع لانه والعترة صنوان لا يفترقان ولا يستطيع ان يكون فاعلاً في حياة الامة الا بايديهم.

٣ـ وقوع القرآن فريسة لايدي المتلاعبين واصحاب الاهواء والاغراض الشخصية بل والاعداء أيضاً فترى كلاً منهم يجد دليلاً على معتقده في كتاب الله حتى الخوارج كانوا يستدلون بالقرآن كما حصل بعد التحكيم بينهم وبين ابن عباس فنهاه علي عليه السلام عن الاحتجاج بالقرآن لانه (حمّال ذو وجوه) وراحت معانيه الحقيقة ضحية التأويلات التي حذر القرآن من اتباعها ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ لكن الجواب واضح واعطاه القرآن مقدمّاً: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾(١) واوضح مصاديق الراسخين في العلم هم أهل البيت عليهم السلام.

٤- تشتت الامة وضياعها وتمزقها لان عصمتها ومحور تجمعها القرآن

(١) آل عمران: ٧.

وأهل البيت بحسب تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله لقوله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا**﴾(١) فقال صلى الله عليه وآله: انهم الكتاب والعترة، وقد عبرت الزهراء عليها السلام عن هذه العصمة في خطبتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿وجعل امامتنا نظاماً للملة﴾ أي بها تنتظم امورهم وتستقر، فكانت نتيجة ابتعادهم عن أهل البيت فناءهم بيد المتسلطين وعبدة الاهواء الذين استغلوا نفس هذا القرآن ليهلكوا الحرث والنسل وكان من (وعاظ السلاطين) والسائرين في ركابهم من يبرر لهم هذه الافعال المنكرة كقوله تعالى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾(٢) فجعلوا اولئك الكفرة الفسقة اولياءً لامور المسلمين.

الوصية بحفظ القرآن

فلا تغرنكم دعوى هؤلاء بانهم ملتزمون بالقرآن أكثر منّا(٣) واحفظوا القرآن لانه أهل للحفظ والعمل به وكونوا كما أوصاكم أمير المؤمنين عليه السلام قبيل استشهاده (الله الله بالقرآن لا يسبقنكم إلى العمل به غيركم) وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لامير المؤمنين في العمل باربعين حديثاً قال صلى الله عليه وآله: (وان تكثر من قراءة القرآن وتعمل بما فيه)(٤).

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) وقد أكدّت على هذه النقطة لانخداع كثير من السذج بهذه الدعوى وراحوا يصدقونهم بعدم الايمان بشيء الا اذا وجد دليل عليه من القرآن وإسقاط الاستدلال بالسنّة من الحساب.

(٤) كتاب الخصال: ابواب الاربعين، حديث ١٩.

القرآن طريق الوصول إلى المعرفة بالله تبارك وتعالى

فمن اراد الله سبحانه وطلب الوصول اليه لان أول الدين معرفته تبارك وتعالى فعليه بالقرآن فقد (تجلى الله تعالى في كتابه لخلقه ولكن لا يبصرون) - كما هو مروي عن امير المؤمنين عليه السلام - ومن اراد اصلاح نفسه وتهذيبها وتخليصها من امراضها فعليه بالقرآن ومن اراد اصلاح مجتمعه وإقامة أمره على السلام والسعادة والطمأنينة فعليه بالقرآن فانه الدليل لكل هدى والمرشد لكل خير وصلاح، ومن العجب انك حين يعطل جهاز تذهب إلى الجهة المصنّعة له لكي تصلحه فان صانع الشيء خبير به، واذا مرضت - لا سامح الله - فتذهب إلى الطبيب المختص لكي يعالج المرض، ثم عندما تريد ان تصلح النفس الانسانية ذات الاسرار الغامضة الخافية عن صاحبها فضلاً عن غيره أو ان تضع نظاماً يكفل للبشرية سعادتها واصلاحها تلتمس العلاج عند نفس البشر الناقصين العاجزين القاصرين ولا تذهب إلى صانع هذا الانسان وخالقه ومصوّره والعارف بالنفس البشرية ودروبها.

وقد صدّقت ذلك أي فاعلية القرآن في اصلاح النفس والمجتمع التجربة العظيمة لرسول الله صلى الله عليه وآله فان مقارنة بسيطة بين مجتمع ما قبل الاسلام وما بعده والنقلة الضخمة التي حصلت للأمة من أناس همج جهلة متشتتين قد تفشت بينهم الرذائل يتفاخرون بالمنكرات والقبائح إلى أمة متحضرة كريمة الاخلاق ذات نظام لم ولن تعرف البشرية البعيدة عن الله سبحانه مثله وبفترة قصيرة وكل ذلك ببركة هذا الكتاب الكريم وحامله العظيم.

حاجتنا إلى اعادة القرآن إلى الحياة

فنحن اذن بحاجة إلى اعادة فاعلية القرآن في حياة المسلمين واخراجه من عزلته بحيث اقتصر وجوده على المآتم التي تعقد للموتى والعوذ والاحراز.

وقد ورد في بعض الكلمات (إن آخر هذه الأمة لا ينصلح الا بما صلح به اولها) وقد صلح أولها بالقرآن فاذا ارادت الأمة ان تستعيد عافيتها وتعود إلى رشدها فعليها بالقرآن، عن المقداد. عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال في حديث (فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفع وماحل مصدّق ومن جعله امامه قاده إلى الجنة ومن جعله خلفه ساقه إلى النار وهو الدليل يدل على خير سبيل)(١) وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه(واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغشّ والهادي الذي لا يُضِل، والمحدّث الذي لا يكذب، وما جالس هذا القرآن أحدٌ الا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى ونقصان من عمى، واعلموا انه ليس على أحدٍ بعد القرآن من فاقة ولا لاحدٍ قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأواءكم فان فيه شفاءاً من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال فاسالوا به وتوجهوا اليه بحبَه ولا تسألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله، واعلموا انه شافع مشفع وقائلٌ ومصدق وانه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ومن محل

(١) اصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب ١ حديث٣.

به القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادي منادٍ يوم القيامة (الا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن) فكونوا من حرثته واتباعه واستدلّوه على ربكم واستنصحوه على انفسكم واتهموا عليه اراءكم واستغشوا فيه اهواءكم)(١).

اهتمام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأهل بيته بالقرآن

ولقد بلغ اهتمام اهل البيت عليهم السلام بالقرآن اقصاه حتى قال الإمام السجاد عليه السلام (لو مات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي)(٢).

لقد أُمِرَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بتلاوة القرآن ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا**﴾(٣) وأمره تبارك وتعالى بالاستعداد لتحمله بالالتزام بنافلة الليل ﴿**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلا، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا**﴾(٤) ولم يكتف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بتلاوته بل كان يطلب من عبد الله بن مسعود ان يقرأ القرآن عليه فيعتذر اليه ويقول له: إنه نزل عليك يا رسول الله وتريد ان تسمعه مني، فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه أحبّ ان اسمعه منك فيقرأ عبد الله وعينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه تفيض

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبده: ج١ ص٣٤٧ من خطبة اولها: (انتفعوا ببيان الله واتعظوا بمواعظ الله).
(٢) اصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب١، ح١٣.
(٣) المزمل: ٤.
(٤) المزمل: ٥ – ٦.

من الدمع. يريد بذلك ان يمتّع جميع جوارحه بالقرآن عينه واذنه وقلبه ولسانه وهو يعلم ان لكل جارحة طريقتها في اكتساب المعرفة فاراد وهو أكمل الخلق ان تتكامل لديه كل اسبابها وقد ورد حديث معناه ان من فقد حساً أي احدى حواسه الخمس فقد فَقَد علماً، فيريد ان يستفيد من معارف القرآن عن طريق جميع جوارحه لذا ورد استحباب ان يقرأ القرآن بصوت مسموع. هذا غير ما ورد في فضل وثواب الانصات إلى القرآن والنظر في المصحف وان كان يحفظ ما يقرأ حتى لو كان في الصلاة مما سيأتي إن شاء الله تعالى في مجموعة الاحاديث الشريفة.

وكان صلى الله عليه وآله يتفاعل مع القرآن قرأ صلى الله عليه وآله سورة الرحمن على المسلمين وهم منصتون له فقال صلى الله عليه وآله: لقد قرأتها على الجن فكانوا احسن استماعاً منكم، قالوا وكيف يا رسول الله. قال صلى الله عليه وآله: كانوا كلما قرأت ﴿**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾(١) يقولون هم: لا بشيء من آلائك ربي أكذّب، وإذا قرأ قوله تعالى ﴿**أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى**﴾(٢) يقول صلى الله عليه وآله: بلى سبحانك اللهم، لانه كان يسمع من الله تبارك وتعالى ومباشرة من خلال السطور وسيأتي ان الإمام الكاظم عليه السلام كان يقرأ وكانه يخاطب انساناً، قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله سورة الزمر على شاب نقي القلب طاهر السريرة فلما وصل إلى قوله تعالى ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا**﴾(٣) وقوله تعالى ﴿**وَسِيقَ**

(١) الرحمن: ٥٥.
(٢) القيامة: ٤٠.
(٣) الزمر: ٧١.

الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾(١) شهق ذلك الشاب شهقة كانت فيها نفسه، وقرأ ﷺ سورة هل اتى على الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده رجل اسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله ﷺ: أخرج نفس صاحبكم الشوق إلى الجنة، فهؤلاء ممن وصفتهم الآية الشريفة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٢).

دواعي الاهتمام بالقرآن

وقد ظهر مما سبق اكثر من محفز للاهتمام بالقرآن الكريم أُلخصها مع نقاط جديدة غير ما سمعته إن شاء الله تعالى في الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة:

١ إنه العلاج الناجح والكامل لامراض البشر النفسية والاجتماعية والروحية بل والجسدية ايضاً كما سياتي في بعض الأحاديث الشريفة.

٢ عدم استغناء طالب الكمال والسعادة الابدية وهو الهدف الاسمى وغاية الغايات في الدنيا والاخرة عنه والاهتداء بهديه والاخذ بسبيله ويزداد سمو الانسان وتكامله كلما ازدادت استفادته من القرآن.

---

(١) الزمر: ٧٣.

(٢) البقرة: ١٢١.

٣ـ ان في الاهتمام به تأسياً برسول الله صلى الله عليه وآله وبأهل بيته الكرام وقد أمرنا بذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(١).

٤ـ ان القرآن هو رسالة الحبيب المطلق والانسان لا يمل من اعادة قراءة رسالة حبيبه وملئ النظر منها والتدبر في معانيها والله تبارك وتعالى هو المحبوب الحقيقي لاجتماع اسباب المحبّة فيه فان الحب اما ان يكون لكمال المحبوب وحسنه وقد اجتمعت صفات الكمال والاسماء الحسنى فيه تبارك وتعالى أو يكون لاجل صدور الفضل والاحسان منه والله هو المنعم المتفضل المنّان ابتداءاً من غير استحقاق وحتى للعاصين من عباده ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾(٢) وهكذا. وبهذا المعنى ورد في الحديث عن الصادق عليه السلام قال: (القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم ان ينظر في عهده وان يقرأ منه كل يوم خمسين آية)(٣).

٥ـ الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي لا حدود له الذي يعطى لقارئ القرآن والمتدبر في آياته مما سنسمعه إن شاء الله تعالى في الاحاديث الشريفة.

٦ ـ ان القرآن لما كان كتاباً حياً خالداً لكل زمان ومكان فان المواقف

(١) الأحزاب: ٢١.
(٢) النحل: ١٨.
(٣) اصول الكافي: كتاب فضل القرآن، باب في قرائته، ح١.

التي عالجها والمشاكل التي واجهها لا تختص بزمان دون زمان فيستفاد من القرآن اذن الحلول الدائمية المستمرة للمواقف المتجددة وسنعرض الكثير منها في طّي البحث كفكرة المقارنة بين الجاهليتين الأولى والحديثة وفي هذا المعنى ما ورد عن الحارث الأعور، قال: دخلت المسجد فاذا الناس قد وقعوا في الاحاديث فأتيت علياً فأخبرته، فقال: اوقد فعلوها؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إنها ستكون فتنة. قلتُ: فما المخرج منها يا رسول الله. قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو الفصل ليس بالهزل(١).

٧ـ تعلّم المعارف والعلوم واسرارها المودوعة فيه بحيث ان مثل أمير المؤمنين عليه السلام الذي يصف علمه عبد الله بن عباس حبر الأمة وترجمان القرآن بانه ما علمي وعلم جميع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في علم علي عليه السلام الا كقطرة في بحر، أقول مثل علي عليه السلام في علمه قيل له: هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يعطي الله عبداً فهماً في كتابه(٢).

ففي هذا الكتاب من العقائد الحقّة والاخلاق الفاضلة والتشريعات الحكيمة ونكات البلاغة وحسن البيان ما يلبي كل حاجة وفيه اسرار الخلق وعجائب المخلوقات داخل جسم الانسان وفي الكون والطبيعة وفيه ما لم

---

(١) الميزان: ٢٠ / ٢٦٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٧١.

تتوصل اليه عقول المكتشفين ولا يعني هذا ان القرآن كتاب فيزياء أو كيمياء أو فلك أو طب حتى تنعكس عليه اخطاؤها ونقائصها وانما هو كتاب هداية وإصلاح يوظّف كل الادوات لتحقيق غرضه وهذه العلوم كلها تصّب في هذا الهدف ويأخذ منها مقدار ما يحقق غرضه.

٨ ـ براءة الذمة من شكوى القرآن اذا هجر كما في الحديث الشريف المتقدم (ثلاثة يشكون ...) وشكوى القرآن لا ترد عند الله تبارك وتعالى كما في الحديث الشريف في وصفه انه (ماحل مصدق) أي انه خصم مصدّق ويعطى الحق له ويدعم هذه الدعوى شكوى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه المذكورة في القرآن ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا**﴾(١).

٩ ـ الفوز بشفاعة القرآن فقد وصفه الحديث بانه (شافع مشفع) وفي صفة شفاعته يقول الحديث: (وكان القرآن حجيزاً عنه أي حاجزاً وساتراً عن قارئ القرآن يوم القيامة، يقول: يا ربَ إن كل عامل اصاب أجر عمله غير عاملي فبلّغ به أكرم عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له: هل ارضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب قد كنتُ أرغب له فيما هو أفضل من هذان قال: فيُعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ثم يدخل الجنة فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة ثم يقال له هل بلغنا به وارضيناك؟ فيقول: نعم)(٢).

---

(١) الفرقان: ٣٠.

(٢) الوسائل: كتاب الصلاة، ابواب قراءة القرآن، باب ٦، ح ١.

وغير هذه الفوائد كثير وانت ترى ان بعضها لا يختص بالمسلمين لذا تجد اقبال المفكرين والعلماء والقادة على الأخذ من هذا القرآن وان لم يكونوا مسلمين.

والى هنا يكون ما ذكرتُ من المحفزات كافياً لأن يثير الإنسان ويحرّكه ويدفعه نحو احتضان هذا الكتاب الكريم المعطاء والاهتمام به حتى يخالط لحمه ودمه، وإني هنا الزم كل من يرى لي حقاً عليه سواء كان اخلاقياً أو شرعياً ان يختم القرآن على الأقل في السنة مرتين وهذا مقدار يسير جداً اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان شهر رمضان وحده يمكن ان يقرا فيه نصف هذا المقدار أو اكثر.

وأهم مما ذكرت من المحفزات ما ورد في الاحاديث الشريفة التي اخترت لك منها مجموعة تتجاوز الأربعين حديثاً جرياً على سنة السلف الصالح الذين الّفوا الكثير من كتب(الأربعون حديثاً) في شتى حقول المعرفة عسى ان يكونوا وأكون معهم من أهل هذا الحديث الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من حفظ عني من أمتي أربعين حديثاً في أمر دينه يريد به وجه الله عز وجل والدار الآخرة بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً)(١).

---

(١) الخصال: ٥٤٢/٢.

القرآن يصف نفسه

ولكن الأهم من كل ذلك ان اتلو عليكم بعض الآيات التي وصف بها القرآن الكريم نفسه فانه أعرف بذلك وهو كلام خير القائلين ومن هذه الآيات تعرف جلالة قدر هذا الكتاب وعظمة آثاره وبركاته:

١- ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

٢- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾(٢).

٣-﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾(٣).

٤- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(٤).

٥- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾(٥).

---

(١) آل عمران: ١٣٨.

(٢) النساء: ١٠٥.

(٣) النساء: ١٧٤ - ١٧٥.

(٤) المائدة: ١٥ — ١٦.

(٥) المائدة: ٦٦.

٦- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾(١).

٧- ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾(٢).

٨- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾(٣).

٩- ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤).

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٥).

١١- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾(٦).

١٢- ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٧).

---

(١) المائدة: ٦٨.
(٢) الانعام: ٣٨.
(٣) الانعام: ٩٢.
(٤) الأعراف: ٢٠٤.
(٥) يونس: ٥٧.
(٦) الاسراء: ٩.
(٧) الزمر: ٢٣.

١٣- ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ، لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾(١).

١٤- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾(٢).

١٥- ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(٣).

١٦- ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(٤).

١٧- ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(٥).

١٨- ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٦).

١٩- ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾(٧).

٢٠- ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾(٨).

٢١- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾(٩).

---

(١) فصلت: ٤١ – ٤٢.
(٢) الشورى: ١٧.
(٣) الزخرف: ٤.
(٤) الزخرف: ٣٦.
(٥) الزخرف: ٤٣ – ٤٤.
(٦) الجاثية: ٢٠.
(٧) محمد: ٢٤.
(٨) ق: ١.
(٩) القمر: ٤٠.

٢٢- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآَنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ﴾(١).

٢٣- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٢).

٢٤- ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

٢٥- ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآَنَ تَرْتِيلاً، إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾(٤).

٢٦- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآَنٌ مَجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾(٥).

٢٧- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ، وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾(٦).

٢٨- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٧).

---

(١) الواقعة: ٧٧ – ٧٩.
(٢) الحديد: ١٦.
(٣) الحشر: ٢١.
(٤) المزمل: ٤- ٥.
(٥) البروج: ٢١ - ٢٢
(٦) الطارق: ١٣ – ١٤.
(٧) الكهف: ١ – ٢.

٢٩- ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١).

٣٠- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾(٢).

هذا بعض ما يتصف به القرآن من صفات وآثار جسنة فهو كتاب مبارك عزيز كريم مجيد وهو بيان وهدى وموعظة ورحمة وشفاء وذكر ونور نزل بالحق ليحكم بين الناس ويدخل المؤمنين في رحمة الله وفضله ويهديهم صراطاً مستقيماً وهو علي حكيم وبصائر للناس وقول ثقيل وفصل وما هو بالهزل لذا فهو ـ أي حقائقه التي جُعِلت هذه الالفاظ وعاءاً لها وهي كالأمثلة لتقريب تلك الحقائق والمعاني العميقة إلى الاذهان ـ في كتاب مكنون ولوح محفوظ لا يمسُّه ولا يصل إلى فهم حقائقه الواقعية بشكل كامل الا المطهرون من الذنوب والمعاصي والاثام وانجلت مرآة قلوبهم عن كل دنس فصارت تعكس بشكل كامل صفحة اللوح المحفوظ اما غيرهم فليسوا جديرين بحمله الا بمقدار ما اوتوا من الكمال ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾(٣).

أُمِرَ الناس بتدبره وترتيله والتمسك به والانصات له ولو كان من غير

---

(١) النحل: ٨٩

(٢) طه: ١٢٤.

(٣) الرعد: ١٧.

الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فإن اقاموه وتمسكوا به أكلوا من فوق رؤسهم ومن تحت ارجلهم وخشعت قلوبهم ولانت وكانوا أهلاً للفيوضات الإلهية وان اعرضوا عنه اصبحوا في عيشة ضنكى واعتورتهم الشياطين حتى تصبح قرناء لهم وقست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشد قسوة فان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يهبط من خشية الله وهذه القلوب البعيدة عن القرآن وذكر الله سبحانه صمّ جامدة لا تجري فيها ولا قطرة من انهار المعرفة ﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

شرح لبعض اوصاف القرآن

ولكن هذا الشرح الاجمالي لصفات القرآن غير كافٍ لذا ارى من الضروري تقديم شرح اكثر تفصيلاً لبعض هذه الصفات مما لها آثار اجتماعية أو اخلاقية تاركاً البعض الآخر إلى التفاسير المطولة في موارد الآيات التي ذكرتها وانما اذكر هذه الاوصاف ليس فقط للتعرف على القرآن بل للتعرف على أهل البيت عليهم السلام لانهم عدل الكتاب وهما صنوان لا يفترقان فاذا كان القرآن ينطق بالحق فانهم مع الحق والحق معهم وهو لا يأتيه الباطل وهم معصومون وهو كتاب قيمومة وسلطنة على الناس وهم ائمتهم وهكذا:

---

(١) الحشر: ٢١.

مبارك

أي كثير البركة وهو كذلك من عدة جهات فهو مبارك في محل صدوره لانه نازل من الله تبارك وتعالى المتفضّل المنّان مفيض النعم التي لا حصر لها ولا عّد، ومبارك في محل نزوله وهو قلب رسول الله صلى الله عليه وآله الرحيم الكريم الذي ارسل رحمة للعالمين ومبارك في اثاره ففيه الهداية والخير والسعادة في الدنيا والاخرة وفيه نظام حياة البشرية وقوامها وحفظ كيانها وفيه السلام والطمأنينة، ومبارك في حجمه فهو كتاب واحد الا ان جميع ارباب العلوم والمعرفة يغترفون منه وهو معين لا ينضب فتجد الأصولي والفقيه والنحوي والاديب والمفكر والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والطبيب والمشّرع والحاكم يأخذون منه ويستدلون بآياته ومع ذلك يبقى خالداً معطاءاً وهذا دليل نزوله من الله فان هذا كله مما لا يمكن لكتب عديدة ان تضمه وتحويه وهو مبارك بعدد الذين اهتدوا على يديه وتنوّرت قلوبهم وعقولهم ببركته.

عزيز

أي يصعب مناله فانه في كتاب مكنون وحقائقه العليا محفوظة في اللوح المحفوظ وما هذه الكلمات الا امثال لتقريب تلك المعاني إلى اذهان البشر المستأنسة بالماديات والتي لا تسمو لتنال تلك الحقائق، نعم، يمسُّها

ويصل اليها ويعيها المطهرون الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً وهم محمد وآل محمدﷺ وقد سمعتَ أمير المؤمنين عليه السلام يقول: اننا لا نملك علماً أكثر من فهم لهذا الكتاب، وهو عزيز بمعنى يندر وجود مثله وهو كذلك لانه كلام من ليس كمثله شيء، وهو عزيز أي ممتنع عن ان يُنال بسوء فيكون بمعنى الآية الشريفة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)، وهو عزيز بمعنى انه قاهر وغالب ومتسلط لانه كلمة الله وكلمة الله هي العليا فهو يعلو ولا يُعلى عليه وموقعه دائماً التسلط والحاكمية على العباد والتصرف في شؤونهم، وهو عزيز بمعنى مطلوب كما قيل كل موجود مملول وكل مفقود مطلوب وهذا الكتاب مطلوب كل من اراد الوصول إلى الله تبارك وتعالى.

مجيد

قال الراغب في المفردات: المجد السعة في الكرم والجلال وأصله في قولهم (مجدت الأبل) اذا حصلت في مرعى كثير واسع فوصف القرآن بالمجيد لكثرة ما يتضمن من المكارم الدنيوية والآخروية وعلى هذا وصفه بالكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ لسعة فيضه وكثرة جوده، وقد اشرنا في شرح صفة (مباركـ) هذه الآثار الواسعة.

(١) الحجر: ٩.

قيّماً

من القيمومة فهذا الكتاب قيّم على العباد ليسوقهم ويقودهم ويدلّهم على ما يصلحهم ويهيئ لهم كل اسباب السعادة في الدنيا والآخرة كما يفعل القيّم على الأسرة أو على المجتمع، ومنهج القرآن قيّم على جميع المناهج الأخرى سواء على مستوى العقائد أو التشريعات وهو مقدّم عليها وقائد لها وهي تابعة وخاضعة ومحكومة له فالقيمومة العليا في هذه الحياة للقرآن إن ارادت البشرية خيرها وسعادتها لا ما فعلته بالابتعاد عن منهج القرآن وتحكيم عقول البشر القاصرة الخاضعة غالباً لمنطق الاهواء والمصالح وقد مهدّت الآية لهذه القيمومة بأن وصفته انه لا عوج فيه ولا نقص ولا خلل ولا قصور فقال ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾(١) فمن شروط القيمومة على البشر من يريد تكميل غيره ان يكون كاملاً في نفسه فان فاقد الشيء لا يعطيه كما قالوا ومن ضرورة القيمومة على البشر ان يتصدى لها من لا نقص فيه ولا خلل ولا قصور ولم يتحقق ذلك الا في هذا الكتاب الكريم وعدله الثقل الأصغر أهل بيت النبوة وكل ما سواهم لا حقَّ له في إمامة المجتمع والقيمومة عليه وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة أوجبت تقديم الكتاب والعترة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾(٢) أي ضيّقة وهذه صفة

---

(١) الكهف: ١.

(٢) طه: ١٢٤.

كل من يعرض عن ذكر الله تبارك وتعالى ويكون مقطوع الصلة به سبحانه ويعيش بعيداً عن القرآن الكريم فانه يكون في ضيق وتعاسة والم لانه انسلخ من رحمة الله الواسعة ووقع فريسة الاهواء والمطامع والشهوات التي لا تقف عند حد فهو في رعب خشية الموت فيخسر الدنيا التي هي همه وماله في الآخرة من نصيب ويعيش الحرص على ما في يده خشية الفوت ويعيش الطمع الذي يدفع إلى تحصيل ما لا يستطيع تحصيله ويعيش التعب لانه يلهث وراء سراب فما يحقّق شيئاً يظنُّ ان فيه سعادته حتى يكتشف انه متوهم فيسعى إلى غيره، فمثلاً يظن ان سعادته في المال حتى جمع المليارات فما تحققت سعادته فيظن انها في الدور الفارهة فيبني منها ما لا عين رأت فلا تحقق سعادته فيظن انها في النساء فيستمتع بما شاء منهن ثم يجد نفسه قد وصل إلى طريق مسدود فينطبق عليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ والقمر كناية عن المال فظّن انه ربه وكافل سعادته ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ وفشل في تحقيقها له ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً﴾ وهي كناية عن أمور دنيوية أخرى ﴿قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ﴾ وهذا الذي يحقق لي السعادة وطمأنينة القلب لانه ﴿هَذَا أَكْبَرُ﴾ واهم وأعظم تأثيراً ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ وفشل هذا الرب الجديد في تحقيق السعادة ﴿قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ وهؤلاء الارباب الناقصين الذين لا يملكون لانفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً وعندئذ إن كان مخلصاً في البحث عن الحقيقة كتبت له الهداية وقال مقالة المؤمنين: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، إِنِّي

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١) وان لم يكن كذلك كتبت عليه الشقاوة وكان جوابه: **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾**(٢).

وهكذا يبقى في شقاء ونكد وضيق بين مطرقة الموت الذي يمكن ان يختطفه في اية لحظة وسندان الحرص والطمع **﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾**(٣) وانت ترى ان اكثر حالات الانتحار هي في الدول المرفهة اقتصادياً والتي تعيش التخمة ومنشأه هذا النكد والفتك الذي يعيشه بسبب الخواء الروحي.

﴿قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤) فهو نور لانه يشرق أولاً في قلب المؤمن فيطهّره من ادران المعاصي وكدورات الذنوب ويجلّي صفحته ليكون مستعداً لتجليات الحق فيه وهو نور للأمة وللمجتمع يرشدها إلى النظام الذي يكفل سعادتها.

ومن لطيف التعبير القرآني انه جعل لفظ النور مفرداً والظلمات جمعاً

---

(١) الانعام: ٧٧ – ٧٩.

(٢) النور: ٣٩.

(٣) البقرة: ٩٦.

(٤) المائدة: ١٥ – ١٦.

لان طريق الحق واحد لا يتعدد وان تعدّدت سبله ومصاديقه قال تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ﴾(١) بينما الظلمات عديدة والآلهة التي تصد عن الله تبارك وتعالى كثيرة.

ومن آثار القرآن وبركاته انه يهدي من اتبع رضوان الله تعالى سبل السلام واول سلام ينعم به هو سلام النفس وطمأنينة القلب وصفاء الذهن ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(٢) ثم السلام داخل العائلة والأسرة التي تقوم على اساس الاسلام وتعاليم القرآن ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣) ثم السلام بين افراد المجتمع عندما تسودهم آداب الاسلام ﴿فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾(٤) ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ﴾(٥) ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(٦).

---

(١) الفاتحة: ٦.

(٢) الرعد: ٢٨.

(٣) الروم: ٢١.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) الفتح: ٢٩.

(٦) الحشر: ٩.

قول ثقيل

والثقل للمعنى الذي يحمله القول أو اللفظ هو ثقيل على النفس لانه يمسك بزمام شهواتها فلا يطلق لها العنان وانما يهذّبها ويقوّمها ويقودها، وهو ثقيل على العقل لما يتضمنه من اسرار ودقائق يصعب تحملها على العقول الجبارة وثقيل على الروح لما فيه من تكاليف شاقة وتربية مكثفة واليه اشار ﷺ شيبتني هود والواقعة لان فيها فاستقم كما أمرت وهو ﷺ يعرف ثقل هذا الأمر.

ومنشأ ثقله صدوره من الله العظيم لذا تنقل كتب السير حالته ﷺ عند نزول الوحي عليه وقد وصف القرآن ثقله بقوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١)

وهو ثقيل لما يصيب حامله والساعي إلى إقامته في المجتمع من محن وبلايا وصعوبات قال تعالى: ﴿المص. كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) لذلك أُمِر ﷺ بقيام الليل والتعلق بالله تبارك وتعالى وتعميق الصلة بهُ استعداداً لتلقّي هذا القول الثقيل والمسؤولية العظيمة وقد وعده تعالى بتحصيل هذه النتائج قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾(٣).

---

(١) الحشر: ٢١.

(٢) الأعراف: ١ ـ ٢.

(٣) الاسراء: ٧٩.

موعظة: شفاء وهدى ورحمة

واختصر هنا ما ذكره السيد الطباطبائي قدس سره في تفسير الآية(١):

قال الراغب في المفردات: الوعظ: زجر مقترن بتخويف وقال الخليل هو التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب وشفاء الصدور كناية عن ذهاب ما فيها من الصفات الروحية الخبيثة التي تجلب إلى الانسان الشقاء وتنغّص عيشته السعيدة وتحرمه خير الدنيا والآخرة وإنما عبر بالصدور لان الناس لما وجدوا القلب في الصدر وهم يرون الانسان انما يدرك ما يدرك بقلبه وبه يعقل الأمور ويحب ويبغض ويريد ويكره ويشتاق ويرجو ويتمنى عدوا الصدر خزانة لما في القلب من اسراره والصفات الروحية التي في باطن الإنسان من فضائل ورذائل.

أقول: وتدل الأحاديث على ان القرآن شفاء حتى من الامراض البدنية بل في بعضها ان سورة الفاتحة لو قرأت سبعين مرة على ميت فقام حياً لم يكن ذلك عجباً.

والرحمة تأثر خاص في القلب على مشاهدة ضر أو نقص في الغير يبعث الراحم إلى جبر كسره وإتمام نقصه واذا نُسبت إلى الله سبحانه كان بمعنى النتيجة دون أصل التأثر لتنزهه تعالى عن ذلك فينطبق على مطلق عطيّته تعالى وإفاضته الوجود على خلقه.

---

(١) الميزان: ١٠ / ٨٠ ـ ٨١.

أقول: هذا أحد الوجوه في شرح هذه الاسماء المباركة التي لا يمكن فهم نسبتها إلى الله تبارك وتعالى كما تنسب إلى المخلوقين.

واذا أخذت هذه النعوت الأربعة التي عدّها الله سبحانه للقرآن في هذه الآية ـ اعني انه موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة ـ وقيس بعضها إلى بعض ثم اعتبرت مع القرآن كانت الآية بياناً جامعاً لعامة اثره الطيب الجميل وعمله الزاكي الطاهر الذي يرسمه في نفوس المؤمنين منذ أول ما يقرع اسماعهم إلى آخر ما يتمكن من نفوسهم ويستقر في قلوبهم.

فانه يدركهم اول ما يدركهم وقد غشيتهم الغفلة واحاطت بهم لجة الحيرة فأظلمت باطنهم بظلمات الشك والريب وامرضت قلوبهم بادواء الرذائل وكل صفة أو حالة رديئة خبيثة فيعظهم(١) موعظة حسنة ينبههم بها من رقدة الغفلة، ويزجرهم عما بهم من سوء السريرة والأعمال السيئة ويبعثهم نحو الخير والسعادة.

ثم ياخذ في تطهير سرّهم عن خبائث الصفات ولا يزال يزيل آفات العقول وأمراض القلوب واحداً بعد آخر حتى يأتي على آخرها.

ثم يدلّهم على المعارف الحقّة والأخلاق الكريمة والأعمال الصالحة

---

(١) وانت ترى ذلك في السور المكية التي نزلت أولاً كالمدثر والمزمّل فانها ذات ايقاعات سريعة وتستعمل حروفاً قوية فيكون تأثيرها بما يشبه الصعقة الكهربائية التي تستعمل لايقاظ الغافل كما ان مضامينها يتركز على التذكير بالاخرة والموت وأهوال القيامة وعاقبة المكذبين وبيان سنن الله تعالى في الامم ونحوها من الصعقات.

دلالة بلطف يرفعهم درجة بعد درجة وتقريبهم منزلة فمنزلة حتى يستقروا في مستقر المقربين، ويفوزوا فوز المخلصين.

ثم يلبسهم لباس الرحمة وينزّلهم دار الكرامة ويقرّهم على أريكة السعادة حتى يلحقهم بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا ويدخلهم في زمرة عباده المقربين في أعلى علّيّين.

فالقرآن واعظ شافٍ لما في الصدور هاد إلى مستقيم الصراط مفيض للرحمة باذن الله سبحانه، وانما يعظ بما فيه ويشفي الصدور ويهدي ويبسط الرحمة بنفسه لا بأمر آخر فانه السبب الموصل بين الله وبين خلقه فهو موعظة وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين(١).

الحياة في كنف القرآن

وقد جرّبتُ الحياة في كنف القرآن وعشتُ في رعايته سنين في ريعان الشباب كنت أختمه في السنة عشرين إلى خمس وعشرين مرة حتى خالط لحمي ودمي وفكري ولساني وقلبي وكنت مع تلاوتي له اقرأ بامعان في تفسيرين مهمّين أجلّهما وأعترف لهما بالفضل في تكوين شخصيتي العلمية والفكرية هما (الميزان) و(في ظلال القرآن) حتى اكملتهما ولخصّت

---

(١) الميزان: ١٠ / ٨١

رؤوس افكارهما حتى أرجع اليهما باستمرار فتنقدح في ذهني تلك الأفكار وفي روحي وقلبي تلك اللحظات السعيدة.

فماذا وجدت في رحاب القرآن، وماذا سيجد من يعيش في رعاية القرآن: سيرى عظمة الله سبحانه تتجلى في آياته وقوانينه وسننه وقدرته على كل شيء فالأرض جميعاً قبضته والسموات مطويات بيمينه والعزة لله جميعاً والقوة والملك له وحده هو الذي يرث الأرض ومن عليها واليه مرجع العباد وهو اقرب اليهم من حبل الوريد ويحول بين المرء وقلبه ولا يملك شيء لشيء نفعاً ولا ضراً الا بإذنه فعندئذ يتصاغر امام حامل القرآن كل ما سوى الله تبارك وتعالى مهما عظم ظاهراً أو حاول اولياؤه واتباعه تعظيمه والنفخ في صورته فاذا قدرة الله تلقف ما يأفكون فلا إرم ذات العماد ولا فرعون ذو الاوتاد ولا صاحب الكنوز التي تنوء مفاتحه بالعصبة اولي القوة، اما حامل القرآن فقوّته متصلة بالله فلا يخشى ما سواه ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾(١) و(من خاف الله اخاف الله منه كل شيء).

وعندئذٍ سترى ان هذه القوى الكبرى التي ﴿**يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى**﴾(٢) وقادرة على تحقيق كل ما تريد واذا بها تنهار وتذوب كما يذوب الملح في الماء بلا حرب ولا أي عدوٍ ظاهر لكن الله ينبئك عن

---

(١) العنكبوت: ٤١.

(٢) طه: ٦٦.

الذي يقف وراء فنائهم ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ . ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١).

وسيرى وعد الله وطمأنينته للمؤمنين بان العاقبة لهم ولكن بعد ان مسّتهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب، وأن لا بد من الفتنة والابتلاء ليمحص الله الذين آمنوا ﴿الم . أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾(٢). وعندئذ يقرّ بال المؤمن مهمّا واجهته من صعوبة ومحنة لانه من سنة الله في عباده، فعليه ان يصدق في المواقف وسيجزي الله الصادقين ويهوّن الخطب عليه انه كله بعين الله سبحانه ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لاَ يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلاَ نَصَبٌ وَلاَ مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَطَؤُونَ مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلاَ يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤).

وسيرى من علّو الايمان الذي يعمر قلبه والمعارف العليا التي يحملها إلى هذه البشرية التائهة التي تلهث وراء السراب تعيش لاغراض زائفة

---

(١) النحل: ٢٦ — ٢٧.

(٢) العنكبوت: ١ — ٣.

(٣) الطور: ٤٨.

(٤) التوبة: ١٢٠.

وتمنّي نفسها باماني باطلة يزيّنها لهم اولياء الشيطان من مال وجاه وشهوات يتنافسون عليها ويتقاتلون على شيء لا يبقى لهم بل يكون وبالاً عليهم. يصنعون لانفسهم آلهة يصطلحون على عبادتها وطاعتها وتقديم الولاء لها فيقيمون لها الطقوس والاحتفالات والمهرجانات ويذبحون من اجلها القرابين ليس الحيوانية فقط بل البشرية ويهدرون على اقدامها المليارات.

وسيرى انه ليس وحده حتى يشعر بالضعف أو الذلة أو الخضوع والاستسلام ولا ان ما يعانيه ويشاهده ويعيشه بدعاً من الحوادث ولا ان تجربته فريدة ﴿**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾(١) فاذن قد سبقه على هذا الخط انبياء عظام واولياء كرام وحملة رسالات ومصلحون وعباد صالحون عانوا أكثر مما عانى وصبروا على اشد من صبر عليه وواجهوا من مجتمعاتهم أعظم مما يواجه والصورة نفس الصورة ﴿**فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾(٢) ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾(٣).

وسيرى تكريم الله لخلقه حين خاطبهم بنفسه ووجّه اليهم كلامه مباشرة، الله العظيم خالق السموات والارض ذو الاسماء الحسنى يرسل اليهم بنفسه رسالة ويعهد اليهم بعهده أي تكريم اعظم من هذا واي تفضيل فوق هذا ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ**

(١) الاحقاف: ٩.

(٢) الحديد: ٢٦.

(٣) المائدة: ١٠٥.

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾(١) فكيف يا ترى مشاعر الانسان وهو يقرأ رسالة حبيبه بل الحبيب المطلق (إن القرآن عهد الله إلى خلقه فينبغي لكل مؤمن ان ينظر فيه).

وسيرى ان كل شيء في هذا الكون بقدر وحساب دقيق ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(٢) ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾(٣) ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾(٤) وكل المخلوقات افراد ومجتمعات تجري وفق سنن ثابتة ﴿سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٥) ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(٦) لا يستطيع أحد ان يخرج من هذا القانون الالهي العظيم ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً﴾(٧) فكيف يعبد الانسان غيره تبارك وتعالى وهو لا يستطيع ان يخرج من قبضة سننه وقوانينه، فلا مجال للعب ولا العبث واللهو ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ﴾(٨) ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾(٩) ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(١٠) ولا

---

(١) الاسراء: ٧٠.
(٢) القمر: ٤٩.
(٣) الحجر: ٢١.
(٤) الانبياء: ٤٧.
(٥) النساء: ٢٦.
(٦) الأنعام: ٣٨.
(٧) فاطر: ٤٣.
(٨) آل عمران: ١٩١.
(٩) الذاريات: ٥٦.
(١٠) الأنبياء: ١٧.

مجال للصدفة العمياء التي طالما تشدّق بها الملحدون وضحكوا بها على عقول الناس ردحاً من السنين واضلّوهم بها تعس التابع والمتبوع، فمن وراء خلق الانسان هدف فلا بد ان يحيا من اجله ويكرّس كل طاقاته لتحقيقه وهو رضا الله تبارك وتعالى.

وسيجد في القرآن الوعد الالهي بالامداد والقوة الغيبية في كل موقف وشدة ومأزق ومعركة مع النفس الأمارة بالسوء أو الشيطان وأنَّ الله معه وكفى به ناصراً ما دام هو مع الله ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ× نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ . نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ . وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾(١) وآيات كثيرة تخبر عن انزال السكينة في قلوب المؤمنين والامداد بالملائكة المسوّمين وغيرها.

وسيجد في كنف القرآن الطمأنينة ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(٢) وهدوء البال وشفاء الصدور والهدى والبركة وكل خير مما وصف القرآن به نفسه.

فاذا وجد حامل القرآن كل ذلك اشتدّت عزيمته وقوى قلبه وصلحت نفسه وازدادت همّته وظهرت حكمته وسيكون عندئذٍ مصدراً للعطاء ومنبعاً

(١) فصلت: ٣٠ – ٣٣.

(٢) الرعد: ٢٨.

للخير لنفسه وللمجتمع كما هو شأن المصلحين العظام وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

ضرورة العودة إلى القرآن

أفبعد كل هذا احتاج إلى ذكر المزيد من المحفّزات للعودة إلى القرآن والحياة في كنفه وهل بقى من لا يعي فداحة الخسارة التي حلّت بنا بسبب ابتعادنا عن القرآن اذن فلنرجع جميعاً إلى القرآن تائبين نادمين ملتمسين اياه ان يعود إلى امامتنا وهدايتنا إلى الله تبارك وتعالى وعلينا ان نفكّر في السبيل إلى اخراج هذا الكتاب الكريم من عزلته التي فرضناها عليه وتفعيل دوره في حياة المجتمع.

وقد تقول: ان مثل هذا حاصل من خلال ما نشاهده من كثرة حلقات تعليم القرآن وحفظه وتجويده وبيان قواعده ورسمه.

وأقول: مع احترامي لهذا كله الا ان هذا اهتمام بالقشور والمهم هو اللب فان اللفظ وعاء لايصال المعنى وقشر لحفظ المعنى الذي هو اللب وآلة لنقل المعنى إلى الذهن فهل يكفي الاهتمام بالقشر وترك اللب فالمطلوب هو اعادة القرآن بروحه ومضامينه ومعانيه وافكاره ومفاهيمه ولا شك ان الخطوة الأولى منه هي الاهتمام بتلاوته ومعرفة معاني الفاضه وتطبيق القواعد العربية على مخارج حروفه.

مسؤولية الحوزة عن اعادة القرآن

واعتقد ان اول شريحة في المجتمع تقع عليها المسؤولية هي الحوزة الشريفة بطلبتها وفضلائها وخطبائها وعلمائها لان صلاح المجتمع من صلاح الحوزة وفساده بفسادها والعياذ بالله فقد جاء في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (صنفان من أمتي اذا صلحا صلحت أمتي واذا فسدا فسدت أمتي. قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله ومن هم؟ قال صلى الله عليه وآله: الفقهاء والأمراء)(١).

وقد قلت في بعض كتبي(٢) انه من المؤسف حقاً غياب القرآن عن مناهج الدراسة الحوزوية فقد نظمت بشكل لا يحتاج فيه الطالب إلى التعمق في القرآن الكريم من أول تحصيله إلى نهايته ولا يمر به الا لماماً عند الاستدلال على قاعدة نحوية أو مبحث أصولي أو مسألة فقهية فاصبح مسرحاً للتدقيقات العقلية ولم يُتخذ غذاءاً للقلب والروح ودواء للنفس وربما يبلغ الحوزوي مرتبة عالية في الفقه والأصول وهو لم يحيا حياة القرآن ولم يخض تجربة التفاعل مع القرآن واستيعابه كرسالة إصلاح وقد تمر الأيام والأسابيع ولا تجد طالب العلم يمسك المصحف الشريف ليتلو آياته ويتدبر فيها لعدم وجود صلة روحية عميقة بينه وبين القرآن ولو وجد فيه زاده وغذاءه الذي يغنيه عن غيره لما استطاع تركه، وهذه مصيبة عظيمة للحوزة والمجتمع وربما لا يُحسن بعضهم قرائته مضبوط بالشكل، ولما كانت رسالة الحوزة الشريفة التي تصدّت لحملها هي اصلاح المجتمع وتقريبه إلى الله

(١) الخصال: ابواب الاثنين، حديث ١٢.

(٢) وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة الشريفة.

تبارك تعالى فان أول مهمة لهم هي فهم القرآن والسعي إلى تطبيقه فان الأمة لا تكون بخير الا اذا تمسكت بقرآنها وأهتدت بهديه واستضاءت بنوره كما هو نص حديث الثقلين المشهور (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابدا).

جاهلية اليوم

إنّ البشرية تعيش اليوم جاهلية جديدة ـ وان تسمى بعضهم بالاسلام ـ بحسب المفهوم الذي يعطيه القرآن للجاهلية إذ انه لا يعتبرها فترة زمنية انتهت بطلوع شمس الاسلام بل هي حالة اجتماعية تتردى اليها الأمة وينتكس اليها المجتمع كلما اعرض عن شريعة الله سبحانه ﴿فَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١)، وقد نبه القرآن الكريم إلى حصولها حينما قال: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾(٢) وكأنه إشعار بوجود جاهلية ثانية وهي هذه التي تعيش البشرية اليوم شؤمها وتعاستها وشقاءها بل جمعت جاهلية اليوم مساوئ الجاهليات القديمة كلها فالقوي يأكل الضعيف واللواط يُسنُّ بقانون رسمي يجيزه ويرتضي الزواج بين الذكرين والزنا يفوح برائحته الكريهة وهمجيته الحيوانية وامراضه الفتاكة كالايدز ونحوه في كل ارجاء العالم والبخس في الميزان منتشر بجميع اشكاله ليس على

(١) المائدة: ٥٠.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

مستوى الأفراد فقط بل على مستوى الدول فلا يوجد انصاف في العلاقات بين المجتمعات البشرية وهو ما يسمى بالمصطلح(الكيل بمكيالين) واتخاذ الاحبار والرهبان وسائر رؤوس الضلال من شياطين الانس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا غرورا ارباباً من دون الله يحرّمون ما أحلّ ويحلّون ما حرّم، والآلهة التي تُّعبد من دون الله سبحانه قد تعدّدت ولم تعد مقتصرة على الحجرية منها فقط بل ما زالت الذهنيات الشيطانية تتفتق عن المزيد وشياطين الأنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ويصدوّن عن صراط الله المستقيم ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ - ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(١) ﴿وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾(٢) وما أكثر هؤلاء الذين يصدُّون عن سبيل الله من آمن ويبغونها عوجاً عن الفطرة السليمة من فاسقات نصبن فخوخ الفتنة والاغراء إلى بورصات اقتصادية يسيل لها اللعابِ إلى فنانين لا عمل لهم الا تدمير الاخلاق والقيم الاجتماعية وغيرها.

كل هذه من صفات وعلامات جاهلية اليوم وفي كل زمان ومكان وهذا المفهوم من المفاهيم القرآنية التي يجب استيعابها وفهمها.

ولمزيد من البيان نعقد مقارنة بين عقائد وممارسات الجاهلية الأولى والجاهلية التي نعيشها اليوم وأريد بهذا البيان عدة أهداف:

---

(١) الأعراف: ١٦ – ١٧.

(٢) الأعراف: ٨٦.

١- تنقيح المفاهيم والمصطلحات القرآنية واستنباط معانيها التي يريدها القرآن وازالة الغبار المتراكم عليها نتيجة الغفلة عن القرآن وإعمال العقول فيه من دون الرجوع اليه.

٢- استيعاب الحاجة إلى القرآن اذا فهمنا ان البشرية عادت إلى جاهليتها الأولى فهي بحاجة إلى ان يعود القرآن ليمارس دوره من جديد في الأخذ بيدها نحو الاسلام الحقيقي.

٣- تعزيز فكرة الإمام المهدي (ارواحنا له الفداء) وإقامة الدليل العملي عليها إذ ان البشرية لما عادت إلى جاهليتها الأولى فان القرآن وحده لا يكفي لممارسة دوره في انقاذها بل لا بد له من حامل يجسده على ارض الواقع كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وهذا الشخص لا بد ان يكون بمثل صفاته صلى الله عليه وآله وان لم يكن نبياً لانقطاع النبوة به صلى الله عليه وآله ولا تجتمع هذه الاوصاف الا في الحجة بن الحسن (ارواحنا له الفداء)، وها هي ارهاصات ظهوره تتحقق ويقترب يومه الموعود(١) وتفصيل الكلام في بحث خاص به عليه السلام.

---

(١) لذا ورد في الخبر انه عليه السلام يأتي باسلام جديد وقرآن جديد وهي لا تعني دلالتها المطابقية لانه عليه السلام لا يخرج عن دائرة اسلام وقرآن جده صلى الله عليه وآله وانما يراد به انه ينفض الغبار عن القرآن ويزيل عنه ركام السنين ويعيده إلى الحياة من جديد.

صفات ومميزات المجتمع الجاهلي

بحسب المفهوم القرآني

وأول صفة من صفات الجاهلية هي عبادة الناس لغير الله تبارك وتعالى والعبادة بمعنى الطاعة والولاء كما ورد عنهم عليهم السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١) قال عليه السلام: (اما والله ما دعوهم إلى عبادة انفسهم ولو دعوهم إلى عبادة انفسهم ما اجابوهم ولكن احلوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون)(٢) هذه العبادة كانت في ذلك المجتمع الجاهلي لغير الله تبارك وتعالى لذا جاء في أول سورة من سور القرآن المطالبة بعدم طاعة ما سوى الله ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾(٣) فكانت الطاعة لالهة متعددة يومئذ ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾(٤) ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ﴾(٥)

---

(١) التوبة: ٣١.

(٢) وهذا المصطلح القرآني المهم (العبادة) يحتاج إلى إشباع لعدم وضوحه في اذهان المجتمع فيظنون ان العبادة هي الصلاة أو السجود وليست هي الطاعة لذا لا يجدون قدحاً في دينهم ان يصلوا ويصوموا لله لكن معاملاتهم وسلوكياتهم في الحياة تكون بغير ما انزل الله وهو معنى خطير يجب ازالة الشبهة عنه لذا ورد عن الإمام الجواد عليه السلام قوله: (من اصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان هذا الناطق عن الله فقد عبد الله، وإن كان الناطق ينطق عن لسان ابليس فقد عبد ابليس) تحف العقول: ٣٣٦.

(٣) العلق: ١٩.

(٤) الزمر: ٣.

(٥) آل عمران: ٦٤.

﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾(١) ﴿فَاتَّبَعُواْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾(٢) ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً﴾(٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(٤) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ. كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾(٥) ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(٦) هذه بعض آلهة الجاهلية الأولى التي كانت تُعبد من دون الله تبارك وتعالى وهي (الاصنام، العلماء غير المخلصين، الفراعنة، هوى النفس الامارة بالسوء وشهواتها، ابليس، العصبية، العادات والتقاليد الموروثة عن السلف) وأصلها اتباع الهوى ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٧) فهل اختلف حال الناس اليوم؟ ولا أريد بالناس هذه الأمم التي تسمّي انفسها متحضرة فانها غارقة في مستنقع الجاهلية من قرنها إلى أخمص قدميها ولكن هلّم بنا إلى الخطب الأفضع إلى الذين يسمّون انفسهم مسلمين وهم يسيرون في ركاب اولئك الكفّار وينغمسون في طاعة الشهوات والهوى وما

---

(١) الأحزاب: ٦٧.
(٢) هود: ٩٧.
(٣) مريم: ٥٩.
(٤) البقرة: ١٧٠.
(٥) الحج: ٣ — ٤.
(٦) الفتح: ٢٦.
(٧) القصص: ٥٠.

يصدّرون اليه من الهة جديدة كالرياضة والفن وبعض النظريات والقوانين المنحرفة وما زالت طاعة السادة والكبراء كرئيس العشيرة والوجهاء تُمتثل من دون رعاية للشرع المقدس فيحلّون ما حرم الله ويحرمّون ما احلّ الله تبارك وتعالى، وما زالت الاعراف والتقاليد وسنن الاباء والاجداد تطاع اكثر من شريعة الله سبحانه بحيث يرضى المجتمع بمعصية الله ولا يرضى بالخروج عن هذه الاعراف والتقاليد ولسان حالهم يقول (النار ولا العار) خلافاً للإسلام الذي مثله الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء بقوله:

الموت اولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار

وهذا واضح في السنينةِ العشائرية وغيرها، وهذه المراة المسكينة تطيع المودة ودور الازياء وما يقتضيه الاتكيت وما يصدّره الغرب من ملابس وادوات زينة وكماليات حتى لو كان مخالفاً للشريعة فهل بقي من العبادة والطاعة والولاء شيء؟ هذا على مستوى الشرك الجلي والقرآن يخبرنا ان هذه الالهة كلها ستتبرأ من عبّادها يوم القيامة ولا ينفع الندم حينئذٍ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ. إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾(١).

ويصف هذه الالهة التي يعبدها البشر بتقديم الولاء والطاعة لهم من

(١) البقرة: ١٦٥ – ١٦٧.

دون الله تبارك وتعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾(١) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٢).

وهذا بحث جدير بالاهتمام لانه يلفت نظر الناس إلى انحراف عقائدهم وانهم بعيدون عن التوحيد الخالص وان طاعتهم لله تبارك وتعالى اقل بكثير من طاعتهم لهذه الاصنام المتعددة وليكن البحث بعنوان (اصنام الجاهلية الحديثة) التي يزيدها خطورة خفاؤها وعدم الالتفات اليها حتى للمؤمنين فضلاً عن غيرهم.

اما على مستوى الشرك الخفي فالمصيبة اعظم وقلّما تجد عملاً مخلصاً وان ظن صاحبه ذلك فلماذا يكتب اسمه على لوحة كبيرة عندما يشيد مسجداً لو كان عمله لله ولماذا يمن بعطائه ويتحدث به لو كان مخلصاً؟

٢- والصفة الثانية من صفات الجاهلية هي ان الشريعة التي تنظم امورهم وتنظر في خصوماتهم بعيدة عن شريعة الله سبحانه ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾(٣) فكل حكم بغير ما انزل الله هو حكم جاهلية على تعبير القرآن ونحن نرى ان اكثر افراد مجتمعنا منضوون تحت عشائر تحكمها سنائن

---

(١) العنكبوت: ٤١.

(٢) النور: ٣٩.

(٣) المائدة: ٥٠.

عشائرية ما انزل الله بها من سلطان وضعها ناس جهلة بعيدون عن الله تبارك وتعالى وهذا كمثال ويمكن ان تضرب بطرفك في شرائح اجتماعية اخرى لترى مصداق ذلك وها انت ترى ان دول العالم المختلفة تتحكم فيها قوانين وتشريعات و(ايديولوجيات) من صنع البشر الناقص الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا يرى ابعد من ارنبة انفه، فتراه كل يوم يغيّر مادة ويضيف فقرة ويلغي اخرى ويكتشف خطأ غيرها فيرتق ما فتق وهكذا وقد وصف الحديث الشريف كل مخالفة للشريعة وتقصير في تطبيقها جاهلية نحو قوله عليه السلام: (من مات ولم يوصِ مات ميتة جاهلية).

ففرعون الذي يقول: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾(١) ليس حالة خاصة فردية بل هي متكررة دائماً عند الكثيرين ممن ينصبون انفسهم مشرعين من دون الله تبارك وتعالى.

٣ ـ ومن سمات الجاهلية انحراف عقائدها واليها اشير بقوله تعالى: ﴿ظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾(٢) فقد كانوا يعتقدون مثلاً انه مهما ارتكب الإنسان من موبقات فانه ينجو من العقاب اذا قرّب إلى الآلهة قرباناً، ومجتمعنا بفعل ما رسّخه خطباء المنبر الحسيني في اذهانهم يعتقدون انه مهما فعل من منكرات وكبائر فان دمعة واحدة على الحسين عليه السلام تكفيه لدخول الجنة انطلاقاً من الحديث الشريف: (من بكى على الحسين ولو

---

(١) غافر: ٢٩.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

مقدار جناح بعوضة وجبت له الجنة) واستدلوا بقول الشاعر:

فان النار ليس تمسُّ جسماً   عليه غبار زوار الحسين

ونحن لا ننكر كرامة الحسين عليه السلام على الله تبارك وتعالى فهو يستحق هذا التكريم وازيد، لكن هذا على نحو المقتضي وجزء العلة لدخول الجنة ولا بد من تمامه من جزء العلة الأخرى من الشروط وعدم الموانع وأول الشروط طاعة الله تعالى في اوامره ونواهيه وهذا القرآن صريح ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى**﴾(١) وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام (لن تنال شفاعتنا مستخفاً بالصلاة) ومنافٍ للآية الشريفة ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾(٢) الا ان يتدارك عمله بالتوبة الصادقة.

وهذا الانحراف في الاعتقاد له اثره الخطير في ابتعاد الناس عن الدين وقلّة وعيهم بعد ان خُدِروا بهذه العقيدة البعيدة عن القرآن وركونهم اليها فتركوا العمل بالقرآن.

٤-ومن معالم الجاهلية السفور والتبرج وإظهار المفاتن والتهتك وشيوع الفاحشة قال تعالى: ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾(٣) والمجتمع اليوم قد فاق تلك الامم بفسقه وفجوره وتفننه في الغواية والإضلال وإيقاع البشر

---

(١) الأنبياء: ٢٨.
(٢) الزلزلة: ٧ – ٨.
(٣) الأحزاب: ٣٣.

في الفاحشة وتسخّر كل امكانياتها المتطورة لترويجها وكما كانت الجاهلية تبتكر الاساليب وتضع قوانين لاشباع غريزتها الجنسية بطرق شيطانية فمثلاً سنت قريش قراراً يقتضي حرمة الطواف بالبيت بثيابه لانه قد عصى الله بها وارتكب الماثم فيها فلا بد ان يطوف بملابس من اهل مكة أو جديدة أو يطوف عارياً فكان من لا يجد ذلك يطوف بالبيت –رجلاً كان أو امرأة– عارياً ومنهم امرأة قد وضعت يدها على قبلها لتسترهُ وهي تنشد:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه   وما بدا منه فلا أحلُّه

واولياء الشيطان اليوم سنّوا اساليب لاشاعة الفاحشة غير ملاهي الفسق والفجور باسم الرياضة مثلاً التي لا تقل تهتكاً عمّا يجري في تلك الملاهي بل الملاهي ارحم لانها في الخفاء ويستهجنها الجميع ويستحي صاحبها ان يُلصق به عارها اما هذه فتمارس علناً ويفتخر بها صاحبها ويبارك عمله الجميع أترى أي العوبة هؤلاء بيد الشيطان يتصرف بهم كيف يشاء وهكذا العناوين والاسماء الأخرى كملكة الجمال أو باسم عرض الازياء أو باسم الفن وكلها استهتار ومجون وفسق وفجور ولكن بغطاء مقبول لدى المجتمع لا ينجو منه الا من عصم الله والهدف واحد هو ان تعيش البشرية همجية الحيوان وفوضى الجنس ونار الشهوة المستعرة التي لا تبقي ولا تذر.

٥ ـ ومن سمات الجاهلية فساد التصورات وانحراف الرؤية للحياة فمثلاً كان بعض الجاهليين يرفضون تزويج بناتهم من غيرهم لانهم يرون

انفسهم فوق الآخرين وهم ما يُسمَّون بـ(الحُمُس) وفي جاهلية اليوم توجد شرائح كثيرة ولعل اوضح مصاديقها بعض السادة المنتسبين لرسول الله ﷺ فانهم لا يزوجون نسائهم الا لسيد مثلهم وقد تعنّس بناتهم ويفوتها الزواج وتحرم من ممارسة حق مشروع لها في التنعم بتكوين اسرة وتعيش سعادة الامومة كل ذلك بسبب هذا التصور الخاطئ الجاهلي فاين هذه التصورات من مبادئ القرآن ﴿**خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**﴾(١) ومن تعاليم رسول الله ﷺ: (اذا رضيتم الرجل عقله ودينه فزوجوه) واذا كان لهم شرف بانتسابهم لرسول الله ﷺ فان شرف رسول الله ﷺ بانتسابه للاسلام ولطاعة الله تعالى وليس لانه محمد بن عبد الله ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(٢) ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ**﴾(٣) ويقول هو ﷺ: (ولو عصيت لهويتُ) فما قيمة هؤلاء الذين يتاجرون باسمه ﷺ وهم يخالفون شريعته؟

٦- ومن معالمها اختلاف القيم والموازين التي يتفاضل بها البشر من الهية حقيقية إلى شيطانية وهمية فالقرآن يصرّح ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾(٤) ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾(٥)

(١) النساء: ١.
(٢) الزمر: ٦٥.
(٣) الحاقة: ٤٤ – ٤٧.
(٤) الحجرات: ١٣.
(٥) يونس: ٥٨.

بينما الجاهلية تتفاضل بالمال والجاه وكثرة الولد ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾(١) ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(٢) وهذه الأمور من الوضوح بحيث لا احتاج إلى ذكر امثلة والايتان التاليتان توضحان هذه المقارنة الصارخة بين المقاييس ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ.قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٣).

ويقول تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾(٤).

٧ ـ ومن الخصائص المشتركة للجاهليتين انتشار الرذائل الخلقية واوضحها شرب الخمر والتطفيف في الميزان والغش والكذب واللواط ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾(٥) ﴿وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ﴾(٦) ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ - الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ - وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ

(١) التكاثر: ١.
(٢) سبأ: ٣٥.
(٣) آل عمران: ١٤ — ١٥.
(٤) سبأ: ٣٧.
(٥) العنكبوت: ٢٩.
(٦) الاعراف: ٨٥ هود: ٨٥ الشعراء: ١٨٣.

يُخْسِرُونَ﴾(١) بل يستهزءون من الانسان النظيف ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾(٢) بحيث ان جعفر بن ابي طالب سُجَل اسمه في التأريخ على انه ممن حرّم على نفسه الخمر والزنا في الجاهلية، ومن رذائل اخلاقهم ان القوي يأكل الضعيف وانعدام الاخلاق والمثل الانسانية فضلاً عن الإلهية والمهم هو المنافع الشخصية وها هي حضارة اليوم تسحق شعوباً بكاملها وتهللك الحرث والنسل من اجل ما يسمونه (المصالح) التي هي فوق كل شيء عندهم اما الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك والفوز في الاخرة فهذا تخلّف ورجعية قال تعالى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾(٣) فهذه غايتهم وهذا هو هدفهم الذي يعيشون من اجله هل لنا من الامر من شيء.

٨ ـ ومن اهم خصائص الجاهلية بل هي السبب في تحققها ترك الأمر بالعروف والنهي عن المنكر هذا الذي حذّر منه رسول الله ﷺ: (كيف بكم اذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ فقال: نعم، وشر من ذلك، كيف بكم اذا امرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ فقيل له: يا رسول الله ويكون ذلك؟ قال: نعم، وشر من ذلك، كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكراً

(١) المطففين: ١-٣.
(٢) الأعراف: ٨٢
(٣) آل عمران: ١٥٤.

والمنكر معروفاً)(١) وهذا ما وصلت اليه المجتمعات اليوم والتقصير أول ما يبدأ من علماء الدين أو الربانيين على تعبير القرآن وتخاذلهم وتقاعسهم عن اداء وظيفتهم واوضح مصداق للربانيين هم انتم يا طلبة وفضلاء الحوزة الشريفة قال تعالى: ﴿وَتَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ - لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾(٢) ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ - تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾(٣) وهذه خصيصة أخرى من خصائص المجتمع البعيد عن الاسلام وهي موالاة الذين كفروا، وعن هذا التقصير يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (اما بعدُ فانه إنما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك، وانهم لما تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر واعلموا ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقرّبا أجلاً ولن يقطعا رزقاً)(٤) وبدون القيام بهذه الفريضة لا تبقى للمؤمنين قيمة لا عند الله ولا عند رسوله بل ولا حتى عند اعدائهم لذلك كان هناك موحدون بين قريش وهم الاحناف الذين

---

(١) الوسائل: مج١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب١، ح١٢.

(٢) المائدة: ٦٢ – ٦٣.

(٣) المائدة: ٧٩ – ٨٠

(٤) الوسائل: مج١١، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبواب الأمر والنهي وما يناسبهما، باب١، ح٧.

نبذوا عبادة الاصنام وتفرّغوا لعبادة الله سبحانه لكن لم تكن لهم قيمة عند المشركين ولم يأبهوا بوجودهم لانهم تركوا هذه الفريضة العظيمة.

بينما جعل القيام بهذه الوظيفة من صفات المجتمع المسلم بحق ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾(١) ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٢) ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(٣) ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤) وغيرها كثير ولسنا هنا بدد الاستقصاء فان هذا البحث مبني على الاشارات فقط ومجرد فتح الباب للتفكير في هذه القضايا وكل باب ينفتح منه الف باب بلطف الله تبارك وتعالى وسعة رحمته.

٩ ـ ومن معالم الجاهلية سيطرة الخرافات والاساطير فمثلاً كانت العرب تتشاءم من صوت الغراب والبوم والغرب اليوم يتشاءم بلا معنى من رقم(١٣) وانتشر يومئذ العرافون والكهنة وراجت سوقهم واليوم نرى

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الحج: ٤٠ – ٤١.

(٣) آل عمران: ١٠٤.

(٤) التوبة: ٧١.

اقبال الناس على قارئي الكف والرمل والابراج والطريحة واصحاب النور والمطوعات ونظائرها مما ينطلي على الجهلة والسُذَّج.

١٠ ـ ومن سمات الجاهلية الصدّ عن هذا القرآن وعزل الناس عنه بشتى الطرق فقد كان النضر بن الحارث وهو ممن ذهب إلى بلاد فارس وتعلّم من اخبار ملوكهم يتعقب رسول الله صلى الله عليه وآله فاذا قام صلى الله عليه وآله من مجلس جلس اليهم النضر وتحدث لهم ثم يقول: بالله ايّنا احسن قصصاً انا أو محمد وكانوا يصفون القرآن بانه اساطير الأولين أو احاديث اكتتبها فهي تملى عليه بكرةً واصيلا أو حديث يفترى مبين أو يصفقون بصوتٍ عالٍ عند تلاوته صلى الله عليه وآله للقرآن ليحولوا دون سماعه ويصف القرآن موقفهم هذا بقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(١) وقال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ﴾(٢) وها هي جاهلية اليوم تصف القرآن نفس الاوصاف انه من كلام محمد ويمثل نبوغاً انسانياً وليس وحياً الهياً وحاولوا التأليف في متناقضات القرآن ولكنهم لما عجزوا واكتسحهم القرآن وفرض وجوده عليهم عمدوا ـ بما اوتوا من خبث ومكر وخداع ـ إلى تفريغه من مضمونه وعزله عملياً عن واقع الحياة وحولّوه إلى ما يشبه الاناشيد والاغاني التي يترنم بها المطربون ويعبّر الجالسون عن طربهم بصيحات (الله الله يا شيخ) وحولّوه إلى تعويذات يعلّقوه على صدورهم أو في بيوتهم لا ازيد من ذلك وهذا الاسلوب كما ترى اخطر من اسلوب النضر بن الحارث وامثاله واشد مكراً وافتك اثراً.

---

(١) فصلت: ٢٦.

(٢) القمر: ٢.

١١- ومن التصرفات البارزة التي يتصف بها الجاهليون هي الجمود على التقاليد الموروثة عن السلف والتزمت في الالتزام بها وعدم الخروج عنها وان قام الدليل والحجة على خلافها وهذا التصرف نتيجة التحجر وعدم السلامة في التفكير وتحكيم العاطفة باعتبار ان الشيء الذي تتوالى عليه اجيال من الاباء والاجداد يكتسب قداسة يصعب اختراقها وقد كرّر القرآن هذا المعنى كثيراً بحيث نستطيع ان نفهم منه انّ هذه كانت من المحن التي اشترك فيها جميع الانبياء قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾(١) ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءهُمْ ضَالِّينَ - فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾(٢) ﴿قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾(٣) ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ- وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ- قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾(٤) فالايتان الاخيرتان تدلان على ان هذه المحنة الكبيرة تواجه كل من يريد ان يحرر مجتمعه ويسعى لاصلاحه لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾(٥) وليست مختصة بالانبياء وحدهم.

---

(١) البقرة: ١٧٠.
(٢) الصافات: ٦٩ — ٧٠.
(٣) الأعراف: ٧٠.
(٤) الزخرف: ٢٢ — ٢٤.
(٥) الزخرف: ٢٣.

وجاهلية اليوم لا تختلف عن الجاهلية الأولى في ذلك والشواهد عليها كثيرة وقد عانت مجتمعاتنا كثيراً من هذه (النزعة الاستصحابية) على تعبير احد المفكرين الحوزويين..

١٢- ومن علامات الجاهلية عدم معرفة الإمام الحقيقي (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ولا يراد بالمعرفة معرفة الاسم فقط بل معرفة المسؤولية الكاملة والتكليف التام تجاه الإمام والقيام بها حق القيام وهذا التقصير واضح منّا تجاه صاحب العصر (ارواحنا له الفداء) وقد وصف الدعاء المأثور هذه الجاهلية (اللهم عرفني نفسك فانك ان لم تعرفني نفسك لم اعرف نبيّك اللهم عرفني رسولك فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف حجتك اللهم عرفني حجتك فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني) والضلال عن الدين هو عين الجاهلية.

وهذا ما يحتاج إلى بحث كامل عن لزوم وجود الامام والحجة في كل زمان وتكليفنا في زمان الغيبة ومسؤوليتنا تجاه الامام(عليه السلام) والاجابة عن الكثير من التساؤلات والمشاكل الفكرية التي تحاط بها قضية الامام(عليه السلام) مما هو غائب عن ذهن المؤمنين به فضلاً عن غير المؤمنين به اصلاً بينما هم(عليهم السلام)(باب الله الذي لا يؤتى الا منه) فكيف يهتدي إلى الله سبحانه من لا يعرف بابه فماذا بعد الله الا الضلال المبين.

١٣ ـ ومن سماتها الخضوع للماديات وعدم الاعتراف بما وراء المادة

وانكار الغيب ﴿وَقَالُواْ إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾(١) ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾(٢) فيأتي القرآن ليؤسس لهم اهدافاً سامية يعيشون من اجلها ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(٣) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾(٤) ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(٥) فالإنسان ما خلق فقط لهذه الدنيا حتى يكرس همه لها بل جعل في الأرض خليفة ليستعمرها ويجعلها حرثاً لاخرته وخالقه يحصي عليه اعماله لينظر كيف يعمل ويأتي التوبيخ الالهي لمثل هذا الإنسان الغارق في الماديات ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى- أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى- ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى- فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى- أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾(٦)، بلى سبحانك اللهم انت قادر على لك وكل شيء، نعم، لكن هذا لا يمنع من ان يأخذ نصيبه من الدنيا من دون ان يجعله هدفاً وغاية وانما يوظفه لخدمة الهدف الحقيقي وهو رضا الله تبارك وتعالى ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ

---

(١) الأنعام: ٢٩.
(٢) الجاثية: ٢٤.
(٣) الذاريات: ٥٦.
(٤) هود: ٦١.
(٥) يونس: ١٤.
(٦) القيامة: ٣٦ – ٤٠.

وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(١) فليس النقص والخلل في حيازة الدنيا وانما النقص في ان تُجعَل هدفاً ولا تستثمر في الازدياد من الطاعة وهل درجات الآخرة الا من حصاد استثمار هذه الدنيا لذا قيل (الدنيا مزرعة الاخرة) وفي حديث آخر (الدنيا متجر اولياء الله) ففيها يتاجرون مع الله تجارة لن تبور.

١٤- ومن سمات الجاهلية التشتت والتفرق والتمزق قال تعالى: **﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾**(٢) وكل ذلك بسبب تضييعهم للمحور الواحد الذي يجب ان يجتمعوا حوله وهو توحيد الله تبارك وتعالى وجعلت الكعبة المشرفة رمزاً له لكن المجتمع البعيد عن الله يتمزق دولاً وبلدان أولاً حتى وصل عدد دول العالم اليوم ازيد من (١٨٠) دولة ويتمزق اجناساً ويتمزق قوميات حتى داخل البلد الواحد ويتمزق فكرياً فهذا شيوعي وهذا رأسمالي وهم ابناء بلد واحد وقومية واحدة ودين واحد ويتمزقون ايدلوجياً حتى داخل الدين الواحد بل داخل المذهب الواحد وكل طائفة تنقسم على نفسها فرقاً وهكذا (كل حزب بما لديهم فرحون) وقد نبه القرآن إلى ان هذا التفرق هو احدى عقوبات الابتعاد عن المنهج الآلهي قال تعالى: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾**(٣) وجاء الإسلام ليوحدهم

---

(١) القصص: ٧٧.

(٢) الروم: ٣١ – ٣٢.

(٣) الأنعام: ٦٥.

بهذا القرآن ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١) ﴿وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ . وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

١٥- ومن سمات الجاهلية الواضحة الرعب من الموت ومن كل ما يوحي به أو يشير اليه وذلك لانهم خسروا الآخرة وجعلوا غاية همهم اشباع شهواتهم واطماعهم ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ - وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ- وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾(٣) ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاء لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ- وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(٤) ﴿فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾(٥) لكن القرآن يقرر لهم حقيقة دامغة لا مفر منها ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ

---

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) الأنفال: ٦٢ – ٦٣.

(٣) البقرة: ٩٤ – ٩٦.

(٤) الجمعة: ٦ - ٧.

(٥) الأحزاب: ١٩.

فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(١) ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً﴾(٢) ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٣) ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾(٤) فالخوف من الموت لا يكون الا بالاستعداد له بالايمان والعمل الصالح وإعمار الآخرة بما يرضي الله تبارك وتعالى ويقرب منه.

واشعر انني إلى هنا قد قدمت اشارة كافية وفتحت باب التفكير بمقدار كافٍ في هذا الاتجاه لانَّ أهم خطوة في معالجة امراضنا الاجتماعية هي تشخيص الداء بدقة ومن ثم وصف العلاج المناسب.

واتضح لدينا الآن من خلال هذه النقاط العديدة تحقق عنوان الجاهلية في البشرية اليوم وعلمنا ان لطف الله بعباده دائم ولا يختص بقوم دون قوم فجاهلية الأمس ليست أولى من جاهلية اليوم ولا خصوصية لها حتى ينزل اليها تبارك وتعالى قرآناً ويبعث اليهم رسولاً ويترك جاهلية اليوم سدى فما أحوجها إلى مصلح وهو الحجة بن الحسن (ارواحنا له الفداء) وما احوجنا إلى القرآن لينقذنا من حضيض الجاهلية إلى قمة الاسلام ولنكرّس جهدنا في الاستفادة من قابلية القرآن وقدرته على علاج امراض البشرية

---

(١) الجمعة: ٨.

(٢) الاحزاب: ١٦.

(٣) النساء: ٧٨.

(٤) آل عمران: ١٥٤.

والارتقاء بها في سلّم الكمال، فان القرآن خالد وحيّ ومعطاء إلى يوم القيامة ومن خلوده قدرته على تشخيص الداء وتقديم الدواء لكل مجتمع وكل زمان ومكان وما علينا الا ان نستشير كوامن القرآن ونلتمس منه دواء دائنا وامراضنا الاجتماعية والفردية فاذا أصيبت الأمة بالتمزق والتشتت فدواؤهم ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾(١) بعد معرفة ان حبل الله هما القرآن وأهل البيت عليهم السلام بحسب الحديث الشريف، واذا أصيبت الأمة بالجبن والخَوَر فعلاجهم ﴿اينَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٢) ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾(٣) واذا مرّ المجتمع ببلايا ومصاعب ومحن فشفاؤهم في قوله تعالى ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾(٤) واذا شعروا بالاحباط واليأس فعلاجه ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾(٥) ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ﴾(٦) ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾(٧) واذا القينا مسؤولية الانحراف والظلم على غيرنا أو على الزمن فلنقرأ ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ

(١) آل عمران: ١٠٣.
(٢) النساء: ٧٨.
(٣) الجمعة: ٨.
(٤) البقرة: ٢١٤.
(٥) يوسف: ٨٧.
(٦) الحجر: ٥٦.
(٧) غافر: ٥١.

اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِك﴾(١) ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾(٢) ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾(٣) واذا انصاع الناس وراء الكثرة الكاثرة ولسان حالهم(حشر مع الناس عيد) بلا تعقّل وروية وبصيرة أجابهم القرآن ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾(٤) ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ﴾(٥) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون﴾(٦) ومن الامراض الاجتماعية التي عالجها القرآن (الاشاعة) وهو داء فتاك يفرق المجتمع ويزلزل كيانه ويبلبل افكاره فقال فيها وفي علاجها: ﴿وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٧) وغيرها الكثير مما يعالج عللنا المزمنة.

---

(١) النساء: ٧٩.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) آل عمران: ١١٧.

(٤) يوسف: ١٠٣.

(٥) الأنعام: ١١٦.

(٦) يوسف: ١٠٦.

(٧) النساء: ٨٣

دروس مستفادة من

طريقة القرآن في اصلاح النفس والمجتمع

وهنا ينبغي الاشارة إلى بعض الدروس المستفادة من طريقة القرآن في اصلاح المجتمع وهدايته:

١- الالتفات إلى جانب العلل اكثر من المعلولات عند معالجة حالة معينة وهو شيء مهم وضروري فعندما يراجع المريض طبيباً ويشرح له الاعراض التي يعاني منها فان اهم ما يقوم به الطبيب تشخيص العلة وتعيين العلاج لها اما الاكتفاء بمعالجة الاعراض المرضية كوجع الرأس والم البطن أو ارتفاع درجة الحرارة من دون ان يشخّص العلة فهذا من خطل التفكير، فمثلاً ان من يريد ان يعالج ظاهرة التبرج أو ميوعة الشباب وتقليدهم للغرب أو امتناع الناس عن دفع الخمس أو اداء الصلاة أو ارتكابهم للفواحش كشرب الخمر واللواط أو قل عموم ابتعاد الناس عن تطبيق شريعة الله وتعمدهم مخالفتها لا يكتفي بان يقول لهم هذا واجب فافعلوه وهذا حرام فاتركوه لانهم مسلمون ويعرفون ذلك فلا بد من تشخيص العلة لضعف الوازع الديني عندهم الذي هو الدافع للتطبيق ومن ثم علاجه وضعف الوازع الديني انما منشؤه ضعف الجانب الاخلاقي والعقائدي لدى المجتمع لذا ركز القرآن في مكة أي في أوائل نزوله على هذين الجانبين بما طرح من عقائد ودافع عنها بالادلة المختلفة ورد الاشكالات الموجّهة اليها وغالباً

ما كان يثير كوامن فطرتهم لانه دليل وجداني مرتكز في باطن كل إنسان ولا يستطيع احد إنكاره والتنصل منه واهتم بعرض مشاهد يوم القيامة وسنن الله في الامم السالفة وعرض الكثير من مواقف العظة والعبرة حتى ايقظ عقولهم وطهّر قلوبهم وعندئذٍ كلّفهم بالاحكام فاستجابوا لها طواعية ونحن نعلم ان فترة التربية في مكة كانت اكثر منها في المدينة ومن هذا يعلم الاهتمام المتزايد بجانب العلل اكثر من المعلولات.

٢- ومن هنا ينفتح الكلام عن الدرس الثاني المستفاد من طريقة القرآن في اصلاح النفس والمجتمع وهو ضرورة بناء الجانب الاخلاقي والعقائدي لشخصية المسلم وقد اعتمد القرآن في هذا البناء على عدة اساليب ذكرتها في دروس (فلنرجع إلى الله) وقلنا هناك انه سلك طريق العوالم الثلاثة التي يعيشها الانسان (العقل، القلب، الروح) فمثلاً يربط بين منع السماء بركاتها والارض خيراتها وتسلّط الاشرار وعدم استجابة الدعاء فيجعل علتها ابتعاد الناس عن شريعة الله وترك فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمن اراد ان يتخلص من هذه النتائج السيئة فليؤدِ هذه الفريضة ففي الحديث: (اذا تركتم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر نزعت عنكم البركات ونزلت عليكم البليات وسلّطتُ عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم).

وكان على راس هذه الاساليب ما اشرنا اليه من عرض مشاهد واهوال الموت وما بعده ويوم القيامة وحوار الكافرين والفاسقين في النار ومع شياطينهم والتذكير بسنن الله تبارك في المعرضين عن طاعته ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾(١) ﴿فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(٢) وتعداد نعمه على العباد التي لا تعد ولا تحصى مع اقرارهم بحقيقة فطرية(هل جزاء الاحسان الا الاحسان) ثم بيان السعادة التي تعمر قلب الانسان وحياته ومجتمعه لو طبّق شريعة الله ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾(٣).

ان العقيدة والاخلاق هي التي ترسم الهدف الذي يعيشه الانسان وبالتالي فهي تحدد معالم مسيرته، فمثلاً اذا اريد التبرع لمشروع خيري أو مساعدة محتاج فايهما الذي يبادر إلى المشاركة: المؤمن الذي يبتغي رضا الله سبحانه و يرجو العوض منه ام البعيد عن الدين الذي غاية همه الاستزادة من الدنيا والذين هم﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾(٤) فالأول اسرع للمشاركة فهذا مثال على اثر العقيدة والاخلاق في دفع الانسان إلى التطبيق، فالمؤمن هدفه الله تبارك وتعالى فكونوا من ابناء الله والآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا، وانما انحدرت الأمة وضلت لانها اضاعت الهدف الذي تعيش من اجله فتفرقت بهم السبل ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٥) فما علينا الا ملئ هذا الفراغ في عقول وقلوب المجتمع حتى

---

(١) محمد: ١٠.
(٢) آل عمران: ١١.
(٣) الاعراف: ٩٦.
(٤) الممتحنة: ١٣.
(٥) الأنعام: ١٥٣.

تصح مسيرته وتنتظم حياته وفق ما اراد الله تبارك وتعالى وان نأخذ بطريقة القرآن في احياء القلوب وترقيقها وتهذيب النفوس وتغذيتها بالعقائد الحقة التي هي منشأ الاخلاق الفاضلة ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١).

وهذا باب ينبغي للمفكرين والمربين الولوج فيه وهو اسلوب القرآن في الموعظة واحياء القلوب وجمع الآيات الشريفة فيه التي لو تأملها العاقل لاعاد النظر في منهج حياته كثيراً كقوله تعالى في سورة الدخان: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ .وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ. كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ .فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾(٢).

واني انصح بقراءة كتاب (القلب السليم) الذي يتألف من جزئين اولهما في العقائد والآخر في الاخلاق وهما صادران من قلب مخلص طاهر.

٣- التدريجية في الهداية والاصلاح والأخذ بايدي الناس برفق ومثالهم الرئيسي على ذلك: التدريج في تحريم شرب الخمر ـ باعتباره عادة راسخة في المجتمع وقد اشربت في قلوبهم وعقولهم ـ فتدرج في المنع على مراحل، اولها ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(٣) فقال بعضهم لا نشربها لانها اثم وقد حرم الله الفواحش ما ظهر

---

(١) الحديد: ١٦.

(٢) الدخان: ٢٥ — ٢٩.

(٣) البقرة: ٢١٩.

منها وما بطن والاثم وقال بعضهم نشربها بمقدار المنافع فيها، ثم نزل قوله تعالى: ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾(١) فامتنع بعضهم وقالوا لا نتناول شيئاً منافياً للصلاة، ثم نزلت آية المائدة التي افادت المنع المؤكد الجازم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾(٢) ونفس نزول القرآن نجوماً أي مبعضاً على مدى (٢٣) سنة انما يهدف -فيما يهدف اليه- المعالجات الآنية آخذاً بنظر الاعتبار الزمان والمكان والظروف الموضوعية وتباين مستوى الناس واستعدادهم للتلّقي والتطبيق.

ويمكن ان يكون التدرج بعدة اشكال فعندما يراد معالجة ظاهرة اجتماعية متأصلة ـ كالسنينة العشائرية مثلاً ـ فنبدأ أولاً باثارة الاشكالات حول مدى صحتها وجدواها والتشكيك فيها ثم طرح البدائل والخيارات الاخرى المقابلة لها فاذا زرع في النفوس هذا التشكيك وبدا الالتفات إلى البديل الافضل فستنشأ القناعة بابدالها وعندئذٍ يمكن التصدي لنقضها اما محاولة نقضها مباشرة ومن دون هذه التهيئة فانه يعني الفشل الذريع ومادامت راسخة ومتأصلة وقد جُبل الانسان على احترام ما هو مألوف وموروث عنده والتعبد به فسيكون هؤلاء المتعبدون كلهم ضد اية محاولة لتغيير هذه الظاهرة الاجتماعية.

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

فعندما بُعث الرسول صلى الله عليه وآله بالنبوة لم يتعرض للاصنام مباشرة بل كان يعبد الله تعالى هو صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وخديجة عليها السلام بمرأى ومسمع من قريش من دون ان تتعرض له بسوء لكنه صلى الله عليه وآله فتح الباب للعديد من التساؤلات: ماذا يفعل هؤلاء الثلاثة ولمن يعبدون ولماذا تركوا طريقة قومهم وما هذه الشجاعة والايمان الراسخ في قلوبهم الذي يجعلهم يقفون بكل اطمئنان مقابل الجميع ... هذه التساؤلات ادت إلى اسلام جماعة (راجع قصة عبد الله بن مسعود في كتب السيرة) ولم تعارضه قريش لانه لم يستفزها ولم يُثِر حفيظتها فيما لو تعرض للاصنام مباشرة.

٤ـ الاهتمام والفات نظر الأمة إلى المرتكزات الاساسية لكيان الأمة الذي لا يحفظ الا بها خصوصاً تلك التي يُعلم اعراض الأمة عنها واهمالها لأمرها من بعده صلى الله عليه وآله فشدد عليها كثيراً مثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإمامة والولاية للمؤمنين ومشاققة الكافرين ومودة ذوي القربى والاعتصام بالقرآن والعترة والمواظبة على المساجد والجماعات والجمعات وما ان غاب شخصه صلى الله عليه وآله حتى اهملت الأمة هذه الاسس الرصينة لحفظ كيانها فبدأ العدّ السريع للانحراف فاي عودة للصلاح والإصلاح لا بد لتحقيقها من اعادة دور هذه الأمور في حياة الأمة إلى بحوث مستقلة باذن الله تعالى.

٥ـ التسلية وتطييب الخاطر والتخفيف عن المصاعب والاتعاب التي تواجه الشخص الذي يسعى إلى اصلاح المجتمع وهدايته أو ما سميناه بحامل

القرآن كرسالة اصلاح ﴿المص. كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١) و﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ﴾(٢) ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللّهِ وَلاَ تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلاَ تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ - إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾(٣) ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾(٤) وارق تعبير والطفه قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٥) عين الرعاية واللطف والرحمة والحراسة والتوجيه والبصيرة وغيرها. وتجد سوراً كاملة نزلت لهذا الغرض كسورة يوسف التي تحس انها نزلت في الفترة العصيبة التي عاشها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في مكة قبل الهجرة حيث فقد الناصر بموت ابي طالب وخديجة عليها السلام ويأس عملياً من إسلام قريش وحاول ان يجد مأوى آخر غير مكة كالطائف فلم يفلح فضاقت الدنيا بالمؤمنين وفي ذلك الحين نزلت عليهم سورة يوسف تقص عليهم كيف تآمر الأخوة على أخيهم الصغير ورموه في الجب وهو يعني الموت بحسب الاسباب الطبيعية لكن الله تعالى يرسل قافلة تستنقذه ويباع إلى بيت ملك مصر ثم يقع في محنة امرأة العزيز وباقي النساء فيسجن سنين لكن

(١) الأعراف: ١ — ٢.
(٢) هود: ١٢.
(٣) النحل: ١٢٧ — ١٢٨.
(٤) آل عمران: ١٨٦.
(٥) الطور: ٤٨.

الله تعالى ينقذه من السجن ويعلمه تأويل الأحاديث فنال ببركة ذلك موقع أمين خزائن مصر ثم يصبح ملكاً عليها بعد ان ملك قلوب الناس باخلاقه وحسن تدبيره وهنا ياتي اولئك الأخوة المتآمرين ذليلين بين يديه فيعفو عنهم بنفسه الكبيرة وقلبه الرحيم ويقول لهم ﴿لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١) ويجمع الله شمله مع ابيه واخيه واستعار نفس الكلمة رسول الله صلى الله عليه وآله حين فعلت قريش نفس الفعل حتى نصره عليهم ومكنه من رقابهم في عقر دارهم مكة فاعاد عليهم كلمة اخيه الكريم يوسف عليه السلام وقال صلى الله عليه وآله: لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فانتم الطلقاء بعد ان استنطقهم (ما تروني فاعلاً بكم) قالوا (أخ كريم وابن عم) وهذا اقرار منهم بسمو ذاته صلى الله عليه وآله كما اقر اخوة يوسف لاخيهم من قبل وهكذا تفهم سورة القصص التي تحكي رعاية الله لموسى عليه السلام وخسف الارض بقارون.

٦- الحث على طلب العلم والتعلم والتفقه بكل ما يقرب إلى الله سبحانه ويزيد من المعرفة به وقيل ان في القرآن اكثر من خمسمائة آية تحث على العلم والتفكر وتثني على العلماء وتذم الجهل والجهلاء وتصف عاقبتهم حتى جعل القرآن صفة الفقه والعلم والمعرفة بالله تبارك وتعالى سبباً لمضاعفة قوة المؤمنين على اعدائهم عشرة اضعاف بحسب التعليل المستفاد من ذيل الآية الشريفة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ

---

(١) يوسف: ٩٢.

أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾(١) بينما جعل الصبر الذي هو من الاسباب المهمة للنصر بمثابة زيادة القوة ضعفا واحداً فقط قال تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُواْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢) وهذا الفقه شامل لكل نواحي الحياة فماذا ضخّ القرآن من افكار تندرج في ما يمكن تسميته فقه المواجهة مع الكفار قال تعالى: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾(٣) فلماذا الفرار من لقائهم ما دامت الاضرار تحلُّ بالطرفين والفرق انكم ترجون ما عند الله في الآخرة فلا خسارة بينما هم لا يرجون عند الله شيئاً الا العذاب الأليم وقوله تعالى: ﴿وظنوا انهم مانعتهم حصونهم(٤) من الله فأتاهم من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين فاعتبروا يا اولي الابصار﴾(٥) وقوله تعالى: (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب(٦) ان يتخلفوا عن رسول

---

(١) الأنفال: ٦٥.

(٢) الأنفال: ٦٦.

(٣) النساء: ١٠٤.

(٤) والحصون عنوان ينطبق على مصاديق كثيرة ومنها التكنولوجيا المعاصرة التي يتسلحون بها ويتخفون ورائها ويتحصنون بها لتحميهم من امر الله وهم بذلك يشبهون ابن نوح الذي قال: ﴿سآوي إلى جبل يعصمني من الماء﴾ والجبل يعني كل اسباب المنعة ونقاط القوة التي تتميز في حياة المجتمع كتميز الجبال على الارض ومنها المال والجاه والعشيرة والمتسلطون والاسلحة المتطورة والتكنولوجيا الحديثة فكلها (حصون) و(جبال) يظن الملتجئ اليها انها تعصمه من امر الله فكان الجواب الالهي واحدا دائماً (لا عاصم اليوم من امر الله) هود: ٤٣.

(٥) الحشر: ٢.

(٦) بل كل افراد المجتمع المسلم.

الله(١) ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدوٍ نيلاً الا كتب لهم به عمل صالح، ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون)(٢) فلماذا التقاعس والتقصير في تقديم ما تقتضيه طاعة الله تبارك وتعالى من جهدٍ ومالٍ ولماذا سوء الظن بالله تعالى هذا الذي يعتري الناس حين يُطلَبُ منهم دفع ما بذمتهم من حقوق شرعية كالخمس والزكاة ونحوها ومنها قوله تعالى: ﴿ثمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقاً عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣) ومنها هذه الايات المباركة من سورة محمد واذا استطعت ان تنتقل بروحك وفكرك وقلبك إلى تلك الفترة الزمنية السعيدة من حياة البشرية وتتصور انك ضمن الجماعة المؤمنة المحيطة برسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ التي واكبته من الزمان الصعب اول الرسالة عندما كانوا قلة مستضعفين تسومهم قريش سوء العذاب حتى هذه الفترة التي دبّ فيها العجز واليأس لدى المشركين بعد وقعة الاحزاب حيث اصبح زمام المبادرة بيد رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِ وتوالت انتصاراتهم من فتح الحديبية إلى فتح خيبر وفتح مكة والطائف ثم اليمن والجزيرة كلها فتصور انك هناك وينزل عليك هذا الخطاب القرآني العظيم ومن لدن ربّك ومدبّر امورك وخالق السموات والارض يتحدث

---

(١) الذي هو عنوان لكل شخص يتصدى لهداية مجتمعه إلى رضا الله تبارك وتعالى.

(٢) التوبة: ١٢٠ – ١٢١.

(٣) يونس: ١٠٣.

اليه مباشرة ليقول لك: (بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزّل على محمد وهو الحق من ربهم كفّر عنهم سيئاتهم واصلح بالهم، ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم، فاذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقابِ حتى اذا اثخنتموهم فشُدُّوا الوثاق فاما منّاً بعدُ واما فداءً حتى تضع الحرب اوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض، والذين قُتِلوا في سبيل الله فلن يُضِلَّ أعمالهم، سيهديهم ويصلح بالهم، ويُدخِلهمُ الجنة عرفها لهم، يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والذين كفروا فتعساً لهم واضلّ اعمالهم، ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم، افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين امثالها، ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم(١) ان الله يُدخِلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناتٍ تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم، وكأين من قريةٍ هي اشدُّ قوةً من قريتك التي اخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم، أفمن كان على بينةٍ من ربّه كمن زُيّن له سوء عمله واتبعوا

---

(١) وهذه الاية تمثل الاطار العام لهذه المقابلة فان المؤمنين لهم مولى يرعاهم ويتولى تربيتهم وسعادتهم وصلاحهم وهو الله تبارك وتعالى بينما الكفار لا مولى لهم وانما مولاهم الشيطان الضعيف الذي يفر عند المواجهة ويخذلهم ﴿واذا زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال اني برئ منكم اني ارى ما لا ترون إني اخاف الله والله شديد العقاب﴾ الانفال: ٤٨.

اهوائهم)(١) ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون﴾(٢).

وهو اثناء ذلك يحذر من محاولات المنافقين الذين يخذلون المؤمنين عن مواجهة الاعداء ويسخرون من تهورهم وضعف امكانياتهم متغافلين عن سر قوة المؤمنين وهي اتصالهم بالله تبارك وتعالى فاسمعه يقول: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

وتندرج في هذا السياق -اعني فقه المواجهة مع الكفار- كل الوعود الالهية بالنصر والغلبة ووراثة الارض وان العاقبة لهم وان الله معهم وتنزل الملائكة عليهم بالسكينة من ربهم ورفع الخوف والحزن عنهم وعقد صفقة الشراء معهم فيشتري منهم انفسهم واموالهم والثمن الجنة وكذا مضاعفة القرض لله تبارك وتعالى والانفاق في سبيله ولا يسع هذا المختصر كل التفاصيل.

والحقيقة الكبرى التي يثبتها القرآن الكريم بهذا الصدد ان النصر

(١) محمد: ١ ـ ١٤.
(٢) النور: ٥٥.
(٣) الأنفال: ٤٩.

والهزيمة امام العدو الخارجي -الكفار- انما هي فرع النصر والهزيمة مع العدو داخل النفس الامارة بالسوء وهو الشيطان فتراه عندما يعد المؤمنين بخلافة الارض ووراثتها ومن عليها فانه يجعل الخطوة الاولى في ذلك اصلاح الذات وتطبيق المنهج الالهي على النفس أولاً قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ - وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُون**﴾(١) فأولاً جعلهم ائمة وهو يعني تطهير ذواتهم وتنزيهها ويؤكد ان لا قيمة للنصر على الكفار اذا لم يكن مقترناً بالنصر على الشيطان واخلاص العمل لله سبحانه لان العمل ان لم يكن ابتغاء مرضاة الله فهم والكفار على حد سواء وكلاهما أهل دنيا وماله في الآخرة من نصيب، فمثلاً في خضم هزيمة المسلمين في معركة احد والخسارة الاليمة التي حلّت بهم يخاطبهم: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ**﴾(٢) فهزيمتهم وادبارهم كان بسبب ما اكتسبوا من السيئات، وبالمقابل يقول: ﴿**إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُم**﴾(٣) ونصر الله يكون بطاعته تبارك وتعالى والا فانه غني عن العالمين، والآية المتقدمة ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ...** ﴾(٤) ومن هنا خاطب رسول الله صلى الله عليه وآله سرية مجاهدين عادت من القتال: (مرحباً بكم، قضيتم الجهاد الاصغر وبقي عليكم الجهاد الاكبر. قيل: وما هو يا

---

(١) القصص: ٥ ـ ٦.

(٢) آل عمران: ١٥٥.

(٣) محمد: ٧.

(٤) النور: ٥٥.

رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: جهاد النفس).

فعندما يهتم المسلمون اليوم بأمر الدولة الصهيونية اللقيطة ويسعوا إلى ازالتها عليهم ان يلتفتوا ان هذه الدولة ما هي الا احد الاعراض المرضية التي تظهر على جسد الأمة الاسلامية نتيجة وجود مرض كامن فيها هو الاصل والعلة لهذه الاعراض والمرض هو ابتعاد المسلمين عن المنهج الالهي في حياتهم فلا ينبغي لهم الاهتمام بالاعراض المرضية والغفلة عن علة هذه الاعراض ويكون مثلهم كما يجري في ساحة مصارعة الثيران ـ على تشبيه احد المفكرين ـ (١) فالثور الهائج يركز كل همه وعدائه وغضبه وقوته إلى الخرقة الحمراء ويغفل عن المصارع الحامل لها فراح هذا المصارع يغرز في عنقه الخناجر التي تصيب مقتله وهو غافل عنه حتى يموت ويفنى فلا يكون حالنا كحال ذلك الثور؟! وانت ترى ان الامة تقترب من النصر على اعدائها كلما اقتربت من النصر على ذاتها وبمقدار ما تعود وترجع إلى الله تبارك وتعالى.

٧- تكرار واستمرار جرعات العلاج وعدم الاكتفاء بعرض العلاج لمرة واحدة عند التصدي لتصحيح حالة منحرفة أو سد نقص أو علاج خلل موجود في فكر الأمة أو عقيدتها أو سلوكها فمثلاً تجد قصص بعض الانبياء قد تكررت اكثر من عشر مرات وكل طرح له ذوقه واثره ودوره في تحقيق الغرض ويترك انطباعاً غير الذي يتركه الآخر وان كان الجميع بنفس

---

(١) وهو الشيخ جودت سعيد.

المضمون فعندما نريد ان نتناول قضية تبرج المرأة امام الرجل وخلاعتها ونصب نفسها شيطاناً يصدُّ عن ذكر الله تعالى وطاعته لتجسّد عملياً قول ابليس ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ - ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾(١) وهذه الفاسقات تستعمل شتى الاساليب لغواية الرجال وايقاعهم في المعصية من السفور المتبرج في الشارع إلى الحركات المتميعة في الجامعات إلى ابداء مفاتن الجسد في الرياضة إلى المشاهد الخليعة في الفن فعندما نريد ان نتصدى لمواجهة هذا الداء الفتاك في المجتمع فيمكن معالجته في كتاب عن الظواهر الاجتماعية المنحرفة وكتاب عن قضايا المرأة وكتاب عن اثر الرياضة والفن في تدمير اخلاقيات المجتمع وكتاب عن مشاكل طلبة الجامعات وهمومهم وتطلعاتهم وكتاب بنفس المضامين عن الشباب وكتاب عن فقه العائلة ويتضمن الروابط الاسرية والاجتماعية وفق تعاليم الشريعة وهكذا لان هذه المشكلة الخطيرة تدخل في جميع هذه المحاور وتناولها في كل المحاور يعطيها صورة ونمطاً غير الذي يعطى عند عرضها في محور آخر ولا اقل من ازدياد عدّد الشرائح التي تخاطبها هذه الكتب وبالنتيجة تكون الصورة متكاملة عندما تُتناول من جميع الاتجاهات.

٨- سلوكه مختلف الطرق لهداية الانسان ولما كان له عوالم ثلاثة هي النفس والعقل والقلب فتجده قد سخّرها جميعاً ووظفها لاستمالة البشر

---

(١) الأعراف: ١٦ – ١٧.

إلى طاعة الله تبارك وتعالى وقد شرحتُ ذلك بشيء من التفصيل في دروس (فلنرجع إلى القرآن).

وتجده كثيراً ما يستنطق الفطرة ويستثيرها وقد وُصِف علة انزال القرآن في بعض الاحاديث انه: (ليستثير كوامن فطرتهم) فان الوجدان اوضح دليل واصدقه لا يناقش فيه احد فاستمع اليه وهو يخاطب الفطرة في اثبات الصانع ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ - أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾(١) ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ - أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾(٢) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ - أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾(٣) ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ - أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِؤُونَ﴾(٤) أو يقول وهو في مقام عتاب الانسان العاصي ﴿هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾(٥) وانت ترفل في نعم الله تبارك وتعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾(٦).

---

(١) الواقعة: ٥٨ — ٥٩.
(٢) الواقعة: ٦٣ — ٦٤.
(٣) الواقعة: ٦٨ —٦٩.
(٤) الواقعة: ٧١ — ٧٢.
(٥) الرحمن: ٦٠.
(٦) ابراهيم: ٣٤. النحل: ١٨.

كيف السبيل إلى اعادة القرآن إلى الحياة

واعود الآن إلى التساؤل الذي طرحناه وهو كيف السبيل إلى اعادة القرآن إلى الحياة والاستفادة منه ويتحمل مسؤولية ذلك طرفان: المجتمع والحوزة الشريفة التي هي عنوان ورمز وعي الأمة وفكرها ومستواها الديني فقد قلنا ان اهم وظيفة تقوم بها الحوزة في المجتمع هي طرح مفاهيم القرآن ورؤاه وتصوراته واخلاقه وعقائده -التي اشرنا إلى بعضها- إلى المجتمع بالفهم الصحيح النقي كما يريده القرآن وبالشكل المناسب ليكون دوره فاعلاً في حياة الأمة ويكون ذلك بعدة قنوات كالمنبر الحسيني والمحاضرات والندوات وخطب الجمعة والجماعة والكتب والمجلات والنشرات ونحوها.

ولكن قبل ذلك يجب اعادة القرآن إلى مناهج الدراسة الحوزوية ويتم ذلك على مستويين:

الأول: الدراسات الأولية أي مستوى المقدمات والسطوح الابتدائية فيعطون المناهج التالية:

١ـ حفظ وتلاوة القرآن الكريم وضبطه بالشكل وفق قواعد اللغة العربية واتقان قواعد تجويده ضمن الاطار الشرعي.

٢ـ تفسير اجمالي لالفاظ القرآن ولو على نحو شرح المفردات كما في تفسير شبر ونحوه، ليأخذ الطالب افكاراً عامة عن معاني القرآن.

٣- دراسة علوم القرآن وافضل كتاب في ذلك (البيان) أو مقدمة كتاب آلاء الرحمن المطبوعة في اول تفسير شبر.

٤- إقامة المسابقات في المعلومات المختلفة عن القرآن وتخصيص جوائز للفائزين والمتفوقين.

الثاني: الدراسات العالية ويكون على شكل عدة خطوات:

١- فتح باب التخصص في الدراسات القرآنية وافضل وقت له هو بعد اكمال السطوح العالية حيث يُعد للطالب المتخصص منهج خاص به ويمكن ان يستفاد من بعض الكتب الموجودة بعد ان يجري اختبار معين لاكتشاف أهلية الطالب الذي يريد التخصص في هذا المجال ويُفرغ لهذه الدراسة مع توفير المصادر ذات الصلة ليكون مدرساً أو مفسراً أو باحثاً قرآنياً.

٢- دراسة تفسير القرآن بشكل معمق اما كل القرآن أو آيات ومقاطع منتقاة منه تخدم هدفاً معيناً ويمكن ان يتخذ احد التفاسير متناً يتولى المدرس شرحه والتعليق عليه واضافة ما يمكن اضافته من المعلومات النافعة المستفادة من التفاسير والمصادر الاخرى وفي رأيي القاصر ان افضل مصدرين هما الميزان وفي ظلال القرآن حيث يكون المتن المعروض هو أو الجامع لهما لان لكل منهما اتجاه خاص في التفسير غير الآخر يعلمه من نهل من معارفهما.

٣- وضع مناهج للدروس في مفاهيم القرآن وتصوراته ونظرياته واطروحاته وفلسفته في الكون والحياة بعد ان يكون الطالب قد اخذ تفسيراً اجمالياً لالفاظ القرآن في دراسته السابقة، وتحصل هذه الامور بدراسة آيات القرآن دراسة موضوعية وليس بالطريقة التجزيئية المتعارفة وانْ كانت هذه الطريقة هي الاساس لتلك وقد قارنت بين المنهجين في كتاب (مدخل إلى تفسير القرآن) الذي يُعدّ هذا البحث مقدمة له.

ويركّز على المواضيع العلمية أي التي لها واقع معاش سواء على صعيد العقائد أو الاخلاق أو الفكر فتناول مثلاً: التقوى، الصبر، الفقه، التوحيد، الإمامة، الولاية، الشيطان، المعاد، المجتمع المسلم مقومات بنائه وعوامل انهياره، الرجاء والأمل، الموعظة والعبرة، سنن الله في الامم والمجتمعات وهكذا وعندئذٍ ستتغيّر الكثير من افكارنا لان المعاني المتداولة الان للالفاظ القرآنية لا تنطبق بالضبط على الفهم القرآني لها بحسب استقراء مواردها في القرآن بسبب ما تراكم من غبار التأويلات والتفسير بالرأي وتحكيم الاهواء والتعصبات وحملات المغرضين وغيرها.

الفقه والفقيه في المصطلح القرآني

وقد عرضنا قبل قليل مفهوم الجاهلية في المصطلح القرآني وصفات وخصائص المجتمع الجاهلي والبدائل الالهية التي يقدمها القرآن وهكذا كنموذج لمفهوم اجتماعي واقدّم الآن الفهم القرآني للفظ حوزوي وهو (الفقه) كمثال آخر فالفقه يتداول عندنا على انه العلم بالاحكام الشرعية رغم انه في المصطلح القرآني بمعنى المعرفة بالله تبارك وتعالى ولا ملازمة بينهما كما هو واضح بل النسبة بينهما العموم من وجه ففي الآية الشريفة ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(١) ونحن نعلم ان الحذر والتقوى لا ينشآن من المعرفة بالاحكام الشرعية بل للحذر مناشئه الروحية والنفسية والعقلية وبعد حصول التقوى والمعرفة في القلب يندفع إلى تعلم الاحكام الشرعية وتطبيقها وتستطيع ان تجرّب ذلك بنفسك فاقرأ كتب الفقه وتعمق فيها من اولها إلى آخرها هل تراها غذّت قلبك بشيء أو زادت فيه الحذر والتقوى وكم رأينا فقيهاً بالمعنى الاصطلاحي وهو مكّب على الدنيا وبعيد كل البعد عن الله تبارك وتعالى والقرآن يقص علينا خبر مثل هذا الفقيه: ﴿اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ

---

(١) التوبة: ١٢٢.

يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١).

ومن الشواهد على ان معنى الفقه هو المعرفة بالله تعالى جعل محلّه القلب في الآيات الشريفة وهو محل المعرفة الحقيقية بالله تعالى بينما الاحكام الشرعية محلها العقل، قال تعالى: ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا﴾(٣) لذا جعلت الآية هذا الفقه أي المعرفة الراسخة بالله والمبدأ والمعاد سبباً لمضاعفة القوة عشرة اضعاف قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾(٤) ويؤكد هذا المعنى ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ قال: الا اخبركم بالفقيه حقاً؟ من لم يُقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يؤيسهم من روح الله، ولم يرخّص في معاصي الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره، الا لا خير في علم ليس فيه تفهم، الا لا خير في قراءة ليس فيها تدبر، الا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه)(٥) هذا في كتاب الوسائل وللحديث بقية في مصدر آخر(٦) كالتالي (فانه اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: يا ايها الناس ان اقربكم من الله تعالى مجلساً اشدُّكم له خوفاً،

---

(١) الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٢) التوبة: ٨٧.

(٣) الاعراف: ١٧٩.

(٤) الانفال: ٦٥.

(٥) الوسائل: كتاب الصلاة، ابواب قراءة القرآن، باب٣، ح٧.

(٦) مدينة البلاغة: ٩٨ عن كتاب الجعفريات.

وان احبّكم إلى الله احسنكم عملاً، وان اعظمكم عند الله نصيباً اعظمكم فيما عنده رغبة، ثم يقول عز وجل: لا اجمع لكم اليوم خزي الدنيا وخزي الآخرة، فيأمر لهم بكراسي فيجلسون عليها، وأقبل عليهم الجبار بوجهه وهو راضٍ عنهم وقد أحسن ثوابهم).

فترى ان صفات الفقيه كل ما يقرب إلى الله تبارك وتعالى وفي حديث عن امير المؤمنين عليه السلام قال: (كانت الفقهاء والحكماء اذا كاتب بعضهم بعضاً كتبوا ثلاثاً ليس معهن رابعة: من كانت الآخرة همّه كفاه الله همّه من الدنيا، ومن اصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله عز وجل اصلح الله فيما بينه وبين الناس)(١).

وفي حديث عن ابي الحسن عليه السلام: (من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت، ان الصمت باب من ابواب الحكمة وان الصمت يكسب المحبة وانه دليل على كل خير)(٢) .

ويمكن استفادة هذا المعنى بالجمع بين حديثين ففي الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (صنفان من امتي اذا صلحا صلحت امتي واذا فسدا فسدت امتي: الامراء والفقهاء) وفي الوسائل(٣) عن الامالي بدل العلماء القراء فاذا ضممنا اليه الحديث الآتي في صفة القراء نحصل على المعنى المذكور.

---

(١) الخصال: ابواب الثلاثة، ص١٢٩.
(٢) الخصال: ابواب الثلاثة، ١٥٨.
(٣) كتاب الصلاة: ابواب قراءة القرآن، باب ٨، حديث٦.

فبين الفقيه بالمصطلح القرآني والفقيه بالمعنى الحوزوي عموم من وجه اذ قد يكون فقيهاً بالمعنى القرآني وهو ليس كذلك بالمعنى الحوزوي اذ يوجد الكثير من اولياء الله العارفين ولهم الكرامات المشهودة مع انهم لم يبلغوا درجة عالية في العلوم الحوزوية وقد يكون العكس فتجد شخصاً امتلأ ذهنه بالنظريات والافكار الاصولية والمعقولية والمسائل الفقهية بحيث تجده ملماً حتى بدقائق المسائل لكن قلبه غير معمور بذكر الله تعالى ولو سألته عن ابسط مسألة في تهذيب النفس والسلوك الصالح إلى الله تبارك وتعالى وتصفية الباطن وتطهير القلب لبقي متحيراً فمثل هذا ليس فقيهاً بالمعنى القرآني والكامل هو من جمع المعنيين كما هو شأن علمائنا المقدسين الذين بلغوا مقاماً عالياً في الفقه والاصول وشامخاً في العرفان، وهم المقصودون في الحديث الشريف (الفقهاء امناء الرسل) وبمثل هذا المنظار القرآني يجب ان نفهم الاحاديث الشريفة لئلا تضيع علينا معانيه السامية.

واني هنا اذكر حديثاً واحداً فقط يبيّن مسؤولية الحوزة الشريفة عن توعية المجتمع وهدايته واصلاحه فقد روي ان رسول الله ﷺ خطب فحمد الله واثنى عليه ثم ذكر طوائف من المسلمين فاثنى عليهم، ثم قال: ما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتفطنون؟ والذي نفسي بيده ليعلمن جيرانهم أو ليتفقهن أو ليتفطنن أو لاعاجلهم بالعقوبة في دار الدنيا، ثم نزل ودخل بيته، فقال اصحاب رسول الله ﷺ: من يعني

بها الكلام؟ قالوا: ما نعلم يعني بها الكلام الا الاشعريين فقهاء علماء ولهم جيران جفاة جهلة.

فاجتمعوا جماعة من الاشعريين فدخلوا على النبي صلى الله عليه وآله فقالوا: ذكرت طوائف من المسلمين بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لتعلمن جيرانكم ولتفقهنهم ولتأمرنهم ولتنهنهم أو لاعاجلنكم بالعقوبة في دار الدنيا، فقالوا: يا رسول الله فامهلنا سنة ففي سنة ما نعلمهم ويتعلمون فامهلهم سنة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ. كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ**﴾(١)(٢).

هذه هي بعض المقترحات التي اقدمها بين يدي الحوزة الشريفة في هذا المجال والوظيفة المشتركة للجميع هي المواظبة على تلاوة القرآن والاستفادة منه آناء الليل واطراف النهار وستعرف الكثير عن هذا من خلال الاحاديث الشريفة الآتية.

وهذه الوظيفة للحوزة لا تخصهم وانما خاطبناهم بها لوجوبها عليهم اكثر من غيرهم والا فالمجتمع كله مسؤول عن اتباع هذه الخطوات بحسب ما يناسب كل فرد، فذوو المعرفة القليلة يبدأون بقراءة التفاسير المبسطة كتفسير شبر واني انصح كل مسلم ـ وهو ما جربته انا ـ ان يبدأ حياته مع

---

(١) المائدة: ٧٨ — ٧٩.

(٢) الميزان: ٦ / ٨٤ عن كتاب الدر المنثور.

القرآن بان يتلوه في مصحف مفسر كالذي ذكرناه ليتسنى له فهم مفردات الآيات خلال تلاوتها ويستمر على هذا الحال عدة ختمات إلى ان يمتلك معرفة اجمالية بالقرآن ثم يعود إلى نسخة المصحف يتلو فيها مع تطوير قابلياته بقراءة كتب التفسير المتقدمة كالميزان وفي ظلال القرآن ويقرأ الكتب التي شرحت مفاهيم القرآن أو تناولت القرآن بحسب الموضوعات حيث يُتخذ احدها عنواناً للبحث ثم يستقرأ القرآن فتجتمع كل الآيات المتعلقة بذلك العنوان ثم يستنتج من المجموع تصور القرآن ونظريته ـ وانا هنا استعير هذه المصطلحات الفكرية لاجل استئناس الاذهان بها مع بعض التحفظات ـ لهذا الموضوع الذي يفترض فيه ان يعالج مشكلة واقعية يعيشها المجتمع سواء كانت عقائدية أو اخلاقية أو فكرية أو غيرها.

وقد يكون من الافضل متابعة ذلك مع بعض فضلاء الحوزة الشريفة ليوجهوهم ويجيبوا عن تساؤلاتهم ويرشدوهم لما ينفعهم فان المجتمع والحوزة احدهما يكمل الآخر فالحوزة توجه المجتمع والمجتمع يضغط على الحوزة لتكون بمستوى المسؤولية وبمستوى حاجة الامة وطوحاتها ومواكبةً للزمان الذي تعيشه وعندئذٍ ستنفرز العناصر الكفوءة من الحوزة عن غيرها وستعرف الامة من هو الاصلح لها.

ان القرآن لا يفهم حق فهمه الا عندما يحمله الانسان كرسالة يصلح بها نفسه والذين من حوله ويواجه بها الخطأ والانحراف الذي يضرب باطنابه على البشرية عندئذٍ يعيش في مثل الاجواء التي نزل فيها وعندئذٍ تنفتح له

اسراره ولا تكفي قراءته لمجرد التبرك وان كان في ذلك فضل لا ينكر.

ومن الضروري ان تتناول احدى الدراسات القرآن بحسب تاريخ نزول آياته وان كان الالمام بذلك تفصيلاً امراً متعسراً لعدم وجود دليل قطعي عليه الا انه يمكن اقتناص بعض موارده ويُستفاد من هذا البحث فوائد كثيرة في مجال معرفة خطوات القرآن في اصلاح المجتمع باعتباره نزل تدريجياً بحسب الوقائع والحوادث.

إن هذا التنزيل المتدرج للقرآن بدلاً من النزول دفعة واحدة له وقعه المباشر وتأثيره الفعال في الحالات التي عالجها ﴿**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً**﴾(١) وما دام هو كتاب تربية وهداية واحياء فلا بد ان يكون تدريجياً وبلطف فيصف العلاج المناسب في الوقت المناسب وبالجرعة المناسبة لا اقل ولا اكثر ولا قبل الموعد ولا بعده، وهكذا أخذ القرآن بيد هذه الامة برفق لتجد نفسها بعد عقدين من الزمان في قمة السمو والكمال والرفعة والعزة والمنعة.

بعض الاداب والسنن والمستحبات المتعلقة بقراءة القرآن

واودّ هنا ان اذكر بعض الاداب والسنن والمستحبات المتعلقة بقراءة القرآن والمستفادة من الروايات الشريفة:

---

(١) الاسراء: ١٠٦.

١ ـ افضل مدة لختم القرآن هي شهر وان لا تزيد عن اربعة اشهر أي يختمه في السنة ثلاث مرات غير الزيادات التي ينبغي اضافتها في شهر رمضان المبارك.

٢ ـ ان تكون قراءته على نحو الختمة أي يبدأ من اول القرآن إلى آخره وليس قراءة سور متفرقة مهما كانت اهميتها ليمر على القرآن كله وينال كل بركاته وهو المعبّر عنه في الحديث الشريف الآتي(الحال المرتحل).

٣ ـ ان يصادف الختم يوم الجمعة وان يقرأ عند ختم القرآن الدعاء المختص به وهو موجود في الصحيفة السجادية.

٤ ـ عندما يختم القرآن لا يقف عند نهايته بل يصله مباشرة بافتتاح ختمة جديدة ولو بان يبدأ بسورة الفاتحة واول خمس آيات من سورة البقرة.

٥ ـ ان يكون على طهارة وفي مصلاه مستقبل القبلة.

٦ ـ ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿**اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ**﴾(١) ان من المرابطين من يثبت على مصلاه ينتظر حلول وقت الفريضة فلتحصيل فضل المرابطين يستغل المؤمن هذه الحالة وهي فترة انتظار وقت الصلاة لتلاوة القرآن ويكون الاجر اعظم لو كان ذلك في المسجد منتظراً صلاة الجماعة.

---

(١) آل عمران: ٢٠٠.

٧ ـ وورد استحباب النوم على طهارة وقراءة القرآن قبل ان يأوي المؤمن إلى فراشه وفي حديث انه (من احدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن توضأ ولم يصلِ ركعتين فقد جفاني ومن صلى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني ومن دعاني ولم اجبه فقد جفوته ولستُ بربٍ جافٍ) واذا اضيف لها الاستحباب المؤكد لصلاة الليل واستحباب التخلّي قبل النوم واستحباب السواك خرجنا من ضم المجموع بوردٍ مهم وهو ان المؤمن قبل ان يأوي إلى فراشه يتخلى وينظف اسنانه ثم يتوضأ ويصلي صلاة الليل اما كلها أو بعضها ويؤخر البعض الآخر إلى ما قبل طلوع الفجر ثم يقرأ مقداراً من القرآن الكريم ويدعوا الله سبحانه له وللمؤمنين فانه سيجمع كل هذه الفضائل ولك ان تقارن بين الحياة السعيدة التي يعيشها مثل هذا الانسان مع من يسهر الليل على البرامج والافلام الفاسدة التي تتعب اعصابه وترهقه فيعيش في معاناة ونكد.

٨ ـ ان تكون تلاوته للقرآن خصوصاً للمبتدئين في تفسير شبر الذي يتضمن اكثر من فائدة ففيه نسخة من المصحف الشريف وفيه تفسير اجمالي لمعاني القرآن وهو ما قلناه انه ضمن مناهج الدراسات الاولية للقرآن وفيه مقدمة في علوم القرآن وهو درس آخر وفيه ملحق بفهرس الالفاظ القرآنية بحيث ان أي آية تريد معرفة موضعها فتستخرج من هذا الدليل موضع أي كلمة منها وفيه القراءات المتعددة للكلمة الواحدة ان وجدت في هامشه وفيه ترتيب نزول السور ففي عنوان كل سورة يقول انها نزلت بعد كذا

سورة، كل هذه الفوائد في هذا الكتاب الجليل.

٩ ـ ان يبدأ باهداء الختمة الاولى لرسول الله صلى الله عليه وآله ثم الثانية لامير المؤمنين عليه السلام وهكذا لجميع المعصومين الاربعة عشر عليهم السلام فقد وردت فيه رواية شريفة وهم اكرم الخلق فسيردون الهدية بما يليق بكرمهم يوم القيامة.

١٠ ـ رفع الصوت بالقرآن عند التلاوة وان يكون حزيناً وان يتدبر معانيه ولا يكن هم احدكم نهاية السورة كما في الحديث.

١١ ـ استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ ويستحب ان يكون لكل فرد من افراد العائلة نسخة من المصحف الشريف خاصة به يضع فيه علامة.

١٢ ـ الانصات إلى القرآن وتدبر ما يسمع في اية فرصة تسنح للاستماع.

اسأل الله تعالى ان يحيينا حياة القرآن وينيلنا شفاعته ويجعلنا ممن يهتدي بهداه ويستضيء بنور علمه انه ولي النعم وهو اللطيف بعباده ومن لطفه بنا ان هدانا إلى دينه القويم واتحفنا بكتابه الكريم ونبيه العظيم واهل بيته الميامين الغرر. (**الحمد لله الذي هدانا لهذا وماكنّا لنهتدي لولا ان هدانا الله**).

الأربعون حديثاً

في فضل القرآن وآثاره وآداب تلاوته

وسأكتفي هنا بذكر نصوص الأحاديث مع جعل عنوان مناسب لمضمونها وتصنف الأحاديث بحسب المضامين اما شرحها وبيان ما فيها من نكات فيمكن ان يكون له محل آخر وسوف لا أتحدد بالعدد أربعين لان الأخبار التي حثت على حفظ أربعين حديثاً لا نفهم منها انها بشرط لا عن الزيادة فالزيادة خير إذن.

١ـ ضرورة تعلمه

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (ينبغي للمؤمن ان لا يموت حتى يتعلم القرآن أو ان يكون في تعليمه).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن).

وعنه صلى الله عليه وآله قال: (خياركم من تعلّم القرآن وعلّمه).

وعنه صلى الله عليه وآله قال: (حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة).

وعنه ﷺ قال: (القرآن غنى لا غنى دونه ولا فقر بعده).

وعنه ﷺ قال: (إذا قال المعلم للصبي: بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم)(١).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة)(٢).

٢ـ تعلّم القرآن اعظم نعمة

عن النبي ﷺ انه قال: (من قرأ القرآن فظنَّ أن أحداً أُعطي افضل مما أُعطي فقد حقّر ما عظم الله، وعظم ما حقّر الله)(٣).

٣ ـ القرآن شافع مشفع وخصم مصدق

عن رسول الله ﷺ انه قال في حديث: (إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فانه شافع مشفَّع وماحل مصدق، ومن جعله امامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدلّ على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان تحصيل) ... إلى ان قال: (لا

(١) الوسائل: كتاب الصلاة، أبواب قراءة القرآن، باب ١، ح ٤، ٥، ٦، ١١، ١٥، ١٦.
(٢) نفس المصدر: باب ٥، ح١.
(٣) نفس المصدر: باب٢، ح٣.

تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى ومنار الحكمة)(١).

٤ـ صفة قارئي القرآن

عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال: (ينبغي لمن قرأ القرآن اذا مرّ بآية من القرآن فيها مسألة أو تخويف ان يسأل عند ذلك خير ما يرجو ويسأله العافية من النار ومن العذاب).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني لاعجب كيف لا اشيب اذا قرأت القرآن) ومن خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين قال: (اما الليل فصافون اقدامهم تالين لاجزاء الكتاب يرتلونه ترتيلا، يحزنون به انفسهم ويستثيرون به تهيج احزانهم، بكاء على ذنوبهم، ووجع كلوم جراحهم، واذا مرّوا بآية فيها تخويف اصغوا اليها مسامع قلوبهم وأبصارهم فاقشعرت منها جلودهم ووجلت قلوبهم فظنوا ان صهيل جهنم وزفيرها وشهيقها في اصول آذانهم، واذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا اليها طمعاً وتطلعت انفسهم اليها شوقاً، وظنوا انها نصب اعينهم)(٢).

٥ـ وجوب اكرام حملة القرآن وحرمة الاستخفاف بهم

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ان اهل القرآن في اعلى درجة من الآدميين

(١) نفس المصدر: باب٣، ح٣.
(٢) نفس المصدر: باب ٣، ح٢، ٤، ٦.

ما خلا النبيين والمرسلين فلا تستضعفوا اهل القرآن حقوقهم، فان لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً)(١).

٦- ثواب من يصعب عليه تعلّم القرآن وحفظه

عن الصادق عليه السلام قال: (من شُدِد عليه القرآن كان له اجران ومن يسر عليه كان مع الاولين).

وعنه عليه السلام قال: (ان الذي يعالج القرآن ويحفظه بمشقة منه وقلة حفظ له اجران)(٢).

٧- وجوب قراءة البسملة قبل كل سورة

عن الصادق عليه السلام: (اذا امّ الرجل القوم جاء شيطان إلى الشيطان الذي هو قرين الامام فيقول: هل ذكر الله يعني هل قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فان قال نعم هرب وان قال لا ركب عنق الامام ودلى رجليه في صدره فلم يزل الشيطان امام القوم حتى يفرغوا من صلاتهم)(٣).

---

(١) الوسائل: باب ٤، ح ١.
(٢) الوسائل: باب ٥، ح ٣، ٢.
(٣) جامع احاديث الشيعة: كتاب الصلاة، ابواب القراءة، باب ٣، ح ١٩.

٨ـ استحباب قراءة القرآن عند زيارة القبور

في (من لا يحضره الفقيه) عن الامام الرضا عليه السلام: (ما عبد مؤمن زار قبر مؤمن فقرأ عنده انا انزلناه في ليلة القدر سبع مرات الا غفر الله له ولصاحب القبر).

وفي رواية اخرى(امن من الفزع الاكبر) وفي معناها روايات عديدة.

وفي اخرى استحباب اضافة سورة الفاتحة والمعوذتين والتوحيد وآية الكرسي كل منها ثلاث مرات، وورد في ثوابها: ان الله يبعث اليه ملكاً يعبد الله عند قبره ويكتب له وللميت ثواب ما يعمل ذلك الملك فاذا بعثه الله من قبره لم يمر على هول الا صرفه الله عنه بذلك الملك الموكل حتى يدخله الله به الجنة.(١)

٩ـ فضل تعلم القرآن في الشباب وآثاره

عن الصادق عليه السلام قال: (من قرأ القرآن وهو شاب مؤمن اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله من السفرة الكرام البررة، وكان القرآن عنه حجيزاً يوم القيامة، يقول: يا رب ان كل عامل قد اصاب اجر عمله غير عاملي، فبلّغ به اكرم عطائك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبار حلتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثم يقال له: هل ارضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا رب

(١) جامع احاديث الشيعة: كتاب الطهارة، ابواب زيارة القبور، باب٢ وفيه عشرة احاديث.

قد كنت ارغب له فيما هو افضل من هذا، قال: فيعطى الامن بيمينه والخلد بيساره، ثم يدخل الجنة فيقال له: اقرأ آية فاصعد درجة، ثم يقال له: هل بلغنا به وارضيناك؟ فيقول: نعم)(١).

١٠ـ ضرورة تعليم الاولاد القرآن

عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث إلى ان قال: (ويكسى ابواه ـ أي حامل القرآن ـ حلتين ان كانا مؤمنين ثم يقال لهما هذا لما علمتماه القرآن) وفي حديث عن امير المؤمنين عليه السلام قال: (ان الله ليهمّ بعذاب اهل الارض جميعا حتى لا يحاشي منهم احد اذا عملوا بالمعاصي واجترحوا السيئات، فاذا نظر إلى الشيب ناقلي اقدامهم إلى الصلوات والولدان يتعلمون القرآن رحمهم فاخّر ذلك عنهم)(٢).

١١ـ اقسام قراء القرآن وصفة القارئ الحق

عن ابي جعفر عليه السلام قال: (قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة واستدر به الملوك واستطال به على الناس، ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيع حدوده(٣) وأقامه إقامة القدح، فلا كثر الله هؤلاء من حملة القرآن ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فاسهر به ليله

(١) الوسائل: باب ٦، ح١.

(٢) الوسائل: باب٧، ح١، ٢.

(٣) وهم هؤلاء الذين يدققون في قواعد التجويد التي وضعوها وغفلوا عن معاني ما يقرأون.

واظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عنه فراشه، فباولئك يدفع الله البلاء وباولئك يديل الله من الاعداء وباولئك ينزل الله الغيث من السماء، فو الله لهؤلاء في قراء القرآن اعز من الكبريت الاحمر).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله، ولا تعزز به فيذلك الله، يا حامل القرآن تزين به لله يزينك الله به، ولا تزين به للناس فيشينك الله به)(١).

١٢ـ فهم القرآن مرتبة قريبة من النبوة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله من حديث قال: (من ختم القرآن فانما ادرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لا يوحى اليه)(٢).

١٣ـ الطريقة الاكمل لقراءة القرآن ان تبدأ من اوله إلى آخره وليس بان تقرأ سورا متفرقة

عن الزهري قال: (قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: أي الاعمال افضل قال: (الحال المرتحل) قلت وما الحال المرتحل، قال عليه السلام: (فتح القرآن وختمه، كلما جاء باوله ارتحل في آخره)(٣) وفي النهاية سئل أي الاعمال افضل

(١) الوسائل: باب٨، ح٣، ١.
(٢) الوسائل: باب٨، ح١.
(٣) الوسائل: باب ١١، ح٢.

فقال: الحال المرتحل، فقيل: وما ذلك، قال: الخاتم المفتح هو الذي يختم القرآن بتلاوته ثم يفتتح التلاوة من اوله شبّهه بالمسافر يبلغ بالمنزل فيحل فيه ثم يفتتح السير أي يبدأه وكذلك قراءة اهل مكة اذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدأوا وقرأوا الفاتحة وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى قوله (هم المفلحون) ويقفون ويسمون فاعل ذلك الحال المرتحل أي انه ختم القرآن وابتدأ باوله ولم يفصل بينهما بزمان.

وفي هذا المعنى حديث عن الامام الصادقعليه السلام قيل يا ابن رسول الله أي الرجال خير قالعليه السلام: الحال المرتحل، قيل يا ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله: وما الحال المرتحل؟ قالعليه السلام: الفاتح الخاتم الذي يقرأ القرآن ويختمه فله عند الله دعوة مستجابة(١).

١٤ـ الوصية بكثرة قراءة القرآن

وفي وصية النبيصلى الله عليه وآله لعليعليه السلام قال: (وعليك بتلاوة القرآن على كل حال)(٢).

١٥ـ ثواب قراءة القرآن

عن الصادقعليه السلام في حديث قال: (عليكم بتلاوة القرآن فان درجات

(١) الوسائل: باب ١١، ح٩. عن الشافي في شرح اصول الكافي للشيخ عبد الحسين المظفر.
(٢) الوسائل: باب١١، ح١.

الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن: أقرأ وأرق فكلما قرأ آية يرقى درجة)(١).

وعن ابي جعفرعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين، ومن قرأ مئة آية كتب من القانتين، ومن قرأ مئتي آية كتب من الخاشعين، ومن قرأ ثلثمائة آية كتب من الفائزين، ومن قرأ خمسمائة آية كتب من المجتهدين، ومن قرأ الف آية كتب له قنطار والقنطار خمسة عشر الف (خمسون الف) مثقال من ذهب، المثقال اربعة وعشرون قيراطاً اصغرها مثل جبل احد واكبرها ما بين السماء والارض(٢).

١٦ـ ضرورة المحافظة على ما تعلم من القرآن ولا يتركه بحيث يؤدي إلى نسيانه

عن يعقوب الاحمر قال: (قلت لابي عبد الله عليه السلام ان عليّ ديناً كثيراً وقد دخلني ما كاد القرآن يتفلّت مني، فقال ابو عبد الله عليه السلام: القرآن القرآن ان الآية من القرآن والسورة لتجيء يوم القيامة حتى تصعد الف درجة ـ يعني في الجنة ـ فتقول: لو حفظتني لبلغتُ بك ههنا)(٣).

(١) الوسائل: باب ١١، ح١٠.
(٢) الوسائل: باب ١٧، ح٢.
(٣) الوسائل: باب ١٢، ح٣.

اقول: مرّ عليك ان الحفظ بمعنى مراعاة حدوده ومعانيه والالتزام بأوامره ونواهيه.

١٧ـ استحباب التلاوة وعلى وضوء

عن محمد بن الفضيل عن ابي الحسن عليه السلام قال: (سألته أقرأ المصحف ثم يأخذني البول فأقوم فابول واستنجي وأغسل يدي واعود إلى المصحف فأقرأ فيه؟ قال: لا حتى تتوضأ للصلاة).

وعنهم عليهم السلام: (لقارئ القرآن بكل حرف يقرأ في الصلاة قائماً مئة حسنة وقاعداً خمسون حسنة ومتطهراً في غير صلاة خمسة وعشرون حسنة وغير متطهر عشر حسنات، اما اني لا اقول: المر بل بالالف عشر وباللام عشر وبالميم عشر وبالراء عشر)(١).

١٨ـ استحباب الاستعاذة عند القراءة

عن الحلبي عن ابي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن التعوذ من الشيطان عند كل سورة يفتتحها، قال: نعم، فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم﴾.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال عليه السلام: (والاستعاذة هي ما قد امر الله به عباده عند قراءتهم القرآن بقوله: (واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله

---

(١) الوسائل: باب ١٣، ح١،٣.

من الشيطان الرجيم، ومن تأدب بأدب الله ادّاه إلى الفلاح الدائم)(١).

١٩ـ القرآن عهد الله فكم ينبغي للمسلم ان يقرأ منه يومياً

عن ابي عبد الله عليه السلام: (القرآن عهد الله إلى خلقه فقد ينبغي للمرء المسلم ان ينظر في عهده وان يقرأ منه في كل يوم خمسين آية)(٢).

أقول: وبحساب بسيط تستنتج ان اقل ما ينبغي للمؤمن أن يختم القرآن في السنة ثلاث مرات لان عدد آيات القرآن اكثر من ستة الاف فيختمه على هذا المعدل في (١٢٠) يوماً أي اربعة اشهر هذا بغض النظر عن مضاعفة الجهد في شهر رمضان.

٢٠ـ آيات القرآن خزائن فاستفد منها جميعاً

عن علي بن الحسين عليه السلام قال: (آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك ان تنظر ما فيها)(٣).

٢١ـ استحباب قراءة القرآن في البيوت

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (قال امير المؤمنين: البيت الذي يقرأ فيه

---

(١) الوسائل: باب١٤، ح٢، ١.

(٢) الوسائل: باب١٥، ح١.

(٣) الوسائل: باب١٥، ح٢.

القرآن ويذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضئ لاهل السماء كما تضيء الكواكب لاهل الارض، وان البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عز وجل فيه تقلّ بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين)(١).

٢٢ـ الكسب وطلب الرزق لا يمنع من المواظبة على قراءة القرآن

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (ما يمنع التاجر منكم المشغول في سوقه اذا رجع إلى منزله ان لا ينام حتى يقرأ سورة من القرآن فيكتب له مكان كل آية يقرأها عشر حسنات وتُمحى عنه عشر سيئات)(٢).

٢٣ـ استحباب القراءة في المصحف حتى لو كان حافظاً لما يقرأ

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (من قرأ القرآن في المصحف مُتِّع ببصره وخُفف عن والديه وان كانا كافرين)(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال:(ليس شيء اشد على الشيطان من القراءة في المصحف نظراً)(٤).

---

(١) الوسائل: باب١٦، ح٢.
(٢) الوسائل: باب١٧، ح١.
(٣) الوسائل: باب ١٩، ح١.
(٤) الوسائل: باب ١٩، ح٢.

وفي حديث آخر: (النظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة)(١).

أقول: وهذه اقل وظيفة يقوم بها من لا يحسن القراءة والا فعليه الاستماع.

وعن اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: جعلت فداك اني احفظ القرآن على ظهر قلبي فاقرأه على ظهر قلبي افضل أو انظر في المصحف، قال فقال لي: بل اقرأه وانظر في المصحف فهو افضل اما علمت ان النظر في المصحف عبادة(٢).

٢٤ـ استحباب اقتناء نسخة من المصحف في البيت

عن الصادق عليه السلام قال: (انه ليعجبني ان يكون في البيت مصحف يطرد الله عز وجل به الشياطين)(٣).

٢٥ـ استحباب ترتيله وكراهة العجلة فيه

عن عبد الله بن سليمان قال: سألت ابا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ورتّل القرآن ترتيلا﴾ قال: قال امير المؤمنين عليه السلام: بينه تبياناً ولا تهذّه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية، ولا يكن هم

(١) الوسائل: باب ١٩، ح٦.
(٢) الوسائل: باب ١٩، ح٤.
(٣) الوسائل: باب ٢٠، ح١.

أحدكم آخر السورة(١).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾(٢) روي عن الصادق عليه السلام انه قال: (حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة والنار، يسأل في الاولى ويستعيذ من الاخرى)(٣).

وفي حديث عن الامام الصادق عليه السلام: (إن القرآن لا يقرأ هذرمة ولكن يرتل ترتيلا واذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها وسل الله الجنة واذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار)(٤).

٢٦- استحباب قراءته بالحزن كأنه يخاطب انسانا وحرمة ما يفعل الصوفية من الغشية والصعقة

عن الصادق عليه السلام قال: (ان القرآن نزل بالحزن فاقرأه بالحزن)(٥).

وعن حفص قال: ما رأيت احداً اشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليه السلام ولا ارجى للناس منه وكانت قراءته حزناً فاذا قرأ كأنما يخاطب انساناً(٦).

---

(١) الوسائل: باب ٢١، ح١.
(٢) البقرة: ١٢١.
(٣) وسائل: باب ٢٧، ح٧.
(٤) الوسائل: باب ٢٧، ح٤.
(٥) الوسائل: باب ٢٢، ح١.
(٦) الوسائل: باب ٢٢، ح٣.

وعن جابر عن ابي جعفرعليه السلام قال: قلت ان قوماً اذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدثوا به صعق احدهم حتى يرى ان احدهم لو قطعت يداه أو رجلاه لم يشعر بذلك، فقال: سبحان الله ذلك من الشيطان، ما بهذا نعتوا انما هو اللين والرقة والدمعة والوجل(١).

٢٧ـ استحباب رفع الصوت بالقرآن

عن معاوية بن عمار قال: (قلت لابي عبد الله عليه السلام: الرجل لا يرى انه صنع شيئاً في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته، فقال: لا بأس، ان علي بن الحسين عليه السلام كان احسن الناس صوتاً بالقرآن وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار وان ابا جعفرعليه السلام كان احسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان اذا قام من الليل وقرأ رفع صوته فيمّر به مارّ الطريق من الساقّين وغيرهم فيقومون فيستمعون إلى قرائته)(٢).

٢٨ـ حرمة التغني بالقرآن

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اقرأوا القرآن بالحان العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكبائر فانه سيجيء من بعدي اقوام يرجعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لا يجوز تراقيهم،

(١) الوسائل: باب ٢٥، ح١.
(٢) الوسائل: باب٢٣، ح١.

قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم)(١).

٢٩- وجوب الانصات لقراءة القرآن اخلاقياً واستحبابه شرعياً الا في الصلاة

عن عبد الله بن ابي يعفور عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (قلت له الرجل يقرأ القرآن ايجب على من سمعه الانصات له والاستماع؟ قال: نعم اذا قرأ عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع)(٢).

وفي حديث زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال: (واذا قرأ القرآن في الفريضة خلف الامام فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)(٣).

٣٠- استحباب ختم القرآن في كل شهر مرة

عن محمد بن عبد الله قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: اقرأ القرآن في ليلة؟ فقال: لا يعجبني ان تقرأه في اقل من شهر(٤).

٣١- استحباب اهداء ثواب القراءة إلى المعصومين عليهم السلام لكي يضاعف الاجر

عن علي بن المغيرة عن ابي الحسن عليه السلام، قلت فاذا كان في يوم الفطر

---

(١) الوسائل: باب٢٤، ح١.

(٢) الوسائل: باب٢٦، ح٣.

(٣) الوسائل: باب٢٦، ح٤.

(٤) الوسائل: باب٢٧، ح١.

جعلتُ لرسول الله صلى الله عليه وآله ختمة(١) ولعلي عليه السلام اخرى ولفاطمة عليها السلام اخرى ثم للأئمة عليهم السلام حتى انتهيتُ اليك فصيرتُ لك واحدة منذ صرت في هذا الحال، فاي شيء لي بذلك؟ قال: لك بذلك ان تكون معهم يوم القيامة، قلت: الله اكبر فلي بذلك؟ قال: نعم ثلاث مرات(٢).

٣٢ـ استحباب البكاء أو التباكي عند سماع القرآن

عن الصادق عليه السلام قال: (ان رسول الله صلى الله عليه وآله اتى شبابا من الانصار فقال: اني اريد ان اقرأ عليكم فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر سورة الزمر ﴿**وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً**﴾ إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً الا شاباً فقال: يا رسول الله قد تباكيتُ فما قطرت عيني فقال: اني معيدٌ عليكم فمن تباكى فله الجنة فاعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً)(٣).

٣٣ـ العلم كله في القرآن

روي عن علي عليه السلام انه قيل له: (هل عندكم شيء من الوحي؟ قال: لا، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يعطي الله عبداً فهماً في كتابه)(٤).

وعن ابراهيم بن العباس قال: (ما رأيت الرضا عليه السلام سُئِل عن شيء قط الا علمه ولا رأيت اعلم منه بما كان في الزمان الاول إلى وقته وعصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه، وكان كلامه كله

---

(١) مما قرأه في شهر رمضان.

(٢) الوسائل: باب٢٨، ح١.

(٣) الوسائل: باب٢٩، ح١.

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ٣/٧١.

وجوابه وتمثّله انتزاعات من القرآن)(١).

وفي نهج البلاغة: (ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه: الا انه فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي ودواء دائكم ونظم ما بينكم)(٢).

٣٤ـ القرآن شفاء من كل داء

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (لو قرأت الحمد على ميتٍ سبعين مرة ثم رُدَّت فيه الروح ما كان ذلك عجباً)(٣).

٣٥ـ القرآن فيه جلاء القلوب

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (ان هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وان جلاءها قراءة القرآن)(٤).

٣٦ـ الاكثار من قرائته في شهر رمضان

عن ابي جعفر عليه السلام قال: (لكل شيء ربيع وربيع القرآن شهر رمضان)(٥).

---

(١) الوسائل: باب٢٧، ح٦.
(٢) خطبة ١٥٨ من الجزء الأول.
(٣) الوسائل: باب٣٧، ح١.
(٤) ارشاد القلوب للديلمي: ٧٨.
(٥) الوسائل: باب١٨، ح٢.

وعن علي بن ابي حمزة قال: (دخلت على ابي عبد الله عليه السلام فقال له ابو بصير: جعلتُ فداك اقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة؟ فقال: لا، ففي ليلتين؟ فقال: لا، فقال: ففي ثلاث؟ فقال: ها واشار بيده ثم قال: يا ابا محمد ان لرمضان حقاً وحرمة لا يشبهه شيء من الشهور)(١).

وفي خطبة النبي صلى الله عليه وآله في آخر جمعة من شعبان قال: (ومن تلا فيه أي شهر رمضان ـ آية من القرآن كان له مثل أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور)(٢).

٣٧ـ تلاوة القرآن حق تلاوته

في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾(٣) قال الامام الصادق عليه السلام: (يرتلون آياته ويتفقهون به ويعملون باحكامه ويرجون وعده، ويخافون وعيده ويعتبرون بقصصه، ويأتمرون باوامره وينتهون بنواهيه، ما هو والله حفظ آياته ودرس حروفه وتلاوة سوره ودرس اعشاره واخماسه، حفظوا حروفه واضاعوا حدوده وانما هو تدبر آياته والعمل باحكامه قال تعالى: **﴿كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته﴾**.

(١) الوسائل: باب٢٧، ح٤.
(٢) الوسائل: باب١٨، ح٢٠.
(٣) البقرة: ١٢١.

٣٨ـ القرآن لا يشبع منه العلماء

عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من حديث في وصف القرآن: (هو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا يشبع منه العلماء ولا تلتبس من الالسن ولا يخلق من الرد ولا تنقضي عجائبه من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أُجِر ومن دعي اليه هدي إلى صراط المستقيم)(١).

٣٩ـ القرآن في نهج البلاغة

(وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص، وان العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم، والحسرة له الزم وهو عند الله الوم)(٢).

٤٠ـ دعاء الامام السجاد عليه السلام عند ختم القرآن

اللهم انك اعنتني على ختم كتابك الذي انزلته نوراً، وجعلته مهيمنا على كل كتاب انزلته، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقاناً فرقت بين حلالك وحرامك، وقرآناً اعربت به عن شرايع احكامك، وكتاباً فصلته

(١) الميزان: ٢٠/٢٦٢.

(٢) نهج البلاغة: خطبة ١١٠.

لعبادك تفصيلاً، ووحياً انزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة باتباعه، وشفاء لمن انصت بفهم التصديق إلى استماعه، وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلمَ نجاة لا يضل من ام قصد سنته، ولا تنال ايدي الهلكات من تعلق بعروة عصمته، اللهم فاذا افدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت حواسي السنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الاقرار بمتشابهه وموضحات بيناته، اللهم انك انزلته على نبيك محمد صلى الله عليه واله مجملاً، والهمته علم عجائبه مكملا، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به، وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بانه من عندك، حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه، ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه، اللهم صل على محمد وآله واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبلج اسفاره، ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره، اللهم وكما نصبت به محمدا علماً للدلالة عليك وانهجت بآله سبل الرضا اليك، فصل على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى اشرف منازل الكرامة، وسلماً نعرج فيه إلى محل السلامة، وسبباً نجزى به النجاة في عرصة القيامة، وذريعةً نقدم بها على نعيم دار المقامة، اللهم صل على محمد وآله،

واحطط بالقرآن عنا ثقل الاوزار، وهب لنا حسن شمائل الابرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به آناء الليل واطراف النهار، حتى تطهرنا من كل دنسٍ بتطهيره، وتقفوا بنا آثار الذين استضاؤوا بنوره، ولم يلههم الامل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره، اللهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مونساً، ومن نزغات الشيطان وخطرات الوساوس حارساً، ولاقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله، اللهم صل على محمد وآله وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوساوس عن صحة ضمائرنا واغسل به درن قلوبنا، وعلائق اوزارنا، واجمع به منتشر امورنا وارو به في موقف العرض عليك ضمأ هواجرنا، واكسنا به حلل الامان يوم الفزع الاكبر في نشورنا، اللهم صل على محمد وآله، واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الاملاق، وسق به الينا رغد العيش وخصب سعة الارزاق وجنبنا به الضرائب المذمومة، ومداني الاخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق، حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائداً، ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً، اللهم صل على محمد وآله، وهون بالقرآن عند الموت على انفسنا كرب السياق وجهد الانين، وترادف الحشارج، اذا بلغت النفوس التراقي (وقيل من راقٍ) وتجلى ملك الموت لقبضها من

حجب الغيوب ورماها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، وداف لها من دعاف مرارة الموت كأساً مسمومة المذاق، ودنا منا إلى الآخرة رحيلٌ وانطلاق، وصارت الاعمال قلائد في الاعناق، وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات يوم التلاق، اللهم صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى، وطول المقامة بين اطباق الثرى، واجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وافسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا، ولا تفضحنا في حاضر القيامة بموبقات آثامنا، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذل مقامنا، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز عليها زلل اقدامنا، ونجنا به من كل كربٍ يوم القيامة، وشدائد اهوال يوم الطامة وبيض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، واجعل لنا في صدور المؤمنين وداً، ولا تجعل الحياة علينا نكداً، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما بلغ رسالتك، وصدع بامرك ونصح لعبادك اللهم اجعل نبينا صلواتك عليه وعلى آله يوم القيامة اقرب النبيين منك مجلساً، وامكنهم منك شفاعة، واجلهم عندك قدراً، واوجههم عندك جاهاً، اللهم صل على محمد وآل محمد، وشرف بنيانه، وعظم برهانه، وثقل ميزانه، وتقبل شفاعته وقرب وسيلته، وبيض وجهه واتم نوره وارفع درجته، واحينا على سنته وتوفنا على ملته، وخذ بنا منهاجه، واسلك بنا سبيله، واجعلنا من أهل طاعته، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، وصل اللهم على محمد وآله صلاة تبلغه بها افضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك انك ذو رحمة واسعة وفضل كريم، اللهم اجزه بما بلغ من رسالاتك وادى من آياتك، ونصح

لعبادك، وجاهد في سبيلك، أفضل ما جزيت أحداً من ملائكتك المقربين، وانبيائك المرسلين المصطفين، والسلام عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته(١).

(١) الصحيفة السجادية: دعاؤه عليه السلام عند ختم القرآن.

الكتاب الثاني

شكوى المسجد

شارك في كتابته عدد من طلبة جامعة الصدر الدينية في النجف الاشرف عام ١٤٢٢ هجرية باشراف سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي. والحقه بحوارية مستوعبة لأمور لم يتعرض لها الكتاب

إلى الذي أدميت يده في بناء مسجد

وإلى الذي دمعت عينه على أرض مسجد

وإلى الذي سقط شهيداً دفاعاً عن... مسجد

نهدي هذا الجهد المتواضع... والقليل

أمام عطائهم الكبير...

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا..﴾(٢) فأبى الله سبحانه إلا أن يكون المسجد هو أول بيت وضع للناس، وهذا يُشعر بمكانة وقيمومة المسجد في حياة البشر أجمع فضلاً عن مكانته وقيمومته في حياة المسلمين، والذي يعتبر بالنسبة لهم القلب الذي منح ويمنح لهم الحياة الخالدة في ظل طاعة الله سبحانه وتعالى، فكان المسجد في التبليغ الإسلامي بمثابة الرأس من الجسد والوتر من القوس، إذ أن المساجد بانية الإسلام وصانعة أجياله المخلصة والمضحية في سبيل الله على طول سنيّه الألف والأربعمائة.

هذا فضلاً عمّا يمنحه وجود المسجد ومنظره من إحساس بالانتماء إلى الدين الحنيف إذ أنك (سواء كنت في قرية صغيرة خافية في بطن الريف أو مستكنة خلف كثبان الرمل في الصحراء أو راقدة في لحف الجبل، أو كنت في عاصمة كبيرة متنامية الأرجاء متدفقة الحركة عامرة بالعمائر السامقة فإن المساجد... تضيف إلى المنظر عنصراً من الجلال والجمال الروحي لا يتأتى له بدونها. فهي تزيل الوحشة عن تواضع مباني القرية وصغرها وتنفي الجمود عن غرور مباني العواصم، وتضفي على مقطع الافق في القرية

(٢) سورة آل عمران: ٩٦

والمدينة توازناً يروح النفس ولمسه من جمال روحي هادئ رقيق)(١).

لكن هذه المساجد تعيش هذه الايام محنة التعطيل والتضييع وعدم الريادة وفقر التوظيف وبهذه المحنة التي يعيشها المسجد فحري به أن يرفع ضدنا شكوى إلى الله سبحانه ورسولهﷺ، وليست هي الشكوى الوحيدة فالقرآن والعترة الطاهرة هما الاخران يشتكيان معه لما لاقوا على ايدينا.

ولأجل هذا انبرى احد ابناء الحوزة وهو الشيخ محمد اليعقوبي (ادامه الله) لينبه منتسبي الحوزة وجميع افراد المجتمع ليعدوا العدة من الأن لئلا يكونوا هم المشكوون إلى الله سبحانه وتعالى، حيث قال في مقدمة كتابه (شكوى القرآن): (وقد اخترت أن ابدأ من الحديث الشريف المروي في الكافي والخصال عن إبي عبد الله عليه السلام قال: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين الجهال ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه)، وأوضح مصاديق العالم هم أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً الامام الفعلي القائم بالامر (أرواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد، ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبيﷺ قال: (يجيئ يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: يا رب حرفوني ومزقوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني ، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة، فيقول الله عز وجل لي: انا اولى بذلك منك).

---

(١) الدكتور حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة (كتاب المساجد) ص٣٠.

وسنستفيد من هذا الحديث من أمرين:

الاول: إن اسس بناء الامة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الاركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا الأساس يكون بمعنى حديث الثقلين المشهور (أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداً وقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة)(١) والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة اما الثالث فهو المسجد وهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في اجوائه المقدسة بالأمة.

الثاني: (الاشعار بأن الامة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها، لذلك اخبرصلى الله عليه وآله عن الشكوى كحقيقة واقعة وهوصلى الله عليه وآله يحذر الامة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كان الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل، ومادامت هذه الثلاثة هي اسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفناءَه، لذا كان لزاماً علينا أن نفرد كل واحد منها ببحث خاص لبيان اثره في حياة الامة وعظيم خسارتها بالاعراض عنه واساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين)(٢).

وكخطوة اولى انجز سماحة الشيخ اليعقوبي (ادامه الله) كتاب (شكوى القرآن) وكان هذا الكتاب الذي بين يديك هو الشكوى الثانية (شكوى

---

(١) راجع كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوي لمعرفة مصادر الحديث.
(٢) مقدمة كتاب (شكوى القرآن) للشيخ محمد اليعقوبي.

المسجد(وعسى الله أن يمن على احدنا مستقبلاً لانجاز التنبيه الثالث وهو (شكوى العترة) أو (شكوى الحجة (عجل الله فرجه الشريف).

وفي هذا الكتاب نريد أن نسلط الضوء عبر دراسة بسيطة وموسعة نسبياً على أهمية المساجد ووظائفها وآثارها ووظائف العاملين على إيجادها واستمرارها وتفعيل دورها لا براء ذممنا من تلك الشكوى إنشاء الله، وتقع هذه الدراسة في مقدمة وستة فصول وخاتمة، فالفصل الاول منها يبحث في بيان معنى المسجد في اللغة والاصطلاح أما الفصل الثاني فيحمل عنوان (المسجد في حياة المسلمين) ويبحث عن التشريعات الاجتماعية في الإسلام وحاجتها إلى المسجد، كما يبحث عن دور المسجد في صدر الإسلام والعصور المتأخرة، أما الفصل الثالث فيبحث عن أهم الفوائد الدينية والاجتماعية للمسجد، بينما اخذ الفصل الرابع على عاتقه بيان تكاليفنا تجاه المساجد مما قد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة، أما الفصل الخامس فكشف عن علاقة المسجد بالحوزة العلمية والمرجعية الشيعية وختم بكلام عن دور المعمم في المجتمع ومسؤوليات أئمة الجوامع، وإكمالاً للبحث عني الفصل السادس ببيان أهمية الأحكام الفقهية الواردة في الرسالة العملية وتمت فيها أيضاً الإجابة عن عدد من الأسئلة الإبتلائية المهمة المتعلقة بالمساجد، واختتم الكتاب بجمع أربعين حديثاً حول فضل المساجد وآدابها إكمالاً للفائدة ونيلاً لثواب جمع الأربعين حديثاً الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

ونأمل أن نكون بهذا الجهد القليل أمام عظمة الله سبحانه وتعالى ونعَمه قد أضفنا شيئاً جديداً ولو على سبيل ترتيب الأفكار إلى المكتبة الإسلامية الشيعية، نقدمه بين يدي محمد وآل محمد (عليهم الصلاة والسلام)، راجين من الله سبحانه وتعالى أن ينفع به إخواننا المؤمنين العاملين في سبيل نيل رضاه سبحانه، ويكون في مصاف غيره من الأفكار المطروحة في الساحة الإسلامية والتي هي سببٌ في حفظ رونق الإسلام من التشتت والضياع ببركة محمد وآله الطاهرين.

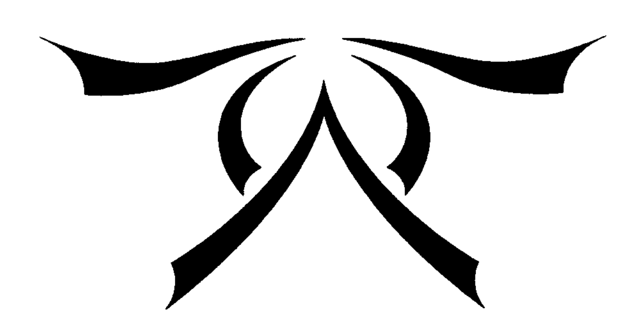
والحمد لله ربّ العالمين..

١٣صفر الخير ١٤٢٢



الفصل الأول

المسجد لغة واصطلاحا



المسجد لغةً

مسجد: مصدر ميمي على وزن مَفْعل أو مَفْعَل كـ... مَرْبد ومَشْهَد، والمسجد اسم مكان وهو محل السجود، وأصله من الفعل الثلاثي سَجَدَ.

وذكر صاحب مصطلحات الفقه: (مسجد: مصدر واسم لزمان السجدة ومكانها، ويعمُّ الأخير مكانها من الأرض ومكانها مع بدن الساجد)(١). ومما سبق يمكن أن نلحظ لفظة المسجد بلحاظين:

الأول: يقال مسجد ويراد به المكان أو المحل الذي يسجد عليه من الأرض كما هو واضح.

الثاني: ويراد بها محال السجود، أي مواضع السجود من بدن المصلي فيقال: هذا مسجد ومساجد.

وجاء في مجمع البحرين: (المسجد فتحاً وكسراً (مَسْجَد ومَسْجد) بيت الصلاة)(٢).

وفي لسان العرب: (المَسْجد والمَسْجَد الذي يسجد فيه، وفي الصحاح واحد المساجد، وقال الزَجاج كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد)(٣).

---

(١) المشكيني، مصطلحات الفقه، ص٤٨٩.

(٢) مجمع البحرين، ح٣، ص٦٥.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٣٠٤، مادة سجد.

وعن ابن العربي قال: (مسجد يفتح الجيم محراب البيوت ومصلى الجماعات، مسجد بكسر الجيم والمساجد جمعها، والمساجد أيضاً الآراب التي يسجد عليها، والآراب السبعة مساجد)(١).

المسجد اصطلاحاً

أما في الاصطلاح الشرعي والمتشرعي فالمسجد: (هو المكان الخاص للصلاة والعبادة بصورة عامة والمسجد به عنوان اعتباري اخترعه الشارع المقدس أو أمضاه)(٢).

ويعرفه الشيخ محمد حسن كما هو معروف مكان انعقاد الجماعة وهو من أفضل أماكن المصلي(٣).

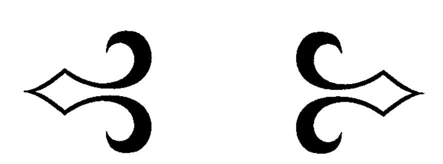
وما جاء في الراغب: (المسجد موضع الصلاة اعتباراً بالسجود. وقيل المساجد مواضع السجود، الجبهة، والأنف، والكفان والركبتان والرجلان)(٤).

---

(١) مجيد الصائغ، المساجد بيوت الله، ص١١.
(٢) الشيخ محمد حسن، جواهر الكلام، ج١٤، ص٦٩.
(٣) نفس المصدر السابق.
(٤) الراغب الأصفهاني، غريب مفردات القرآن، ص٣٩٤

ومن ذلك يظهر أن أهل اللغة والاصطلاح يتفقون على أنّ كلمة المسجد بفتح جيمها وكسرها يدلان على مكان السجود أو على مواضع السجود السبعة من بدن المصلي الساجد.

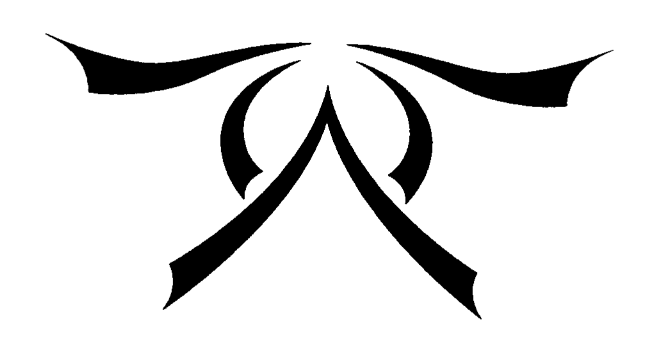
ولا نطيل المقام في إشباع البحث بأمور لغوية وصرفية نخرج بها عن الهدف. وفيما أشرنا له الكفاية في بيان أصل الكلمة لغة واستعمالها اصطلاحاً.





الفصل الثاني

المسجد في حياة المسلمين





مقدمة

سعت جميع الديانات السماوية وغيرها من الاعتقادات والأيديولوجيات وعلماء الاجتماع إلى بناء المجتمع الصالح، وكان هذا الهدف لبعض هذه الاتجاهات هو الهدف الأسمى من وجودها، لكنهم جميعاً اختلفوا فيما بينهم بطريقة اختيار أسلوب الوصول إلى ذلك الهدف رغم أن الجميع يرون أن الأسرة هي اللبنة والنواة الأساسية في المجتمع، لكنّ رؤاهم اختلفت في كيفية التعامل مع تلك اللبنة والنواة، فأهمل المعسكر الشرقي (بقيادة الشيوعية) الأسرة وحمل المجتمع فوق جميع المؤسسات التنظيمية المجتمعية، فذوبت الأسرة للوصول إلى مجتمع متكامل، وكانت النتيجة بأقل من مائة عام انهيار تلك السياسة وانهيار مجتمعها بالكامل، أما (الرأسمالية) فحملت الأفراد فوق رقبة المجتمع والأسرة فحطمتهما لأجل تلبية رغبات وشهوات افراد محدودين محاولة منها للوصول إلى تلبية رغبات جميع الأفراد وبالتالي تلبية رغبة المجتمع وبنائه وأنى لهم ذلك!!، إذ كانت النتيجة تكالباً وجرياً وراء رغبات النفس الأمارة بالسوء، وبالتالي شيوع الجريمة حتى أفادت إحصائية أمريكية باحتواء سجون أمريكا كل ستة ملايين مجرم في ست سنوات فقط.

أما الإسلام بتشريعاته الفذة ونظرياته التي حفظت للفرد حقه وللأسرة مكانتها وللمجتمع حقه فهو مؤهل لأن يصل بالمجتمع إلى الذروة وكان من بين هذه التشريعات واللبن الاجتماعية التي شرعت وأسست في الإسلام للوصول إلى بناء المجتمع الصالح هو: المسجد، فهو مكان تنفيذ الكثير من العبادات والطقوس والمناسبات التي لوحظ فيها الجانب الاجتماعي أو التجمعي والجمعي هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فللمسجد الريادة في توجيه وقيادة المسلمين وتوعيتهم وهدايتهم.. الخ، وستأتي الإشارة إلى كل فقرة مما ذكرنا كل في المكان المناسب.

التشريعات الاجتماعية في الإسلام

تتجلى مكانة المسجد في حياة المسلمين للقارئ عند معرفة أسلوب التشريع الإسلامي للعبادات وكذلك عند معرفة أساليب التبليغ والدعوة الإسلاميين، فقد ركز الإسلام في تشريعاته وأساليب هدايته للناس على الاجتماع أشد التركيز، قال الله سبحانه وتعالى:﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾(١)، فهذه هي أهم فريضة في الإسلام، ألا وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالأسلوب الأنفع فيها والذي فيه الفلاح كما عبر القرآن هو الأسلوب

(١) سورة آل عمران: ١٠٤

الجماعي ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾(١)، ويمكن القول في الصدد أن السلوك الجمعي له أثر فعال في خلق ظرف موضوعي لتحقق ما مطلوب من ذلك التشريع بأقصر الطرق، لذلك فالأمر بالمعروف الجماعي له قوة في التأثير على المقابل أكثر من الأسلوب الفردي، قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾(٢)، وما ذلك إلا لإحداث تيار عام في المجتمع بتكثير الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أو إقامة الحجة أو غيرها من وجود الحكمة المحتملة. كما نلاحظ للسلوك الجمعي أثر في الصلاة نفسها، فلنأخذ مثلاً صلاة الجماعة لنرى وجداناً ما تخلقه الجماعة في الفرد من إقبال نحو الصلاة وانشداد إليها فيؤديها بصورة أفضل من ناحية الخشوع وحضور القلب مما لو أداها فرادى، ومن آثار السلوك الجمعي في صلاة الجماعة أيضاً ما نلاحظه من التأثر بالغير، فنرى ذلك مراراً وذلك عندما يسجد أحد المصلين بعد الصلاة شكراً فنجد المصلي الآخر يميل إلى السجود تأثراً به وما هذا إلا لانشداد المصلي إلى الجماعة وذوبانه فيها لأن الاشتراك الزماني والمكاني بين المسلمين له نفع كبير فيحصل بسببه اشتراك أو تجاوب قلبي أو نفسي في التكامل. ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: أن الفرد قد يسمع شخصاً يقول لا إله إلا الله، فيميل نفسياً جداً أن يقول: لا إله إلا الله(٣). وتصبح الجماعة كالفرد الواحد خاصة عند توافق حركاتها ووحدة مشاعرها وذلك كما في الأدعية عقب الصلوات، ومن هذا نجد التأكيد

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٢) سورة يس: ١٤.

(٣) السيد محمد الصدر، (فقه الأخلاق)، ج١، ٢٥٢.

الكبير من الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام على حضور الجماعة، فعن أبي عبد اللهعليه السلام عن آبائهعليهم السلام قال: اشترط رسول اللهﷺ على جيران المسجد شهود الصلاة، وقال: (لينتهين أقوام لا يشهدون الصلاة أو لآمرنّ مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم آمر رجلاً من أهل بيتي وهو عليعليه السلام فليحرقنّ على أقوام بيوتهم بحزم الحطب لأنهم لا يأتون إلى الصلاة)(١) وعن أبي جعفرعليه السلام أنه قال: (لا صلاة لمن لا يشهد الصلاة من جيران المسجد إلا مريض أو مشغول)(٢) وعن زرارة والفضيل قالا: قلنا له أي الإمام الصادقعليه السلام: الصلاة في جماعة فريضة هي؟ فقال: (الصلاة فريضة وليس الاجتماع بمفروض في الصلوات كلها. ولكنها سنة من تركها رغبةً عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علة فلا صلاة له)(٣)، ومن مجموع هذا نفهم أن مراد الشارع من الاجتماع لا يظهر لكل أحد فلم يذكر سبب الحث عليه دائماً في الأحاديث، فجاء الأمر به مجرداً عن السبب، لأن الشارع أعرف بمصلحة المكلف من نفسه، ونحن إذ عرفنا السلوك الجمعي وبعض آثاره على إيصال العبادة إلى المستوى المطلوب منها ربما يكون أحد الاطروحات لفهم سبب الحث على الاجتماع في التشريعات الإسلامية بهذا الكم الهائل والشديد، أي إن صفة الاجتماع(٤) مأخوذة في الإسلام وفي تشريعاته وفي جميع

(١) الحر العاملي، الوسائل، ج٥، باب من أبواب صلاة الجماعة، ح٦.
(٢) الحر العاملي، الوسائل، ج٥، باب من أبواب صلاة الجماعة،ح٢.
(٣) الحر العاملي، الوسائل، ج٥، باب من أبواب صلاة الجماعة، ح٢.
(٤) أخذت بعض الفقرات من كتاب الميزان في تفسير القرآن للسيد محمد حسين الطباطبائي، ج٤، ص١٣٠ بالنص أحياناً وبالمضمون أحياناً أخرى.

ما يمكن أن يؤدي بهذه الصفة من النواميس والأحكام بحسب ما يليق بكل منها من أنواع الاجتماع أولاً وبحسب ما يمكن فيه من الأمر والحث الموصل إلى الغرض ثانياً، لذا ترى أن الشارع المقدس شرّع الاجتماع في الجهاد مثلاً إلى الحد الذي يكفي لنجاح الدفاع، وشرع وجوب الصوم ولازمه اجتماع الناس زماناً، وشرع وجوب الحج ولازمة اجتماع الناس زماناً ومكاناً، فكان (احتشاد الناس المحرمين في المسجد الحرام للطواف أو في الموقفين أو في منى أو غيرها لأداء فرائض الحج وواجباته، يعطي صورة واضحة عن احتشاد الناس في المحشر يوم القيامة، حين يقوم الناس لرب العالمين، للحساب والثواب والعقاب)(١) وما كان ذلك ليتأتى لولا صفة الاجتماع هذه إذ (إن الفرد إذا تذكر آخرته لم يبقَ بينه وبين الرغبة في الطاعة والارتداع عن المعصية أي عائق)(٢). وأي هدف أسمي من هذا فهو غاية خلق الإنسان﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ**﴾(٣)،(فما أعظم الحكم الإسلامي، وما أكبر نداء الإسلام الذي يستطيع أن يجمع هذه الآلاف.. في كل عام، وما أعظم الاخوة التي تشد بعضهم إلى بعض، بالرغم من تباعد البلدان وتشتت اللغات، إنها أخوة الهدف والعمل والعقيدة وهي أقوى الأخوّات وأرسخها في منطق الإنسانية والتاريخ)(٤).

فرأيت أن الإسلام اجتماعي في جميع شؤونه وتشريعاته وسيلةً أو

---

(١) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج٢، كتاب الحج، ص٨١

(٢) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج٢، كتاب الحج، ص٨١

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٤) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج٢، كتاب الحج، ص٨١.

هدفاً، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، والمصابرة هي التصبر وتحمل الأذى جماعةً باعتماد صبر البعض على صبر آخرين فيتقوى الحال ويشتد الوصف ويتضاعف تأثيره بفعل الاجتماع، وهذا أثر محسوس في تأثير الفرد إذا اعتبرت شخصيته في حال الانفراد، وفي حال الاجتماع والتعاون بإيصال القوى بعضها ببعض، أما قوله (رابطوا) فهو أعم معنى من المصابرة وهي إيجاد الجماعة، والارتباط بين أقوالهم وأفعالهم في جميع شؤونهم أعم من حال الشدة وحال الرخاء(٢).

أما إقامة الصلاة جماعة في المسجد فهي بما فيها من وجوب المتابعة تعطي معاني عديدة أهمها اشتراك المصلي في الاتجاه نحو الهدف المعنوي الحق، وكذلك تعطي معنى الالتزام بتنفيذ التعاليم والأحكام الصادرة من ذلك الإمام، أو تعطي معنى مشاركة المصلين وتعاونهم لما يستهدفه الإمام(٣). فنجد أن الإسلام قرر لمجتمعه دستوراً اجتماعياً يقيه من دبيب الاختلاف المؤدي إلى الفساد والانحلال، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٤).

---

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٢) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج٤،ص ١٣٠،ط ايران.

(٣) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج١، ص٢٤٣

(٤) سورة الأنعام: ١٥٣

ونظرة عامة إلى باقي تشريعات الإسلام التي أكدت على ضرورة الاجتماع نجد أن العامل المشترك لمكان أداء تلك التشريعات هو المسجد، فالصلوات اليومية وصلاة الجماعة وصلاة الآيات والعيدين وحتى الطواف وصلاته وأغلب مناسك الحج كالوقوف في عرفة والمزدلفة ورمي الجمرات في منى، وكل هذه المواقف داخلة في الحرم المكي، على ما ذكر في (ما وراء الفقه)(١)، بل حتى الجهاد فهو وإن كان ميدانه وساحته خارج المسجد إلا أن انعقاد راياته وتهيئة جيوشه كان مكانها المسجد (على ما سيأتي إن شاء الله تعالى) فالمسجد إذن هو المرتكز والأساس لظاهرة الاجتماع في الإسلام، لذا فإن كل غاية وهدف من غايات وأهداف الاجتماع في الإسلام، قد كان للمسجد مشاركة فيها.

مكانة المسجد في حياة المسلمين الأوائل

ولأجل أن تتحقق غايات وأهداف الإسلام والتي أخذ فيها الاجتماع بنظر الاعتبار(كما بيّنا)، فكان لابد أن يكون المسجد أو قلْ مكان الاجتماع هو هَمُّ مسلمي الصدر الأول وهَمُّ الرسولﷺ في بداية الدُعوة الإسلامية بُعَيْدٍ الهجرة، وذلك عند تحقق الظروف الموضوعية لبنائه، لأنه سيكون الوسيلة النافعة في التبليغ ونشر الدعوة، وكذلك سيكون مقر القيادة المتمثلة

(١)السيد محمد الصدر، ما وراء الفقه، الجزء الثاني، القسم الثاني، ص١٢٨.

بالرسولﷺ، قال ابن هشام في سيرته ما نصه: (قال ابن إسحاق: فأقام رسول اللهﷺ بقباء، في بني عمرو بن عوف، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس، وأسس مسجده... ثم اخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة... فأدركت رسول اللهﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي، وادي رانوناء، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة...)(١)، وذكر السيد العاملي في سيرة المصطفى: (وقيل مكث أربع عشرة ليلة ولعله الأقرب إلى الاعتبار وركب ناقته وحشد المسلون حوله عن يمينه وشماله بالسلاح وأدركته الجمعة في بني سالم بن... إلى أن قال: وأراده بنو سالم بن عوف على الإقامة عندهم في العدد والعدة والمتعة، فقال: خلوا سبيلها فأنها مأمورة لناقته وجعل كلما مر بحي من أحياء الأنصار يدعونه للإقامة عندهم في العدد والعدة والمتعة فيجيئهم بمثل ذلك حتى بركت على باب مسجده وهو يومئذ مربد(٢) ليتيمين وهما سهل وسهيل ابنا عمرو في حجر معاذ بن عفراء فجعل الناس يكلمون رسول اللهﷺ في النزول عليهم فأحتمل أبو أيوب رحله فوضعه في بيته فقال رسول اللهﷺ المرء مع رحله ونزل عليه وسأل عن المربد فأخبره معاذ بخبره وقال سأرضي صاحبيه فأتخذه مسجداً، فأمر أن يبني مسجدا وكان في موضعه قبور للمشركين فأمر النبيﷺ بها فنبشت عظامها وألقيت وبني المسجد في موضعها، وعمل فيه رسول اللهﷺ والمهاجرون والأنصار

---

(١) السيرة النبوية لأبن هشام، ج٢، ص١٠٠.

(٢) المربد: المكان الذي يجفف فيه التمر.

وقال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

قال ابن هشام في سيرته: وارتجز علي ابن أبي طالبعليه السلام يومئذ:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا

ومن يرى عن الغبار حائدا

فأخذها عمار بن ياسر فجعل يرتجز بها فلما أكثر ظن رجل من أصحاب رسول اللهصلى الله عليه وآله أنه إنما يعرض به... فقال: قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا ابن سمية والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك وفي يده عصا، فغضب رسول اللهصلى الله عليه وآله، ثم قال: (ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، إن عمار جلدة ما بين عيني وأنفي...)(١).

ومن الجدير بالذكر أن نعلم أنه على الرغم من ظروف الهجرة التي مر بها الرسولصلى الله عليه وآله ومطاردة المشركين له والجهد الذي يبذله والألم والأخطار اللذان يحفان به وكونه على سفر، إلا إن ذلك كله لم يمنع من تفكيره في بناء وتأسيس مقومات وجود الحياة الإسلامية الجديدة بعد الهجرة ألا وهو المسجد لتدار دفة القيادة من خلف لبناته وجذوع النخل فيه، قال ابن إسحاق: فأقام رسول اللهصلى الله عليه وآله بالمدينة إذ قدمها شهر ربيع الأول إلى صفر

(١) السيد محسن أمين العاملي، سيرة المصطفى، الهجرة إلى المدينة ص٩١.

من السنة الداخلة، حتى بنى فيها مسجده ومساكنه، واستجمع له إسلام هذا الحي من الأنصار، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها...)(١).

انتشار الدعوة الإسلامية

ومن ثم بدأ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالدعوة إلى الله والإسلام خارج حدود المدينة وكانت دعوته من خلف تلك الأحجار المباركة لمسجد المدينة المنورة، وكان صلى الله عليه وآله يقيم الجمعة والجماعة فيه، وكان يجتمع إليه المسلمون في ذلك المسجد، وبهذا الاجتماع قويت عرى الإسلام وانتشر في كل ارجاء المعمورة، حتى بلغ الخافقين، ولعل هذا الاجتماع في ذلك المسجد والمساجد الأخرى التي تلته زمانا كان علة لظهور وانتشار الإسلام، حيث ورد في علل الشرائع وعيون الأخبار عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام، قال: (إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهرا مكشوفا مشهودا، لأن في إظهاره حجة على أهل الشرق والغرب لله وحده، وليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقر به يظهر الإسلام والمراقبة، وليكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة على

(١) السيرة النبوية لأبن هشام، ج٢، ص١٠٥.

البر والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل)(١) وهذه الجماعة التي أشار إليها الإمام الرضاعليه السلام لم تتحقق قبل الهجرة إلى المدينة، بل كان أول تحققها بعد الهجرة عندما سنحت أول فرصة لها، ومكان تجمع هذه الجماعة بلا شك هو المسجد، كما أن كلام الإمام الرضاعليه السلام منطبق على أي تجمع في أي مسجد وفي كل الأزمان، وستأتي الإشارة إلى باقي مضامين الحديث في فقرات قادمة أو فصول لاحقه إن شاء الله تعالى.

المسجد مقر القيادة والتبليغ ومنطلق الجيوش

في عصر صدر الإسلام

بعد أن عرفنا أن الرسولصلى الله عليه وآله كان يقضي الكثير من وقته في مسجده بالمدينة المنورة. فلا بد أن يكون المسجد عندئذ مكان أغلب القرارات والمشاورات التي كانت تحصل بين الرسولصلى الله عليه وآله والمسلمين والتي كان لها الأثر في إرساء دعائم الإسلام، فكان المسلمون يهرعون فيما يعتريهم من أمور إلى رسول الله في المسجد سواء للفصل بين خصوماتهم أو حل مشاكلهم أو إبلاغه بما يُشَكّل خطراً على الإسلام سواء من المنافقين داخل المدينة أو من الأعداء خارجها من مشركين ويهود، وكان رسول اللهصلى الله عليه وآله

(١) الحر العاملي، الوسائل، ج٥، أبواب صلة الجماعة، الباب ١، حديث٩.

يقيم الجماعة في المسجد فكان يستغل هذا الجمع لإبلاغ المسلمين أمراً ما أو يأمرهم بأمر ما.

فمنها: ما ذكره الطبري في تاريخ الأمم والملوك(١): (بعث رسول اللهﷺ جيش الأمراء فقال عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب فجعفر بن أبي طالب فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة... إلى أن قال: فانطلقوا. فلبثوا ما شاء الله ثم أن رسول اللهﷺ صعد المنبر وأمر فنودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس إلى رسول اللهﷺ فقال: باب خير باب خير أخبركم عن جيشكم هذا الغازي أنهم انطلقوا فلقوا العدد فقتل زيدٌ شهيداً واستغفر له ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً فشهد له بالشهادة واستغفر له ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة...)(٢).

ومنها: ما قاله الطبري أيضاً: (عن الفضل بن عباس قال جاءني رسول اللهﷺ فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه فقال: خذ بيدي يا فضل. فأخذت بيده حتى جلس على المنبر ثم قال: ناد في الناس فاجتمعوا إليه فقال: أما بعد أيها الناس فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وأنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري...)(٣).

---

(١) أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ اللأمم والملوك، الجزء الثاني، أحداث السنة الثامنة، ص١٠٩.

(٢) المصدر السابق، السنة الثامنة، ص١٩١.

(٣) المصدر السابق، السنة الحادية عشرة، ص١٩١.

ومنها: أن الرسولﷺ لما أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم دعا أسامة بن زيد فقال سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش ثم عقد لأسامة اللواء بيده ثم قال: أغز باسم الله، فتكلم قوم وقالوا يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأوليين، فغضب رسول اللهﷺ غضباً شديداً فخرج وقد عصب على رأسه عصابة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن غضبكم في تأميري أسامة ولئن طعنتم في إمارة أسامة فلقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله وأيم والله أن كان للإمارة لخليقاً وأن ابنه من بعده لخليق للإمارة ثم نزل فدخل بيته)(١).

إذن ففي هذه الموارد الثلاثة المذكورة في التاريخ ما يدلل على أن المسجد أداة لتبليغ المسلمين بكل أمر هام، حتى لو استلزم الأمر أن ينادي عليهم للتجمع في المسجد في غير أوقات الصلاة كما في الأخبار المتقدمة. وفي نفس الصدد ما فعله أمير المؤمنين عليه السلام وقد ورد عن جماعة، منهم ابو الفضيل(٢) قال: جمع علي الناس في الرحبة يعني رحبة مسجد الكوفة فقال: انشد الله كل من سمع رسول اللهﷺ يقول يوم غدير خم ما سمع لما قام. فقام ناس كثير فشهدوا حين أخذ بيده فقال للناس: أتعلمون أني أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا نعم يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعاد من عاداه)(٣)، وهكذا رأى أمير

(١) السيد محسن أمين العاملي، سيرة المصطفىﷺ ، ص٢٦٠.

(٢) أورد هذا الحديث النسائي في سننه نقل ذلك بن كثير في تاريخه واسنده النسائي عن محمد بن الثي عن يحيى بن حماد عن أبي معاوية عن الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن جماعة منهم أبو الفضيل هذا.

(٣) السيد محسن أمين العاملي، سيرة المصطفىﷺ ، ص٢٥٩.

المؤمنين عليه السلام أن المكان الأنفع لإيصال أمر الولاية إلى الناس وإفهامه إياهم وتثبيته والأشهاد عليه هو المسجد، والشواهد كثيرة على ذلك وقد غصت بها الكتب التاريخية ولا تخفى على المتتبع، نذكر منها تيمناً بذكر محمد وآل محمد (عليهم الصلاة والسلام) ما نقل عن أبي سعيد الخدري: إشتكى الناس علياً فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فينا خطيباً (أي في المسجد) فسمعته يقول: (ايها الناس لا تشكون علياً فو الله انه لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله من أن يشكى)(١). أما ما يخص أمر تجييش الجيوش وتهيئتها وعقد راياتها في المسجد فهو مما يحفل به التاريخ ايضاً.

فمنها: أن الرسول صلى الله عليه وآله بعث عيناً(٢) له لمعرفة أخبار المشركين قبل غزوة أحد، وعندما جاءه بخبره وأنهم ثلاثة آلاف قال له: (لا تذكر من شأنهم حرفاً حسبنا الله ونعم الوكيل اللهم بك أحول وبك أصول) وباتت وجوه الأوس والخزرج سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة ليلة الجمعة وعليهم السلاح في المسجد بباب رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أصبحوا خوفاً من تبييت المشركين، وحرست المدينة تلك الليلة، فلما كان الصباح صعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر وقال: رأيت البارحة في منامي أني دخلت يدي في درع حصينة ورأيت بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثلماً وأني أردفت كبشاً، وأولتها: أما الدرع الحصينة فالمدينة وأما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل، وأما الكبش فكبش الكتيبة

---

(١) المصدر السابق، ص٢٥١.

(٢) وهو الحباب بن المنذر بن الجموح.

يقتله الله فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشّر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها فأنا أعلم بها منهم)(١)، وهكذا فقد عبأ الرسولﷺ في هذه الخطبة المسلمين معنوياً وأخبرهم بأن احتمال النصر كبير وعلى كلا الاحتمالين الخروج أو الانتظار، وكان كل ذلك في المسجد.

ومنها: ما سبق غزوة حمراء الأسد، حيث أنصرف رسول اللهﷺ من صلاة الصبح أمر بلالاً أن ينادي في الناس أن رسول اللهﷺ يأمركم بطلب عدوكم...)(٢).

ومنها: (ما أخرجه ابن أبي حاتم وإبن مردويه في الدر المنثور عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال: نزلت هذه الآية على رسول اللهﷺ وهو في المسجد:﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾(٣) فكبر الناس في المسجد فأقبل رجل من الأنصار ثانياً طرفي ردائه على عاتقه فقال: يا رسول الله أنزلت هذه الآية؟

فقال: نعم، فقال الأنصاري: بيع ربيح لا نقيل ولا نستقيل)(٤).

ومنها: ما ورد من خطب أمير المؤمنينعليه السلام في الحث على الجهاد أو

---

(١) السيد محسن العاملي، سيرة المصطفىﷺ ، ص١٣٧.
(٢) المصدر السابق،ص ١٣.
(٣) سورة التوبة: ١١١
(٤) السيد الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، البحث الروائي حول الآية ١١١من سورة التوبة.

في أمره لأتباعه بالخروج إلى أعدائهم أو استنهاضه لهم وما مكان إطلاق تلك الخطب إلا المسجد، ونذكر منها: (أما بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذلّ... وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها. ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها و...)(١) ومنها نعرف أن أمير المؤمنين عليه السلام يستغل تجمعهم في المسجد ويستنهضهم لقتال الأعداء، وبهذا القدر الكفاية في بيان مكانه المسجد في حياة المسلمين في صدر الإسلام.

المسجد في عصر الدولتين الأموية والعباسية

لسنا بصدد البحث عن المسجد تاريخياً عبر العصور لأن ذلك يحتاج إلى دراسة موسعة، كما أن نفس البحث التاريخي عن كل ما يتعلق بالمساجد ليس من أهداف هذا الكتاب، وإنما يمكن لنا بنظره شمولية على تاريخ المساجد في عصر الدولتين الأموية والعباسية أن نعرف أنها توسعت وتطورت من ناحية العمران والعدد إلا إن دورها الريادي في حياة المسلمين في تلك الفترة لم يكن كما.كان في عصر صدر الإسلام وحتى العام الهجري

(١) نهج البلاغة، مقتطفات من خطبة رقم (٢٧) في الكتاب.

الأربعين عام استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وهذا له عدة أسباب، منها:

١ـ انتقال الخلافة الدنيوية بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية بن أبي سفيان وهو غني عن التعريف بانحرافه عن الإسلام، فمن الطبيعي أن لا يساهم في تركيز دور المسجد في حياة المسلمين، وجرى على سيرته تلك من تبعه من حكام بني أمية وبني العباس.

٢ ـ كانت دفة الحكم تدار من قصور بني أمية وبني العباس المترفة فحصل استغناء منهم عن المسجد.

٣ ـ اغلب أوقات الحكام والولاة تقضى في السهر والمجون حتى عندما يجلسون لقضاء أمور الدولة، لذا تراهم يجلسون في غير المسجد لعدم جرأتهم عليه، بل أن همة أجرئهم دون ذلك بكثير.

٤ ـ سوء الظن الحاصل عند الناس بالحكام ساهم في انحسار دور المسجد في حياة المسلمين لأن الغالب كون أئمة المساجد والقيمين عليها من قبل الحكام والولاة المنحرفين.

ومن هذا نعرف أن مسألة كون المسجد وسيلة ارتباط الإنسان بقيادته قد انتهت في هذين العصرين. أما من ناحية وظائف المسجد الأخرى فإن ذلك كله لم يمنع الناس من تقديس المسجد واحترامه وحضور الصلاة فيه فرادى أو حتى جماعة في ظل ظروف التقية المكثفة التي كان يعيشها قادة

المسلمين الحقيقيون وأشياعهم واتباعهم، ولكنهم عرفوا كيف يميزو ما يطرح في المسجد من أخطاء، فمثلاً عرف المسلمون في بداية العصر الأموي أن الصلاة في المسجد مستحبة، لكن سبّ أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر في المسجد خطأ وهو غير مقبول عندهم وعلّموا ذلك للأجيال اللاحقة(١). ولم يخل الذي حضر منهم في المسجد أن يصيب إحدى الخصال الثمان التي سيأتي ذكرها في الفصل الثالث، بل ومن ناحية أخرى نرى ارتباط المسلمين بالمسجد قد بلغ أوجه وذلك من الناحية العلمّية والدراسية وخاصة في الفترة ما بين نهاية العصر الأموي وبداية العصر العباسي وهي فترة ضعف الدولتين، كما أنها فترة إمامة الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، فقد روى المجلسي في بحاره أن الإمام الباقر عليه السلام كان جالساً في المسجد النبوي فجلس إليه أبو حنيفة ليسأله عن مسائل(٢). وروى المفيد في الأرشاد: أن ابن أبي العوجاء وابن طالوت في نفر من الزنادقة كانوا مجتمعين في الموسم بالمسجد الحرام وأبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فيه إذ ذاك يفتي الناس ويفسر لهم القرآن ويجيب عن المسائل بالحجج والبينات(٣)، وكذلك اختص فريق من فقهاء الشيعة بمساجد يدرّسون فيها طلبتهم، مثل جعفر بن بشير الوشاء، وهو من زهاد الشيعة وعبادهم وله مسجد بالكوفة ومات رحمهُ الله سنة ثمانية ومائتين

---

(١) رغم أن أسلوب الأمويين في سب أمير المؤمنين على المنابر قد نجح في الشام مثلا دون الكوفة وغيرها.

(٢) العلامة المجلسي، بحار الأنوار، ج١١، ص١٠٢.

(٣) الشيخ المفيد، الإرشاد، ص٣٦٣.

وقد روى عن الثقاة ورووا عنه(١). وكذلك أبان بن تغلب الحريري الذي قال له الإمام الباقرعليه السلام: (أجلس في مسجد المدينة وأَفت الناس، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك)(٢)، وكذلك معاذ بن مسلم الفراء النحوي الذي قال له الإمام الصادقعليه السلام: (بلغني أنك تقعد في الجامع فتفتي الناس، قال: قلت: نعم كنت أقعد فيجيء الرجل فيسألني عن الشيء، فإذا علمته بالخلاف لكم أخبرته بما يقولون، ويجيء الرجل أعرفه بحبكم ومودتكم فأخبره بما جاء عنكم، ويجيء الرجل لا أعرفه فأقول جاء عن فلان كذا، فأدخل قولكم فيما بين ذلك فقال لي اصنع كذا)(٣) وقد اشتهر في تلك الفترة نظام الحلق في التدريس أي الحلقات في المصطلح المعاصر، على أنها كانت معروفة من أيام الرسولصلى الله عليه وآله الذي قال: (إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، فقالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: حلق الذكر، فأن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم)(٤)، وقد استمر نظام الحلقات هذا في الجوامع حتى عصر الإسماعيلية الذين كانوا يتبعونه في مساجدهم، فقد روى المقريزي (أن أول مسجد أسس بالقاهرة كان في سنة ٣٥٩هـ في عهد المعّز لدين الله، وفي سنة ٣٧٨هـ سأل العزيز بالله ابن كلس في صلة رزق الفقهاء، فأطلق لهم ما يكفي كل واحد منهم، وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع، فإذا كان يوم الجمعة حضروا

(١) النجاشي، الرجال، ص٩٢.

(٢) نفس المصدر، ص٨.

(٣) الكشي، رجال الكشي، ص١٦٤.

(٤) الفيض الكاشاني، المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء، ج١، ص٢٣، ط طهران.

إلى الجامع وتحلقوا(١) فيه بعد الصلاة إلى أن تصلي العصر)(٢)، وما زال نظام الحلقات في التدريس معمولاً به إلى زماننا هذا في الحوزة العلمية في النجف الأشرف. وسيأتي في فصل قادم إن شاء الله، الحديث عن علاقة الحوزة العلمية بالمساجد من ناحية الدراسة ومن نواح أخر.

وقد كان للإمامين الباقر والصادقعليهما السلام اليد الطولى في بث العلوم بمختلف أنواعها فأخذ يتناقل كلماتهم الركبان فلا تكاد تخلو من ذكرهم حلقة دراسية في أي جامع من جوامع الدولة الإسلامية فضلاً عن مكة والمدينة والكوفة، ومما يؤكد ذلك قول الوشاء: دخلت مسجد الكوفة فوجدت تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمدعليه السلام، وهذا يعني أن كل هؤلاء التسعمائة قد استقَوا علومهم من الإمام الصادقعليه السلام، فمن هذا نعرف إلى أي مدى كان المسجد يمثل مصدر النور في حياة المسلمين سيما لو عرفنا أن هؤلاء التسعمائة هم جملة الفكر الإسلامي الحضاري في مختلف حقول العلم والمعرفة بما فيها العلوم الطبيعية كالطب والفلك والكيمياء، والذي اصبح فيما بعد أساس الحضارة الغربية بعد مرور المسلمين بفترة السبات بعد غزو المغول لبغداد وسقوط الدولة العباسية بيد التتار عام ٦٥٦ هـ لكن الحوزة العلمية في النجف الأشرف في ذلك الحين كانت قد تأسست ترفل بالعلماء الأعلام، وذلك في القرن الرابع الهجري وما تلاه، فمن الكليني والكشي ثم الطوسي والنجاشي إلى الطبرسي صاحب

---

(١) تحلقوا: شكلوا حلقات حول أساتذتهم عند جلوسهم.
(٢) الخطط، ج٤، ص٤٩.

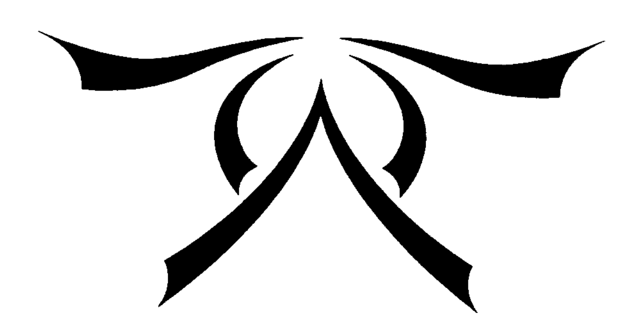
معجم البيان وبعدهم جاء المحقق الحلي والعلامة، لكنهم كلهم لم يكونوا بالصفة التي يقودون الحياة الإسلامية من خلالها نظراً لظروف التقية المكثفة وانشغالهم بتأسيس معالم المذهب التي كادت أن تندثر بعد وقوع الغيبة الكبرى في القرن الثالث الهجري، ونعم ما فعلوا ولله الحمد، إذ لولا جهودهم لاختلط الحابل بالنابل وما هذا إلا بتوفيق لله سبحانه وتعالى طبعاً. المهم في المسألة أن الحياة الاجتماعية في تلك الفترة كانت متراجعة عما يراد منها أن تكون عليه، ومن الطبيعي أن يكون المسجد في حينها قد أسدل دونه الستار وغاب عن مسرح الحياة نوعاً ما لعدم وجود القيادة التي توظفه لأداء دوره المطلوب منه واستمر الوضع هكذا إلى أن نشطت الحوزة من الناحية الاجتماعية شيئاً فشيئاً ووضعت نظريات الإسلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضع التطبيق، فكان المسجد عندها جاهزاً ليكون وسيلة تنفيذ تلك النظريات وهكذا كان، وسيأتي بيان ذلك مفصلاً في الفصل الخامس من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.



الفصـل الـثالـث

الفوائد الدينية والاجتماعية(١)

للحضور في المساجد



(١) تم تسجيل هذه الفوائد في الكتاب بالاستعانة بما ورد في أحاديث أهل البيت عليهم السلام أحياناً وبمعونة استطلاع للرأي عام قام به بعض الأخوة المؤمنين.



مقدمة

قال الصدوق في باب الثمانية من كتابه(الخصال): حدثنا أبي رضي الله عنه قال: حدثنا سعد بن عبد الله عن يعقوب بن يزيد بن محمد بن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن سعد الاسكاف عن زياد بن عيسى عن أبي الجارود عن الأصبع بن نباته عن أمير المؤمنينعليه السلام قال: كان يقول: (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان أخاً مستفاداً في الله أو علماً مستظرفاً أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة ترده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنباً خشيةً أو حياءً)، ونقل الصدوق أيضاً حديثاً آخر بلفظ مقارب عن الحسن بن عليعليه السلام عن الرسول الاكرمصلى الله عليه وآله، ومنهما نفهم بصورة عامة الفوائد المترتبة على الحضور في المساجد وهي كما ترى في الحديث فردية في قسم منها وجماعية في القسم الآخر، ويمكن الدخول تفصيلياً في كلا القسمين كل على حدة:

الفوائد الفردية

يفهم من الحديث المتقدم أن المكثر في حضوره إلى المسجد لابد

أن يصيب إحدى الخصال الثمان المذكورة على أقل تقدير وقد يصيب أثنين أو أكثر أو جميعها،وطبعاً فان هذه الخصال تنعكس أولاً وبالذات على نفس الفرد المؤمن ثم هي بالتالي تكون ثابتة الفائدة للمجتمع لان المجتمع متقوم بأفراده، لكن هناك خصال ـ سواء استفيدت من الحديث أو من غيره كما سيأتي ـ يلحظ فيها الفائدة الجماعية أكثر من الفائدة الفردية فنؤجل ذكرها إلى الفقرة القادمة إن شاء الله تعالى.

وعود على بدء نقول أن الفوائد الفردية يمكن حصرها بعدة جوانب:

اولاً: الجانب الاخلاقي والروحي:

الحضور إلى المساجد باعتباره إطاعة للأمر الإلهي الذي يحث على الحضور في المساجد كما سيأتي في فصول قادمة جملة من الآثار الدالة على ذلك فهو قد وفّر فرصة للعبد المؤمن في التقرب إلى الله سبحانه والتدرج في مدارج الكمال والرقي الروحيين، لذلك فالحضور في المساجد فرصة من فرص تهذيب النفس بغض النظر عن الفوائد الاخرى المتحصلة والتي سيأتي ذكرها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الجلسة في الجامع خير لي من الجلسة في الجنة، لأن الجنة فيها رضى نفسي والجامع فيه رضا ربي)(١). وعن عثمان بن مظعون انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: اني اردت أن اترهب. قال: لا تفعل يا عثمان فإن ترهب امتي القعود في المساجد انتظار الصلاة بعد

---

(١) الحر العاملي، الوسائل، ج٣، باب من أبواب أحكام المساجد، ح٦.

الصلاة(١). والمعروف أن كون الجلوس في المسجد فيه رضى الله لأجل أن الله أمر بالحضور فيه بغض النظر عن سبب هذا الأمر وعلته، فالحضور الذي يكسب الروح الرقي والكمال هو الحضور تنفيذاً للأمر الإلهي فحسب بغض النظر عن الغايات الأخروية والاجتماعية الأخرى فضلاً عن الغايات الدنيوية(٢)، ويشير إلى ذلك أيضاً حديث الخصال المتقدم بقوله عليه السلام (أو رحمة منتظرة) وعليه كانت المساجد ذات تأثير وضعي أو موضوعي في زيادة التقرب المعنوي إلى الله تعالى والخشوع له والتضرع إليه(٣).

وفي المحاسن للبرقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من اقام في مسجد بعد صلاته انتظاراً للصلاة فهو ضيف الله وحق على الله أن يكرم ضيفه)(٤).

ثانياً: الجانب التربوي

يمثل مسجد المنطقة النواة الاجتماعية الثانية بعد الأسرة، فعلى علماء التربية أن يضعوه في حساباتهم عندما يقننون القوانين العصرية في التربية المستوحاة من القرآن وكلام المعصومين عليهم السلام، وتزداد أهميته بعد أن نعرف

(١) نفس المصدر، باب٢، من أبواب المواقيت، ح٧.
(٢) قسم مما ذكر هنا مؤيد بنتائج استطلاع الرأي المتقدم الذكر.
(٣) السيد محمد الصدر، فقه الأخلاق، ج١، مكان المصلى، الفقرة٨، ص١٧٨.
(٤) الحر العاملي، الوسائل، ج٣، باب٢، من ابواب المواقيت، ج١٠.

تراجع كثير من الأسر باعتبارها النواة الاجتماعية الأولى وعلى عاتقها تقع مسؤولية تربية الفرد عن الدور المرسوم لها من قبل الشرع المقدس، وقد أشار إلى جملة من هذا التراجع الشيخ الفلسفي في كتبه(١)، كما أن هناك بعض الجرعات التربوية المعمقة تعجز عن إعطائها الأسر الاعتيادية لأبنائها، فيضطلع بها المسجد الذي مازال يركزّ في نفوسٍ مرتادية حب الله والتجرد عن الدنيا ونبذ العادات السيئة كالكلام الفاحش والتنابز بالألقاب والمزاح الفاحش والتغلب على الأمراض النفسية كالبخل والحرص والغرور والغضب والتكبر والعجب والرياء وحب النفس(٢)، والتحلي بالأخلاق الفاضلة كالأثره والصبر والحلم والشجاعة والكرم والعطف واللين والتسامح والتواضع وحب الخير للآخرين وغيرها من الأمور وبهذا تكتمل شخصية الفرد المؤمن فنراه بعدئذ يختط لحياته خطاً مغايراً للذي بدأها به وينعكس ذلك واضحاً منه على علاقاته الاجتماعية وعلى أسرته، بل نراه يرجع إلى أسرته التي لم تعطه ما أعطاه المسجد فيفيض عليها مما رزقه الله من فيوضاته في المسجد، وقد رأينا ذلك واضحاً عند الكثير من إخواننا المؤمنين الذين حضروا إلى المسجد بعد تأسيس صلاة الجمعة في العراق(٣) والذين حملوا المشعل التربوي من المساجد وادخلوه الى بيوتهم وإلى اخوانهم وزوجاتهم وأمهاتهم وآبائهم، والى ذلك أشار حديث الخصال المتقدم بقوله عليه السلام: أو

---

(١) يراجع الطفل بين الوراثة والتربية للشيخ محمد تقي فلسفي.

(٢)ومما يذكر في هذا الصدد مما ينفع المؤمنين قرائته أن شاء الله كتاب مكارم الأخلاق، وفقه الأخلاق، وجامع السعادات، وتحف العقول، وإرشاد القلوب، ومجموعة ورام، والخصال، والمحجّة البيضاء.

(٣) تأسست صلاة الجمعة في عموم العراق في ٢١/ جمادي الثاني/ ١٤١٨هـ وفي مسجد الكوفة بتاريخ ١٩/ ذي الحجة/ ١٤١٨هـ

كلمة ترده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى، فالحمد لله على جميع نعمه وجزيل إحسانه.

ثالثاً: الجانب العلمي والثقافي

وينقسم الكلام في مسألة استزادة الفرد المؤمن في حضوره في المسجد علمياً وثقافياً إلى عدة محاور:

المحور الأول: الاستفادة من الدروس الفقهية وما يتخللها من مواعظ أخلاقية أو التفاتات ثقافية ودينية لمحاربة البدع والحركات المضللة كحركة الوهابية.

المحور الثاني: الاستفادة من الاستفتاءات المطبوعة أو المستنسخة والتي يتبادلها مرتادو المسجد، أو طرح أسئلة واستفتاءات لإمام المسجد(١) فيجيب على قسم منها ويؤجل القسم الآخر الى حين رجوعه من النجف الاشرف، ويشير إلى ذلك حديث الخصال في مقدمة الفصل بقوله (أو آية محكمة).

المحور الثالث: الاستفادة من الأخوة المؤمنين باستعارة بعض الكتب

---

(١) استطلاع للرأي.

والمجلات والكاسيتات التي تثقف الفرد المؤمن وتعلمه أمور دينه سواء كانت في أصول الدين(١) أو فروعه أو كتب التاريخ وسيرة الرسولﷺ وسير أهل البيتعليهم السلام، ويشير إلى ذلك حديث الخصال في مقدمة الفصل بقوله (أو علما مستظرفا) وكل هذه المحاور مما له أثر في إعداد شخصية المؤمن الرسالي الذي يعي مسؤوليته التي خلقه الله من أجلها، لا مجرد أنه جاء ليأكل وينام وينكح، ﴿إِنْ هُمْ إِلاّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً..﴾(٢).

رابعاً: الجانب الانتمائي والارتباطي

حيث أن عدم انتمائية الفرد تعني عصاميته وغروره وعدم خضوعه لجهة معينة، أما شعوره بأنه منتمي إلى وجود وكيان أكبر منه وأقوى منه وهو الله سبحانه وتعالى متمثلاً بالدين الإسلامي ومذهب أهل البيت فهذه غاية يجب أن يسعى لها كل أحد، والمسجد عندئذ هو حلقة الربط في انتمائه هذا، لأنه في زمان الغيبة الكبرى أصبح من خالف هواه وأطاع أمر مولاه من الفقهاء(٣) هو الذي أمر الإمام الحسن العسكريعليه السلام بوجوب

(١) والمقصود بها كتب العقائد وهي التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد، أما فروعه فهي الرسالة العملية.

(٢) سورة الفرقان: ٤٤

(٣) وردت هذه الصفات في حديث عن الإمام العسكريعليه السلام رواه العاملي في الوسائل، ج١٨، باب من أبوب صفات القاضي، ح٢٠.

تقليده والرجوع له في كل صغيرة وكبيرة، وهذا الفقيه أو المرجع له وكلاء منتشرون في المسجد.

وعليه فقد وفر لنا المسجد جانب ارتباطنا بحوزتنا وانتمائنا لها(١).

الفوائد الجماعية

وهي الفوائد المتحصلة من الحضور الجماعي في المسجد أو حتى الفوائد الفردية بجوانبها الأربعة المتقدمة لو وظفها الفرد في خدمة أسرته ومجتمعه فستصبح بالنتيجة فائدة جماعية من فوائد الحضور في المساجد، فمثلاً علم أهله ومجتمعه ما تعلمه من أخلاق تهذبت روحه بها، أو ربى أبناءه بالأسس التربوية التي تعلمها في المسجد أو نقل لهم ما استعاره من أخوته المصلين من كتب ومجلات واستفتاءات أو ربطهم بحوزتهم وبمقلدهم فهو بهذا حصل على الفائدة الفردية من جهة وحولها إلى فائدة اجتماعية أو جماعية من جهة أخرى.

أما الفوائد الاجتماعية والجماعية البحتة أو المباشرة فهي:

(١) يؤيد ذلك نتائج استطلاع للرأي.

أولا: تقوية الأواصر الأخوية الإيمانية بين أفراد المجتمع عند حضورهم في المساجد، وإحساسهم بقوة الإسلام، ووحدة صف المسلمين ويوحى بهذا صلاة الجماعة أو الجمعة وكذا الآيات والعيدين والطواف وصلاة الطواف جماعة والتي هي من أبرز مظاهر الوحدة وقوة الإسلام والمسلمين. وتدلل على اهتمام الإسلام وتشريعاته بنظام الكيان الموحد والروح الجماعية.

ثانياً: الترابط الاجتماعي بين المسلمين من خلال تعرف بعضهم على بعض، ويشير إلى ذلك حديث الخصال في مقدمة الفصل، وذلك بقوله عليه السلام: (أخا مستفادا في الله)، وبالتالي التزاور فيما بينهم والتوصل إلى حل المشاكل والقضايا التي تهم منطقتهم ومجتمعهم كمساعدة الفقراء والمحتاجين، وإنجاز المشاريع الخيرية ذات المصلحة العامة خاصة في القرى والأرياف كالطرق والأنهار وغيرها.

ثالثاً: حصول الاستقرار والسكون في نفس الإنسان المؤمن عند لقائه بإخوانه في المسجد، ويدل على ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام: (أن المؤمن ليسكن إلى المؤمن كما يسكن الضمآن إلى الماء البارد)(١).

رابعاً: مهمة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي أشار إليها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله (أو كلمةً ترده عن ردى أو يسمع كلمةً تدله على

---

(١) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ح٦٧، باب ، رواية.

هدى)، فهي من الأمور المتحصلة عند الحضور إلى المسجد ولعل المسجد أوضح مصداق لتطبيق هذه المهمة، أو من المفروض أنهم جاءوا لطلب رضا الله فهم لا يخافون في الله لومة لائم.

خامساً: يعتبر المسجد المشخص الأول لما موجود في المجتمع من سلبيات لأنه ملتقى كل الطبقات وإليه ترد جميع أنواع السلبيات والمشاكل، وبذلك فالتوجيهات بخصوص هذه المشاكل تصدر منه، لذا فالمجتمع ميدان لتطبيق ما يأمر به المسجد(١).

سادساً: إطلاع المسلمين على القضايا المعاصرة التي تهمهم خاصة تلك التي تهدد كيان الإسلام ووحدته، لذا فالمسجد يربي المجتمع للاهتمام بأمور المسلمين وقد ورد في الحديث: (مَن أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)(٢).

سابعاً: المسجد يزرع روح الأخوة الحقيقية والمسؤولية المشتركة فيما يتعرض له الإسلام من تحديات داخلية وخارجية، وهو بهذا يمثل دعوةً للتقريب بين المذاهب الإسلامية، قال أحد العلماء(٣): تربط الأمة الإسلامية ثلاث أواصر: إله واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة ولا يخلو من هذه الثلاثة مسجد يَفدُ إليها المسلمون من أقطار الأرض كل عام ليعبدوا هذا

---

(١) من نتائج استطلاع للرأي.
(٢) الشيخ محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ح٧٤، باب (٢٠)، رواية ١١٦.
(٣) الشيخ محمد جواد مغنية.

الإله الواحد بتلك الشريعة الواحدة، على أرض واحدة، هي أرض الوطن الروحي، وهكذا تجسدت وحدة العقيدة ووحدة الشريعة، ووحدة الوطن الأعلى ليذكر المسلمون أنهم وإن تفرقت أقطارهم واختلفت أنسابهم وألسنتهم وألوانهم، تجمعهم جامعة الدين والله والوطن، وإنه إذا جَدَ الجَد وجب أن يضحي كل فريق منهم بمصالحه الخاصة في سبيل المصلحة المشتركة(١).

ثامناً: يمثل المسجد جهة إعلامية مرعبة لأعداء الإسلام، وذلك لأنه المبرز لنقاط القوة في الدين الإسلامي والتي تميزه عن باقي الأديان والاعتقادات والأيديولوجيات وهذه النقاط متمثلة بالأسلوب الاجتماعي في التشريع والدعوة وكما قلنا فيما سبق فإن مكان تنفيذ هذه الأساليب هو المسجد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو جهة إعلامية مهمة في تحسين سمعة الدين الإسلامي وترغيب أفراد باقي الأديان للدخول فيه.

تاسعاً: المسجد وسيلة مهمة لتقليل الفوارق الطبقية الاجتماعية والاقتصادية بين أفراد المجتمع ولعل أوضح مصداق من المساجد في تطبيق هذه الفائدة هو المسجد الحرام وذلك أثناء مراسيم الحج حيث اللباس الواحد والحركة الواحدة.

عاشراً: ونختم الفوائد الاجتماعية للمساجد بفائدة كبيرة ومهمة ومؤثرة في نشر الوعي والإيمان داخل صفوف المجتمع، ألا وهي إحياء الشعائر

(١) محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ج١، ص٢٣٧.

الدينية كذكرى استشهاد أبي عبد الله الحسين عليه السلام وكذلك مناسبات وفيات وولادات المعصومين عليهم السلام وكذلك المناسبات الإسلامية الأخرى كالبعثة النبوية والإسراء والمعراج وليالي القدر في شهر رمضان وغيرها. والكل قد لمس بنفسه ما لهذه المناسبات وإقامتها في المسجد من أثر طيب عليه، وما تركته من ذكريات مؤنسة في حياته، وما أعطته إياه من دروس وعبر(١)، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(٢).

المسجد راية

اصبح المسجد بعد الذي عرفناه عنه في فوائده الفردية والجماعية بمثابة الثغر الذي فيه ينظم المسلمون صفوفهم ويقوون إيمانهم ضد اعدائهم حتى أن المرابطة في الآية الكريمة﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣) والتي هي أوضح مصاديقها ساحة القتال فُسّرت في حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله بالمسجد فقد جاء في وصيته صلى الله عليه وآله لابي ذر: يا ابا ذر إن الله يعطيك ما دمت جالساً في المسجد بكل نفس تتنفس فيه درجة في الجنة وتصلي عليك الملائكة ويكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات ويمحو عنك عشر سيئات، يا ابا ذر

(١) من استطلاع الرأي.
(٢) سورة الحج: ٣٢
(٣) سورة آل عمران: ٢٠٠

اتعلم في أي شيء نزلت هذه الآية﴿اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)، قلت: لا، قال: في انتظار الصلاة خلف الصلاة، يا ابا ذر اسباغ الوضوء على المكاره من الكفارات وكثرة (الاختلاف إلى المساجد) انتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، يا ابا ذر كل جلوس في المسجد لغو الا ثلاثة قراءة مُصلٍّ أو ذاكر الله تعالى أو مسائل في علم(٢).

لقد أدرك أعداء الدين والإسلام ومنذ زمان بعيد هذه الفوائد الدينية والاجتماعية للمسجد وعرفوا من خلالها بأن المسجد بالنسبة للدين الإسلامي بمثابة الراية إلى الجيش فحاولوا بشتى الوسائل الإيقاع بتلك الراية لينهار الجيش كله وحاولوا ذلك بشتى الوسائل الخبيثة المتاحة لهم، فكانت محاولاتهم تلك وردّها من قبل الخلّص من المسلمين سجالاً على مر التاريخ:﴿كُلَّمَا أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾(٣) وكانت محاولاتهم تلك على محورين:

الأول: من ناحية هدم أبنية الجوامع والسعي في خرابها على شكل هجوم عدواني مباشر أو تحت ذرائع أخرى واهية غير متسمة ظاهراً بالعدوانية، ومن ذلك ما فعله الحجاج الثقفي عندما رمى الكعبة المشرفة بالمنجنيق وهدمها خدمة لأغراض وأهداف الأمويين ومحاولاتهم في إطفاء

---

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠

(٢) الحر العاملي: الوسائل: ج٣، باب٢، من ابواب المواقيت، ح٨

(٣) سورة المائدة: ٦٤

نور الله سبحانه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(١).

والثاني: محاولة تفريغ الجامع من دوره الحقيقي عن طريق عرقلة كل الفوائد المتقدمة الذكر، بمنع الآذان مرة ومنع الصلاة أخرى أو مضايقة الأفراد البارزين المرتادين لتلك الجوامع أو محاربة الأفكار المؤثرة في المجتمع والتي يبثها المسجد عن طريق إذكاء نقائضها وبث الإشاعات ضدها ومحاولة إخماد أثرها، ومن ذلك ما فعله الصهاينة ضد المصلين في المسجد حيث قتلوهم داخله، وذلك ضمن سلسلة أحداث ثورة الحجارة القائمة في الأرض الإسلامية المحتلة منذ أكثر من اثنتي عشرة سنة.

لكن المسلمين (أعزهم الله) وعلى طول التاريخ وبفضل الله سبحانه وتعالى وبتقديمهم التضحيات تلو التضحيات قد أبقوا الراية مرفوعة إلى اعنان السماء حاملةً على ساريتها كل تعاليم الإسلام وأهدافه لئلا تغوص في وحل الشرك والمادية والفرعونية.

خاتمة: في صلاة الجماعة

وبعد كل ذلك فلا نستغرب إذن أن ترد من الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام أحاديث كثيرة تحث على الحضور في المساجد، ولعل

(١) سورة البقرة: ١١٤

المظهر الأوضح في هذا الحضور هو أداء صلاة الجماعة وربما كانت أهم مراسيم الحضور في المساجد وانفعها وتحت ظلها تتم كل المراسيم الأخرى المتقدمة، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من سمع النداء فلم يجب من غير علة فلا صلاة له)(١) وقال أبو عبد الله عليه السلام: (أما يستحيي الرجل منكم أن تكون له جارية فيبيعها فتقول: لم يكن يحضر الصلاة)(٢) وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: (همّ رسول الله صلى الله عليه وآله بإحراق قوم في منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون جماعة، فأتاه رجل أعمى فقال: يا رسول الله أنا ضرير البصر وربما أسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله شدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة)(٣)، وقال الصادق عليه السلام: (منَ صلى الغداة والعشاء الآخرة في جماعة فهو في ذمة الله عزّ وجلّ، ومن ظَلَمَه فإنما يظلم الله، ومن حَقّره فإنما يحقّر الله عزّ وجلّ)(٤)، وقال أيضاً عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَن صلى المغرب والعشاء والآخرة وصلاة الغداة في المسجد في جماعة فكأنما أحيا الليل كله)(٥)، وعن جميل بن صالح أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام أيهما أفضل؟ يصلي الرجل لنفسه في أول الوقت أو يؤخر قليلاً ويصلي بأهل مسجده إذا كان إمامهم؟ قال: يؤخر ويصلي بأهل مسجده إذا كان الإمام)(٦).

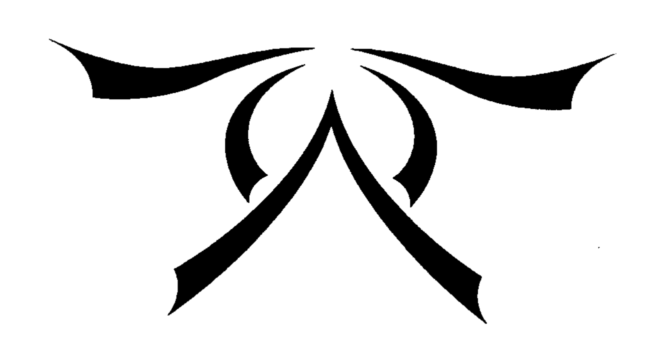
---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، باب ، أبواب صلاة الجماعة، ح١.
(٢) المصدر السابق، ح٢.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح٥، باب ، أبواب صلاة الجماعة، ح٩.
(٤) المصدر السابق، ح ، ح٢.
(٥) المصدر السابق، ح٣.
(٦) المصدر السابق، باب ، ح١.

الفصل الرابع

تكاليفنا تجاه المساجد

من القرآن والسنة الشريفة





مقدمة

يبدو أن منزلة المسجد في الإسلام بعد ما سمعته مما تقدم في الفصول الثلاثة ـــ

أصبحت واضحة، وقد ورد في القرآن الكريم والسنة الشريفة من النصوص ما يدل على عظم منزلة المسجد، قال تعالى:﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(١). ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾(٢)،﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾(٣)،﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾(٤).

أما السنة الشريفة فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبرائيل عليه السلام: يا جبرائيل أي البقاع أحب إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: المساجد وأحب أهلها إلى الله أولهم دخولاً وأخرهم خروجاً منها)(٥)، وروي عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (أن الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال: لولا الذين يتحابّون بحلالي،

(١) سورة الجن: ١٨

(٢) سورة الأعراف: ٢٩

(٣) سورة الأعراف: ٣١

(٤) سورة آل عمران: ٩٦

(٥) الحر العاملي، الوسائل، ج٣، الباب ٦٨ من أبواب أحكام المساجد، ح٢.

ويعمرون مساجدي، ويستغفرون بالأسحار، لأنزلت عذابي)(١).

وما جاء في المقنع قال (أن في التوراة مكتوباً أن بيوتي في الأرض المساجد لمن تطهر في بيته ثم زارني وحق على المزور أن يكرم الزائر)(٢)، ومن هذا كله والذي تقدمه نعرف علو منزلة المسجد في الإسلام وعظم الفوائد التي يقدمها، وفي هذا الفصل نتعرف على تكاليفنا تجاه هذا الصرح العظيم حتى يستمر عطاؤه لنا وإلا فسوف ينحسر دوره ويضيع وقد تم استيحاؤها من القرآن الكريم والسنة الشريفة. ومن هذه التكاليف(٣).

أولاً: إعمار المساجد

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ**﴾(٤).

تبين الآية أن الذي يعمر المساجد هو الذي يرتادها بقلب طاهر وبصر خاشع فهو يعمرها معنوياً فتواجد المؤمنين في المسجد بهذه الصورة إحياءً

(١) الحر العاملي، الوسائل، ج٣، باب من أبواب أحكام المساجد، ح٥.
(٢) المصدر السابق، باب ، ح٥.
(٣) المقصود بالتكاليف، ليست أحكام المساجد وآدابها إذ أن ذلك سيأتي في الفصل السادس بل المقصود هو تكاليفنا تجاه المسجد لحفظ العلاقة التبادلية ويعتبر هذا شرط في حصول الفوائد المتقدمة.
(٤) سورة التوبة: ١٨.

له وعمارةً له بذكر الله فيه، وهذا لا يحصل إلا من المؤمنين لذلك خصّت الآية عمارة المساجد بالمؤمنين، ولا تدل الآية على البناء المادي(١)، لأن كثيراً من المنافقين قد تحقق منهم البناء خارجاً، أما صاحب تفسير السعادة(٢) فيرى أن العمارة المقصودة هي عمارة القلب لأنه بيت الله وحرم الله ومسجده الحقيقي والآية المذكورة لها ربط بما سبقها﴿**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله**﴾(٣)، وقد ثبت أن عمارة المسجد الحرام المادية قد فعلها مشركو قريش، إذن فالإعمار المقصود في الآيتين ليس هو الأعمار المادي بل المعنوي، وهذا هو دأب الشرع المقدس في تقييم الأعمال، إذ ليس المهم فيه هو الأمور الظاهرية المعنوية منه بل أهم شئ فيه النية والقصد، وقال الرسول الأكرمصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم)(٤)، وقال أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ: (إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى عيسى بن مريمعَلَيْهِ السَّلَامُ قل للملأ من بني إسرائيل لا تدخلوا بيتاً من بيوتي إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة وأَكُفً نقية)(٥)، وعن النبيصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: (أذا أنزل الله عاهة من السماء عوفي منها حملة القرآن ورعاة الشمس (أي الحافظون لأوقات الصلاة) وعمّار المسجد)(٦) وهذا الحديث يبين إنزال عمار المساجد بمنزلة الحافظين لصلاتهم ومنزلة حملة

---

(١) وإن كان فضل البناء المادي لا ينكر وقد ورد الحث عليه في السنة الشريفة (أنظره ثانياً).

(٢) الحاج سلطان محمد الجنابدي، بيان السعادة في مقامات العبادة، ج٢، ص٢٤٨.

(٣) سورة التوبة: ١٧

(٤) البحار، ح ٧٠، باب(٥٤)، رواية ٢١.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار ج٧٧، ص.١٠

(٦) حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص١٤٩.

القرآن وهؤلاء الحافظون هم المؤمنون لا مطلق الحافظين وكذلك الحاملون للقرآن المراد بهم العاملون بتأويله وتفسيره لا مطلق الحفظة، لذا فالمراد بالعمّار المعنى الذي ذكرناه لا البناة وإن كان منطبقاً على البناة المخلصين المرتادين للمساجد، وعلى كل حال فبقيد الإخلاص يمكن الحمل على المعنيين الظاهر وغيره.

ثانياً: الحث على بناء المساجد

عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله قبل وفاته وهي آخر خطبة له في المدينة حتى لحق بالله عزّ وجلّ فوعظنا بمواعظ ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، واقشعرت منها الجلود، وتقلقلت منها الأحشاء، أمر بلالا فنادى، الصلاة جامعة، فإجتمع الناس، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ارتقى المنبر إلى أن قال في خطبته: (ومن بنى مسجداً في الدنيا اعطاه الله بكل شبر منه أو قال بكل ذراع منه مسيرة أربعين ألف ألف عام مدينة من ذهب وفضة ودر وياقوت وزمرد وزبرجد ولؤلؤ...)(١)، وعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل أنه رأى ليلة الإسراء هذه الكلمات مكتوبة على الباب السادس مَن الجنة: (لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله، من أحب أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فليْبنِ المساجد ومن

(١) ثواب الأعمال، باب مناهي النبي صلى الله عليه وآله، ص٢٤٩، نقلاً عن بحار الأنوار للمجلسي، ح٧٦.

أحب أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد ومن أحب أن لا يظلم لحده فلينوِّر المساجد، ومن أحب أن يبقى طرياً تحت الأرض فلا يبلى جسده فليشترِ بُسط المسجد)(١)، ومن هذين الحديثين نفهم مدى أهمية بناء المساجد والتي لولاها لما صارت كل تلك الفوائد التي تقدمت، لذا ترى الرسول صلى الله عليه وآله قد أمر أن ينادي في الناس ويرتقي المنبر فيحكي لهم ما لباني المسجد من ثواب، وكذلك الكلمات المكتوبة على باب الجنة في فضل بناء المسجد وقد اقترنت كتابتها مع أصول الدين (التوحيد، النبوة، الإمامة) والمهم في بناء المساجد مجرد وجودها ولو بابسط الدرجات من الحجم والارتفاع، بل ورد في آثار المعصومين عليهم السلام ما يدل على الاستحباب باتخاذها مكشوفة ففي صحيح الحلي عن أبي عبد الله عليه السلام حيث أجاب حين سأل عن المساجد المضللة(المسقوفة) أتكره الصلاة فيها؟ فقال: (نعم، ولكن لا يضّركم اليوم(٢) ولو كان العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك)(٣) وفي مرسل الفقيه للصدوق: قال أبو جعفر عليه السلام: (أول ما يبدأ به قائمنا سقوف المساجد فيكسّرها ويأمر بها فتجعل عريشاً كعريش موسى(٤))(٥)، ومن

---

(١) حسين النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٨٥.

(٢) بأعتبار أن العرف في ذلك الزمان أو الحالي أيضاً يصّر على جعلها مسقوفة لا أن سقفها مهم في أصل الشريعة.

(٣) الوسائل، باب ، من أبواب أحكام المساجد، حديث.

(٤) ورد هذا التشبيه في حديث للإمام الصادق عليه السلام أيضا يصف فيه طريقة بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنه كان مضللاً تضليلاً بسيطاً لأجل الوقاية من الحر فقط وكان لا يمنع المطر وسقفه عبارة عن سواري من جذوع النخل قد طرحت عليه العوارض والخصف طرحاً بدون تطيين وعندما طلبوا من الرسول صلى الله عليه وآله تطيينها لمنع المطر قال صلى الله عليه وآله: لا، عريش كعريش موسى عليه السلام.

(٥) الوسائل، باب ٩ من ابواب أحكام المساجد، جديث ٤.

آداب البناء الأخرى ما يتعلق بالمنابر فعن جعفر الصادقعليه السلام عن أبيه عن آبائهعليهم السلام: (إن علياًعليه السلام مرَّ على منارة طويلة فأمر بهدمها ثم قال: لا ترفع المنارة إلا مع سطح المسجد)(١)، أما ما يتعلق بزخرفة المساجد وتزيينها فقد ورد عن الإمام جعفر الصادقعليه السلام بعد أن سُئل عن الصلاة في المساجد المصورة فقال: (أكره ذلك ولكن لا يضركم اليوم(٢) ولو قام العدل لرأيتم كيف يصنع في ذلك)(٣)، أما تعلية المسجد فقال الفقهاء انه مكروه لما ورد أن حائط مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله كان قامة(٤).

ثالثاً: التقوى أساس المسجد

وليس الاعتناء ببناء المسجد وحده كافياً في صلاحية المسجد للعبادة ما لم تكن نية بانيه إرادة وجه الله سبحانه وتعالى ولو بدرجة من الدرجات، وإلا فإن المسجد لا يحقق الأهداف المتوخاة من بنائه، بل ربما كانت نتائج بنائه عكسية، وربما كان أوضح مصداق على هذا النوع من المساجد مسجد ضرار، قال الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿ **وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا**

---

(١) الوسائل، باب ٢٥، من أبواب أحكام المساجد، حديث ٢.

(٢) عدم الضرر هذا بالنسبة لمن يريد ان يصلي في تلك المساجد، أما من أراد أن يبني المساجد فعليه أن يراعي عدم البذخ واللإسراف وعدم التركيز على المظهر فحسب، بل يكون هدفه مجرد توفير مكان لعبادة الله سبحانه، ومن هذا تعرف ضلال ما عليه البعض من بناة المساجد من بناة المساجد من الذين يهدفون إلى المفاخرة والمباهاة والعياذ بالله.

(٣) الوسائل، باب ١٥، من أبواب أحكام المساجد، حديث.

(٤) المصدر السابق، ٩، حديث ١

وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ، أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، لاَ يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْاْ رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١)، والآيات واضحة الدلالة على المراد، وما يدل بالخصوص فيها على عدم صلاحية هكذا مسجد للعبادة قوله تعالى ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾(٢) فهو أمر مؤكد في النهي عن إقامة الصلاة فيه، إذن فالمقوم لوجود المسجد ليس ضخامة البناء ولا مكانة بناته المادية أو الاجتماعية، بل المقوم له هو مقدار ذكر الله سبحانه فيه، ومدى فاعلية ذلك الجامع في تغيير المجتمع نحو الأفضل، ومقدار همة وزهد بناته ومقدار إيمانهم بالله، فعندئذ يكون المسجد الذي بنوه قد أسس على التقوى فيكون صالحاً للعبادة، وهذا هو سرّ الفرق والاختلاف بين المساجد الإسلامية بعضها مع بعض من جهة وبينها وبين دور العبادة في الأديان الأخرى كالكنائس من جهة أخرى، وما ذكره الدكتور مؤنس(٣) خير شاهد على هذا الفرق المذكور بين الكنيسة والمسجد حيث قال: (المساجد منشآت صغيرة الحجم بسيطة العمارة، ونادراً ما تكون سامقة الارتفاع(٤)...

---

(١) سورة التوبة: ١٠٧ ١١٠

(٢) سورة التوبة: ١٠٨

(٣) د. حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، كتاب المسجد.

(٤)كان على الدكتور أن يذكر العلة في ذلك والتي هي كراهة تعليه جدران المسجد.

ولو أخذت الصخر الذي بنيت به كنيسة النوتردام في باريس لوجدته يعدل في الحجم والوزن أربعة أو خمسة من مساجد الإسلام الكبرى، فإذا ذكرت إلى جانب ذلك أن معظم مساحات مساجد الإسلام صحون خالية غير مسقوفة(١) تبينت أن مباني أعاظم المساجد ليست بشيء(٢) بجانب صغائر الكنائس والبيع ومعابد الهندوكيين والبوذيين)(٣)، لكن هذا لم يرفع من شأن الكنائس أو يحط من شأن الجوامع بل على العكس كان مؤشراً على وجود التقوى التي هي أساس بناء الجوامع(٤).

ويمكننا هنا إتماما للفائدة ذكر وتقصي بعض الاختلافات الأخرى بين المسجد ودور العبادة الأخرى بالقول: إن المسجد حافظ على قداسته ومراسيم العبادة حين شرع عدم الاختلاط بين الجنسين الذي يسبب انتهاك حرمة المكان المقدس، كما يحصل في دور العبادة الأخرى كالكنائس وغيرها من اختلاط محرم، فنصت الشريعة على أن مسجد المرأة بيتها، كما أن المسجد لم يكن يوماً من الأيام وسيلة للتلاعب بعقول الناس وابتزازهم كما يحصل من بعض الأساقفة والقسيسين(٥) في دور العبادة الأخرى، حيث نشرت إحدى الصحف خبرا عن قس إيطالي طرح عقودا لشراء أرض في

---

(١) كأغلب المساجد المهمة في اللإسلام كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الكوفة والسهلة وغيرها.

(٢) والكلام هنا طبعا بحدود الناحية العمرانية لا أكثر.

(٣) الدكتور حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، كتاب المساجد.

(٤) على ان بعض الجوامع القليلة قد ركز فيها على الناحية العمرانية فقط فتكون مشمولة بالكلام.

(٥) أسماء لمراتب أو مناصب علماء الدين المسيحيين.

الجنة، ومما يذكر في المقام أيضاً أن الكنيسة كانت ضد العلم(١)، وضد أي طرح يناقض أطروحتها حتى لو كان علمياً صحيحاً مثبتاً، بينما المسجد كان وما يزال يهتم بالعلم بل هو منبع العلم كما عرفت من حديث الوشاء وغيره في الفصول السابقة، وهكذا نجد أن المسجد على النقيض تماماً من بقيه الدور العبادية الأخرى، لأن المسجد يكشف عن واقع الدين ويعيش بين الناس ويراعي مصالحهم وينظر في همومهم ومشاكلهم، لذا تراه نجح وقاد اجتماعياً وفكرياً، كانت الكنيسة وما زالت انعزالية غريبة عن أصحابها تفصل بين الدين والحياة حتى أنها غالباً تبنى على مرتفع خارج حدود المدينة، ولا يدخلونها إلا يوم الأحد.

ويمكن هنا ذكر الحادثة التي نقلها أحد العلماء(٢) كشاهد ومؤيد لمسألة كون التقوى أساس المسجد وليس شموخ البناء وزخرفته، حيث قال ما نصه: (أن مجموعة من المبشرين وردوا مدينة أصفهان فقالوا لأهلها، ألا ترون أن كنائسنا عامرة ولطيفة ومزوقة ومساجدكم خاوية قديمة متهدمة فخفَّ الناس إلى علمائهم وفضلائهم يلتمسون منهم الجواب على هذه الشبهة التي انقدحت في آذهانهم، فمنهم من سد بابه ومنهم من قال لا أعرف وآخر يقول ليس من اختصاصي إلا واحد كان في بيته فسمع

(١) أعدمت الكنيسة العالم (غاليلو) لما قال بكروية الأرض، وكانت الكنيسة سبباً في تأخير العلم وعاشت أوروبا فترة من الجهل والظلام بسبب سيطرة الكنيسة على الحياة، ولكن بعد عصر الثورة الصناعية وفك طوق الكنيسة، اصبح لدى الغربيين رد فعل عنيفة تجاه الدين حتى قالوا أنه(أفيون الشعوب) وهذا من سواء توفيقهم إذ أن الخلل ليس بالتوحيد أو الدين إنما الخلل بالنفس الأمارة بالسوء للقسيسين والرهبان.

(٢) وهو آية الله العظمى السيد محمد الصدر (قدس سره) نقلاً عن والده (قدس سره).

لغطاً بين الناس فخرج إليهم وسألهم فقيل له بالأمر فقال: عندي الحل، وأمر بالاجتماع في مسجد المدينة، وإنه سيصلي بهم جماعة، وهناك يرون الجواب، فاجتمع الناس وصعد بهم خطيباً وقال للمسيحيين: إن كنائسكم عامرة لأنها خالية من ذكر الله سبحانه ونحن نذكر الله سبحانه في مساجدنا كثيراً فتخشع وتتصدع من خشية الله تعالى فتكون بهذا الحال من الانهدام. ومحل الشاهد في القضية أنه لما صار وقت الآذان وقد أجتمع خلق كثير، كلما قال المؤذن (الله أكبر) إنفلق السقف وانفطر فطراً كبيراً فانهزم الناس لئلا يسقط عليهم، وما أمسى المساء إلا والمبشرون خارج المدينة خائفون خائبون، ولما سأل هذا الرجل، من أين علمت أن السقف سيحصل له ما حصل عند ذكر الله سبحانه؟ قال: لأنني عرفت أن هذا مما يتوقف عليه أساس العقيدة الدينية والله سبحانه يعز دينه وهو مطلع على ذلك فلا بد أن يرعانا بكراماته ومعجزاته)(١)، ويمكن اعتبار هذه الحادثة رداً على أولئك الذين يقفون مبهورين أمام الحضارة الغربية المبهرجة وقد ذهب سنا برقها بأبصارهم، وكلهم أسى وحزن لعدم امتلاكهم مثلها ولكنهم غير ملتفتين إلى نعمة الإيمان بالله ورسوله والأئمة المعصومين(صلوات الله وسلامه عليهم) التي فقدها الغربيون رغم أنهم قد ربحوا الحضارة المادية، لكننا وإن خسرنا هذه الحضارة إلا أننا ممتلكون لأسباب الوصول إلى مراتب الإيمان بالله ورسوله والأئمة (صلوات الله وسلامه عليهم) وبالإضافة إلى هذا فالحضارة الغربية قد وصلت إلينا كوسائل مساعدة لهدفنا هذا وبدون تعب والحمد لله

---

(١) ذكر ذلك في أحد لقاءات آية الله العظمى السيد محمد الصدر (قدس سره) مع مجموعة من طلبة العلوم الدينية.

رب العالمين، فلماذا لا يتعظ أولئك المبهورون ويعودون عن غّيهم.

رابعاً: الحث على السعي إلى المساجد

قال الله تعالى في كتابه العزيز:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١) وفي الآية دلالة واضحة على الأمر بالسعي إلى ذكر الله في المسجد(٢)، وقد طفحت السنة الشريفة بحث الناس على السعي إلى المساجد وبينت الفضل العظيم لهذا الفعل، لأنه الخطوة الثانية المكملة لبناء المساجد على التقوى التي تمثل الخطوة الأولى في طريق الوصول إلى أهداف الإسلام المتوخاة من المسجد. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألا أن بيوتي في الأرض المساجد تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ألا طوبى لمن كانت المساجد بيوته ألا طوبى لعبد توضأ في بيته ثم زارني في بيتي ألا أن على المزور كرامة الزائر ألا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة)(٣). وعن علي بن الحكم، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: (مَن مشى إلى المسجد لم يَضع رجلاً على رطب ولا

---

(١) سورة الجمعة: ٩

(٢) وأن كانت الآية نازلة في صلاة الجمعة إلا أنها تتضمن الحث على الحضور في المساجد.

(٣) حسين النوري، مستدرك الوسائل، ح٣، ص٣٨٥.

يابس إلا سبحّت له الأرض إلى الأرضيين السبع)(١)، وعن مرازم أيضاً قال: (عليكم في الصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز)(٢)، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (من مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات وعشر سيئات ورفع له عشر درجات)(٣)، وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن علي بن الحسين عليه السلام استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلّف بالغالية فقال له: جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين قال: إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله أخطب الحور العين إلى الله عزّ وجلّ)(٤). وهذا الجواب من الإمام عليه السلام طبعاً موافق لمستوى السائل(٥) ومعناه والله العالم أن الإمام عليه السلام أراد أن يبين لهذا المولى أن دخول المسجد ثوابه الجنة والجنة مسكن الحور العين فيكون دخول المسجد بمثابة خطبة الحور العين والزواج منهنَّ في الجنة، على أن الإمام زين العابدين كان يشتري العبيد ويبقيهم عنده عاماً ثم يعتقهم بعد أن يعلمهم الإسلام الحقيقي وولاية أهل البيت ليكونوا دعاة له بعد عتقهم، فيمكن أن نفهم من الحديث أن الإمام عليه السلام أراد أن يفهم هذا العبد قبل عتقه أهمية السعي إلى المساجد والله العالم.

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح٣، باب من أحكام المسجد، ح١.
(٢) الكليني، الكافي، ج٢، ص٦٣٥.
(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح٣، باب من أحكام المسجد، ح٣.
(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ح٣، باب(٢٣)، من أحكام المساجد، ح١.
(٥)وإلا فأن همة الإمام عليه السلام أعلى من ذلك بما لا يوصف، والمقام من باب (كلم الناس على قدر عقولهم).

خامساً: عدم هجر المساجد والسعي في خرابها

خراب المسجد ضد عمارته، وقرن الله تعالى الخراب بشدة الظلم، فقال تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(١)، وروي عن الإمام الصادقعليه السلام أن المراد بذلك قريش حين منعوا رسول الله صلى الله عليه وآله دخول مكة والمسجد وهناك بعض المفسرين ممن قال أنها وصفت الروم عندما غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه إلى أن أظهر الله المسلمين عليهم في أيام عمر، فصاروا لا يدخلونها إلا خائفين يتهيبون من المؤمنين أن يبطشوا بهم، ومما يؤيد القول الأول، ما روي أن رسول صلى الله عليه وآله أمر أن ينادي بعد نزول الآية: (لا يحجَّنَّ بعد عامنا هذا مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان)(٢) إلا أنه وكما يقال في الاستنباط (أن الوارد لا يخصص المورد)، لذا فالآية جاءت بحكم عام تصف الساعي في خراب المساجد بأنه في غاية الظلم، والمقصود هنا بالخراب ليس الهدم المادي بل الهدم المعنوي، وإن كان الهدم المادي مصداق من مصاديقه أي لو تم هدم بناء الجامع فهذا الأمر يكون بالتالي هدم لأهداف الجامع. فهو هدم معنوي من هذه الناحية، لذا فالهدم المعنوي أعم من المادي وغيره فيكون هو المقصود بالآية ويمكن طرح مؤيدات ثلاث لهذه النتيجة:

---

(١) سورة البقرة: ١١٤

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج٢١، باب(٣١)، ص٢٦٧.

المؤيد الأول: أن الخراب ضد العمران من عَمَرَ يَعْمُرْ بينما البناء ضد الهدم، فيقال بيت عامر وهذا بيت خرب، وهذه حجرةٌ خربة، أي لها وجود، ولكنها مهجورة، فأصابها القدم والعتق.

المؤيد الثاني: قوله سبحانه وتعالى بعد ذلك:﴿**أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ**﴾(١) بينما هم في البداية سعوا في خرابها، فلو كان الخراب بمعنى الهدم المادي فكيف يدخلون المساجد المهدومة، لذا فالآية تبين شدة الظلم ممن سعى في هدم المساجد معنوياً وسعى في هجرانها وتعطيل دورها الاجتماعي والديني سواء عن طريق منع الصلاة فيها أو إزالة أبنيتها من الأساس.

المؤيد الثالث: قول أبي عبد الله عليه السلام: (ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ مسجد خراب لا يصلي فيه أهله وعالم بين جهال ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه)(٢).

أما السنة الشريفة فقد أكدت على ملازمة المسجد وعدم هجره، حتى أن أمير المؤمنين عليه السلام قد جعل ذلك من ضمن وصاياه حيث قال: (الله الله في بيت ربكم فأنه إن ترك لم تنظروا)(٣)، فيمكن أن نفهم من الحديث والله العالم أن هجر المسلمين لبيت الله وهو المسجد يؤدي إلى خسارتهم

---

(١) سورة البقرة: ١١٤

(٢) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، باب من أبواب قراءة القرآن، ح٢.

(٣) نهج البلاغة للإمام علي ابن أبي طالب عليه السلام، باب الوصايا.

العناية الإلهية وأنه سبحانه لا ينظر إليهم أو أن هجر المسجد يؤدي إلى عدم الإمهال والأنظار من قبل الأعداء لأنه وسيلتنا للوقوف في وجه عدونا فما دمنا نرتاده فنحن على خير أما لو تركناه فهذا يعني ضعفنا وتفرقنا وسهولة انقضاض العدو علينا وقضاءَه علينا، ومما نقل عن الأئمةعليهم السلام بهذا الصدد، ما نقله زريق عن أبي عبد اللهعليه السلام قال: (شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها فأوحى الله إليها وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة ولا أظهرت لهم في الناس عدالة ولا نالتهم رحمتي ولا جاورني في جنتي)(١)، وقد وقف الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله موقفاً شديداً ممن كان يقاطع المسجد أو لا يحضر صلاة الجمعة أو الجماعة واستنكر ذلك منهم أشد الاستنكار وقد قال مرة:

(ليوشك قوم يدعون الصلاة في المسجد أن تأمر بحطب، فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم نار فتحرق عليهم بيوتهم)(٢)، وقال أمير المؤمنينعليه السلام في قوم لا يحضرون الجماعة معهُ في المسجد: (ليحضرن معنا صلاتنا جماعة، أو ليتحوّلنّ عنّا ولا يجاورونا ولا نجاورهم)(٣).

ومن كل هذا نفهم أن القرآن الكريم والرسولصلى الله عليه وآله والأئمةعليهم السلام قد شددوا على الحضور في المساجد حتى أن هناك بعض الأحاديث توحي

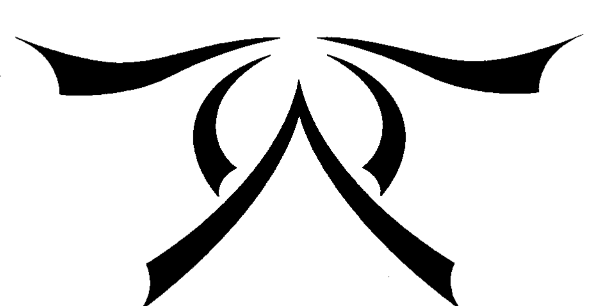
(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٣، أبواب أحكام المساجد، باب ، ح٨
(٢) المصدر السابق، ح٢.
(٣) المصدر السابق، ح٧.

ببطلان صلاة من لا يحضر إلى المسجد وكان من جيرانه إلا أن الفقهاء فهموا منها الكراهة، وما هذا إلا لبيان مدى أهمية المسجد ودوره الأساس في تفعيل دور القائد ومن يعمل تحت رايته وإلا لضاعت الكثير من أهداف الإسلام. وقد بقي هذا الهاجس وهو رعاية المساجد وتعهدها حتى في زمان الغيبة الكبرى من قبل العلماء العاملين جزاهم الله عنا خير جزاء المحسنين، وسيأتي في الفصل القادم بيان علاقة الحوزة الشريفة مع المساجد.



الفصل الخامس

المسجد والحوزة العلمية



مقــدمة

كنا فيما تقدم من فصول الكتاب نتحدث عن المسجد من ناحية تشريعية وتاريخية وتطرقنا أيضاً لمناقشة فوائد الحضور في المساجد من ناحية نظرية وإمكانية أحياناً ومن ناحية واقعية أحياناً أخرى(١)، ونود في هذا الفصل أن ننتقل بالقارئ الكريم إلى الواقع المعاصر والمعاش لنرى ما للمسجد من وظائف وما علينا من واجبات تجاهه، ومن المعلوم أن القيادة الدينية النيابية هذا اليوم هي بيد الحوزة العلمّية الشريفة. وبعد أن عرفنا منزلة المسجد في الإسلام وأهميته، لذا أصبح من الضروري أن يكون المسجد هو الأداة التي تصول بها الحوزة الشريفة لتنفيذ وظائفها، إذن فيجب علينا قبل كل شيء أن نتعرف على وظائفها في زمان الغيبة الكبرى، لنعرف مدخلية المسجد في أداء وتنفيذ تلك الوظائف.

أهمية الحوزة العلمّية

مازالت الحوزة العلمّية منذ تأسيسها ولحد هذه اللحظة هي القّيمة الحقيقية على الدين والمذهب والحامية له، حيث بذلت من الجهود العظيمة

(١) وخاصة عند ذكر بعض فوائد المسجد المستوحاة من استطلاع الرأي المتقدم.

التي لا تضاهى، وقدمت من عصارات أفكار أبنائها وجهودهم وشبابهم وأوقاتهم... ودمائهم ودموعهم وعرقهم ما حفظ للمذهب وجهه وللدين عزّه، فهي من ناحية تعهدت القرآن الكريم بالتفسير والحديث بالحفظ والتدوين والتحقيق وتراث أهل البيتعليهم السلام وسيرتهم بالتصنيف، فكانت الناطق الحقيقي باسم المذهب الشيعي الإمامي والممثل الوحيد له في وجه ما يعتريه من شبهات وهجمات فكرية شرسة من مناوئيه.

علاقة الحوزة العلمية بالمجتمع

محل الحوزة العلمية من المجتمع محل القطب من الرحى، فهو ينظر إلى الحوزة وإلى علمائها فما قالت الحوزة قاله المجتمع وما نهتهم عنه انتهوا، فكان للحوزة الدور الأساسي في تربية المجتمع وتثقيفه من خلال إصدار المجلات والكتيبات والكتب والتفاسير والسير.

ودأب أبناء المجتمع في الرجوع إلى الحوزة بكل صغيرة وكبيرة ابتداء من مسألة ثبوت الهلال وانتهاء بالأمور المصيرية كاحتلال الإنكليز لبلدانهم، وما هذا إلا لثقة الناس بالحوزة العلمية التي كانت سبباً من الله سبحانه وتعالى لحفظ الإيمان والإسلام في قلوب وعقول الناس.

وهكذا كانت علاقة الحوزة بالمجتمع علاقة تبادلية، فأحدهما يتقوم

بالآخر، وأحدهما، ينتفع من الآخر، ولهذه العلاقة التبادلية جانبان:

الجانب الأول: ما تقدمه الحوزة للمجتمع (وظائف الحوزة):

ويمكن حصر أهم الوظائف بالنقاط التالية:

أولاً: إعداد المجتهدين والمجتهدين القادة، لأجل إدارة أمور الناس من الناحية الاجتماعية والدينية والاقتصادية، وتوجيه الناس وإرشادهم في كل الأصعدة، وربما كانت هذه الوظيفة هي الأهم من بين الوظائف جميعاً، لأنها وإن كانت نتيجة من نتائج وجود الحوزة إلا أن الحوزة بدون المجتهد تضيع وتتفكك وتتمزق، فهو المقوّم لوجودها وعلة استمرارها.

ثانياً: إعداد المحققين والفضلاء والكتّاب لأجل إنضاج وتطوير حركة التأليف، ونشر الوعي في صفوف المجتمع عبر استلهام العبر والمواعظ من القرآن والسنة الشريفة بما يناسب العصر وطرحها للناس، أو لا أقله تبويب آثار أهل البيت عليهم السلام وفهرستها وطرحها للناس.

ثالثاً: إعداد المبلغين والخطباء لتذكير الناس بالله سبحانه وتعالى وتقوية علاقتهم به وتوجيههم نحو الطريق الصحيح عن طريق رصد كل ألوان الانحراف والفساد وتشخيصها والتحذير منها، أو تقديم الحلول الناجحة لها، بالاضافة إلى قيام الخطباء والمبلغين بإحياء ذكرى سيد الشهداء الحسين عليه السلام والمناسبات الدينية الأخرى.

رابعاً: رد الشبهات والمؤامرات التي تحاك ضد المذهب بمختلف أساليب الرد سواء كان على شكل كاسيتات صوتية أو نشرات أسبوعية أو شهرية، فالحوزة من هذه الناحية كانت ولا زالت المدافع المغوار الذي لا يكل ولا يمل ضد كل ألوان الدسائس التي يتعرض لها الدين.

الجانب الثاني: ما يقدمه المجتمع للحوزة: ويمكن بيان ذلك بنقطتين:

أولاً: تستند الحوزة استناداً كاملاً على قواعد اجتماعية، وبانعزال المجتمع عنها تفقد فاعليتها، لأن المجتمع هو ميدان التطبيق فبدون المجتمع يصبح العلم بلا عمل ولا خير فيه، فواجب المجتمع تجاه الحوزة هو أن يربط نفسه بها ويتعاون معها في إبقاء قنوات الاتصال مفتوحة دائماً لتلقي ما يصدر عنها مباشرة، بل يكون المجتمع جزء من الحوزة، حيث أن مفهوم الحوزة الحقيقي لا يشمل المعممين فقط بل يشمل كل الشيعة حتى غير طلبة العلوم الدينية لأنهم جزء من الجهاز المرجعي، وجزء من الحوزة الناطقة.

ثانياً: المجتمع هو المعين الثرْ الذي يرفد الحوزة العلميّة بطلبة العلم، ولو افترضنا نضوب هذا المعين وانقطاعه لكانت النتيجة حتماً انهيار الكيان الحوزوي.

ومن هذا الجانب نخرج بنتيجة وهي أن أعداء الدين التفتوا إلى هذه العلاقة بين الحوزة والمجتمع وحاولوا تقطيع أواصر الارتباط بينهما، وقد

ذكرنا في كلام سابق كيف أن الضربة وجهت إلى المسجد باعتباره الوسيلة الأوضح للاتصال بل أن الوسائل كلها مندرجة ضمنه.

ومن المحاولات التي حاولها الأعداء من أجل عزل الحوزة عن المجتمع هي تفريغ الحوزة عن محتواها القيادي الشامل وتصويرها بأنها ذات وجه واحد وهو الدين ولا تشمل أو تغطي جوانب الحياة الأخرى، واتهموا من يرتبط بها بالرجعية أو غير ذلك، وطبّلوا وزمّروا لشعارات رفعوها، مفادها فك العلائق والروابط الكثيرة بين الدين وجوانب الحياة الأخرى تمهيداً لتشويه صورة عالم الدين وتأطيرها بإطار ينفر منه الواعون والمثقفون والملتزمون ويدنو منه التافهون وأصحاب عقول ربّات الحجال.

وهنا برز دور المعمم أو إمام الجماعة أو الوكيل لمساعدة المجتمع على الارتباط بالحوزة وذلك عن طريق تفعيل دور المسجد وتهيئة المقدمات التي توصل إلى الفوائد الدينية والاجتماعية التي تقدّم ذكرها والتي هي مندرجة ضمن وظائف الحوزة العلميّة المذكورة في الجانب الأول في الصفحة قبل السابقة، وقبل التعرف على دور المعمم أو إمام الجماعة أو الوكيل في المجتمع وكيفية تسخيره للمسجد ليحقق من خلاله تلك الفوائد ويبرء من خلالها ذمته بأداء تلك الوظائف، نتعرف على النظام الداخلي للحوزة وعلاقة المسجد به.

نظام الحوزة العلمّية(١) وعلاقتها بالمسجد

الحوزة العلمّية مؤسسة تتسم بالشمول والسعة لطلبتها ومجتهديها ومقلديهم، بل أن واجباتهم تتعدى ذلك لتشمل المعرضين عنها، كما أنها لا تتحدد بإطار واحد فحسب، بل لها عدة أطر تختار وتعّين الإطار المناسب للحدث المناسب في الوقت المناسب حسب ظروف المرحلة، وحسب تكليفها الشرعي تجاه الأحداث، وفي بعض الأحيان تتأطر بجميع الأطر لو سنحت لها الفرصة وكانت لديها القابلية، فتراها من ناحية مؤسسة اجتماعية تتعامل مع الأفراد وبصيغ أخلاقية الغاية منها خلق شخصية إنسانية مؤمنة، ومن ناحية أخرى تجدها تخط للإنسان طريقاً يوصله إلى ربَّه في عباداته ومعاملاته فهي بمثابة الضوء الكاشف عن حلال الله وحرامه، ومن ناحية ثالثة تراها نظاماً اقتصادياً ومالياً متيناً، تجري فيها عمليات القبض والبسط بكل مستوياتها، وحسب ما يقتضيه الموقف من إنفاق في حين أو قبض واستلام في حين آخر، ومن ناحية رابعة فهي مؤسسة ثقافية وجهازا إعلاميّ بإصداراتها ونشراتها وما يصدح به خطباؤها المنتمون إليها والواعون.

والحوزة العلمّية من الناحية الهيكلية والتنظيمية والإدارية فهي تتألف من مدارس عديدة لسكنى الطلبة، يختص كل طالب غالباً بغرفة يستخدمها لمعيشته ومبيته ومذاكرة دروسه وتحضيرها لوحده أو مع زملائه، ويوجد في

(١) الكلام هنا حوّل النظام الجاري أو من المفروض أن يجري لكنه تعطل لظروف وملابسات قهرية واختيارية والمقصود من الكلام أيضاً حوزة النجف الأشرف دون غيرها.

كل مدرسة مسجد ومكتبة عامة، كما تشتمل الحوزة العلميّة بالإضافة إلى المدارس على جوامع عديدة لاحتواء حلقات الدرس نهاراً، حيث يتصدى فيها كل من يجد في نفسه الكفاءة بتدريس مادة معينة ويجلس في زاوية من المسجد ويعلن عن درسه لطالبين أو أكثر فُيستقطب الطلبة الآخرين فمن رأى منهم أن الدرس ينفعه استمر في الحلقة ومن رأى عدم الفائدة لعدم مناسبة الأسلوب أو غيرها قصد حلقة أخرى، وهكذا فأن الأمر مناط بالأستاذ والطالب، كما تشتمل الحوزة على برانيات (مكاتب) المجتهدين وفيها يتم الإشراف على المدارس والجوامع من الناحية الإدارية والتنظيمية والمالية وما يتعلق بها من إجراء الترميمات التي تحتاجها المدارس والجوامع، وكذلك من ناحية تعيين المتولين الشرعيين لهذه المدارس، ومن وظائف البرانيات أيضاً توزيع الرواتب في نهاية كل شهر بالإضافة إلى المساعدات الثابتة وغير الثابتة والتابعة لحاجة الطالب نفسه، ويقوم بالإشراف على التوزيع عدد من ثقاة المرجع الديني (المجتهد) القّيم على البراني (المكتب) وبالتالي الحوزة كما تتبنى البرانيات مسألة توزيع بعض المطبوعات على روادها أو بيعها عليهم بسعر كلفتها.

أما المرجع الديني فهو يقسّم وقته بين دروسه التي يلقيها على طلبة البحث الخارج وهي المرحلة الثالثة(١) والأخيرة قبل نيل درجة الاجتهاد وبين الجلوس في البراني في وقت محدد لاستقبال الزائرين وسماع مسائلهم

---

(١) والمرحلة الأولى تسمى المقدمات والثانية تسمى السطوح.

الإبتلائية والإجابة عليها، وقسم من مراجع الدين يقيمون صلاة الجماعة في مرقد أمير المؤمنين عليه السلام أو أحد الجوامع الحافة بمرقده عليه السلام(١).

ومن هذا الوصف الإجمالي يبدو أن القارئ قد أحاط علماً بنظام الحوزة من جهة وعلاقة المسجد مع هذا النظام من جهة أخرى حيث أنه مكان صلاة الطلبة في مدارسهم ومكان أخذهم الدروس في اليوم التالي ونافذة المرجع على مقلديه وطلبته سواء في البحث الخارج أو في صلاة الجماعة.

وتوجد في هذا النظام عدة مميزات إيجابية نذكرها، كما توجد أمور سلبية تعرقل مسيرة الحوزة العلمية بعضها مفروض على الحوزة وبعضها باختيارها لكنه آخذ في طريقه إلى الزوال إن شاء الله تعالى بفضل الغيارى من أبنائها ومخلصيها.

مواكبة الزمن

وكمقدمة تسبق عرض(٢) الإيجابيات والسلبيات نذكر أن العامل الأساسي الذي يعتمد عليه الأداء الأمثل للوظيفة الملقاة على عاتق الحوزة

(١) على أن ذلك قد أنحسر عمليا في أيامنا هذه لظروف انتقالية مؤقتة أن شاء الله.
(٢) وما هذا العرض إلا تمهيدا لتقبل بعض البدائل في نظام الحوزة العلمية الشريفة والتي نذكرها في الفصل الخامس.

العلمية هو (مواكبة الزمن)، فلو نظرنا إلى الوظائف الأربع المذكورة في فقرة سابقة من هذا الفصل نجد أن المقوم الأساسي لها هو كيفية أدائها وإكمالها، وبأي أسلوب يكون ذلك الأداء؟، فمثلاً نجد أن أسلوب الرد على ما يسمى بـ(الدهريين) في سالف الأزمان يختلف عن أسلوب الرد على ما يسمى (بالماديين والديالكتيكيين)، هذا من ناحية جوهر الرد، كما يختلف أيضاً في طريقة إيصال ذلك الرد ووسيلة نشره، ففي بعض الأزمان يكفي إطلاق كلمة فتتناقلها الألسن فيتحقق المقصود من الكلمة حالا، وفي أزمان أخرى لا ينفع مجرد إطلاقها، لأن المقصود بها تعلم درس من سابقتها فجعل يقطع قنوات الاتصال وسلسلة انتقال تلك الكلمة، فيصبح مجرد الإطلاق لا يعدو أن تدور الكلمة في حدود ضيقة ثم تموت، ويكون هذا القطع منه بتشويه سمعة المرجع مرة أو تعطيل دور وسائل الاتصال مع المجتمع كما مر عليك في فصل سابق من تفريغ الجوامع من محتواها وما شابه(١) مرة أخرى، ومن هذا كله نريد الوصول إلى ضرورة مواكبة الزمن وعدم الإبقاء على الموروث من الأساليب، لأن هذا فيه تقصير في أداء الوظائف، إن لم يكن فيه إنهاء للحوزة وتعطيل لدورها، ومن ثم فلا تعدو أن تكون الحوزة مجرد مؤسسة (استهلاكية) وليست (إنتاجية) وهادية وبانية.

فالسلبيات التي أوعدناكم بعرضها تكمن بعدم مواكبة الزمن أحياناً ولا ننكر هنا أن في ذلك إيجابيات أحياناً أخرى لأن فيه تروي وتفكّر في

(١) أنظر فقرة (المسجد راية) الفصل الثالث.

جدوى هذا الأسلوب أو النظام وعدم جدواه، وما إلى ذلك من المحافظة على كيان الحوزة الذي سلّمه لنا السلف وضمان عدم تسلّل عناصر غير أمينة أو غير واعية إلى الجهاز الإداري مما يربك المرجعية ويوقعها في مشاكل مع جهات عدة، حيث أن تطوير أسلوب الاتصال أو إبدال النافذة المطلة على المجتمع يتطلب توسيع دائرة المنتسبين والتوسيع بحدّ ذاته يفرز النتائج المذكورة قبل قليل والتي اعتبرناها من إيجابيات عدم مواكبة الزمن، فيكون غير المواكبين من هذه الناحية بريء الذمة أمام الله سبحانه وتعالى جزاهم الله خيراً، لكن نلفت النظر أيضاً إلى السلبيات المرافقة لتلك الإيجابيات ونرجح بينهما حسب قواعد الترجيح المعروفة. لنصل إلى النتيجة.

والسلبيات هي:

أولاً: صعوبة الانتماء إلى الحوزة العلميّة من قبل أبناء المجتمع.

ثانياً: الغموض الذي يكتنف سير الدراسة في الحوزة العلميّة بالنسبة إلى منتسبيها فضلاً عمن هو خارجها.

ثالثاً: عدم معرفة بداية العام الدراسي للحوزة ليتم التسجيل فيه مع بدايته.

رابعاً: عدم الإعلان عن موعد التقديم أو أي أمر آخر يهم المجتمع في أحد البرانيات فضلاً عن التفكير في وسيلة لإيصال هذا الإعلان إلى

المجتمع عن طريق المساجد المنتشرة.

خامساً: صعوبة الدخول إلى البرانيات لأنها ليست مفتوحة دائماً أو يكون مكانها مجهولاً لكثير من المؤمنين.

ولا ينبغي الاستطراد بذكر باقي السلبيات لأن بعضها لا علاقة له بالمساجد وبعضها خارج اختيار أبناء الحوزة فهو ليس سلبية بالمعنى الحقيقي للسلب.

أما ما ذكرنا من سلبيات فسبيل حله هو تفعيل دور المعمم في المجتمع وتفعيل دور المسجد(١) كأداة بيد المعمم أو الوكيل أو إمام الجماعة وجعله وسيلة هداية ونفع للمجتمع وبذلك ستكون الحوزة العلمية داخلة في كل بيت من بيوت المجتمع وصوتها يصل إلى كل حي وقرية وبهذا سترتفع السلبيات المذكورة، أما الإيجابيات التي ذكرناها والتي هي حجة من لم يواكب الزمن بسرعة فمن الممكن ان يأخذها المواكبون بنظر الاعتبار ويحاولوا تجاوزها ويضمنوا عدم تسلل تلك العناصر غير الأمينة وغير الواعية إلى الجهاز المرجعي، وبهذا تكون مواكبة الزمن هي الراجحة بحسب قواعد الترجيح المعروفة حفظاً للنظام ومراعاة للمصلحة العامة، ولكن هذا معتمد على تحقق شروط في إمام الجماعة وفي أساليب عمله نذكرها في الفقرة الآتية:

---

(١) ومما يذكر كشاهد على هذا، فتح مكاتب تمثل المرجعية الدينية في النجف الأشرف في المساجد والحسينيات في عموم العراق، وأثر تلك الخطوة في تفعيل دور الوكيل والمسجد معاً.

دور إمام الجماعة أو المعمم في المجتمع

بعد أن عرفنا أن نافذة الحوزة العلميّة على المجتمع هي المسجد، وجب أن نعرف أن دور المسجد في المجتمع معتمد على إمام الجماعة فيه، فحتى لا يكون المسجد معدوم الدور في المجتمع أو مهجوراً لأن إمامه مثلاً يقتصر على اداء صلاة الجماعة فيه فحسب لذا يجب أن يتحلى إمام الجماعة بمجموعة من الصفات التي تهيئه لأداء المهام والمسؤوليات التي هي بالتالي فوائد المسجد التي تقدم ذكرها فيكون الكلام هنا في جهتين:

الجهة الأولى: مواصفات إمام الجماعة:

يجب على إمام الجماعة أن ينسجم مع ما هو معاش من ظروف وحالات، لا على حساب دينه طبعاً لكن عليه أن يتصرف وفق ما تقتضيه المصلحة العامة، وليس صحيحاً أن يقف مكتوف الأيدي متحججاً بالظروف الصعبة، بل عليه أن يحاول بالاستعانة بالله سبحانه خلق ظرف مناسب للعمل من خلال العلاقات الاجتماعية مع أهل المنطقة أو وجهائها أو جهات أخرى لكي لا يكون مرفوضاً أساساً، ثم بعد ذلك يفيد الناس بأمور أخرى لا تتعارض في البداية مع مصالح تلك الجهات، وبعد ذلك يمكن له إقناع تلك الجهات أو الوجهاء بوجهة نظره المتعارضة معهم وكسبهم لناحيته فيعم

الخير والنفع للمجتمع كله وقد قيل: (لا تكن ليناً فتعصر ولا يابساً فتكسر) ثم أن إمام الجماعة يجب أن يتحلى بأمور أخرى لكي يكون ناجحاً في مهمته وهي:

أولاً: يجب أن يكون ذا وعي اجتماعي بحيث تكون له نظرة ثاقبة تنفذ إلى طبقات المجتمع، لتحلل الشخصيات والسلوكيات والأفعال، ويبني على تلك التحليلات بالاستعانة بالأفراد الجيدين والأخذ بيد الآخرين.

ثانياً: أن يكون ذا وعي تأريخي لحركة المجتمعات والأمم ومطلعاً على تأريخ أهل البيت عليهم السلام وبهذا يكون مستوعباً للماضي ومعبراً عنه بصيغة عصرية منسجمة مع مستوى أفراد مجتمعه.

ثالثاً: أن يكون طيب النفس، عظيم الخلق، دائم الورع، صاحب المبادرة في كل خير وبر، وإلا لا يستطيع أن ينفع الناس لأن (فاقد الشيء لا يعطيه)، إذن: (فلا بد من تهذيب النفس والسعي إلى تكميلها بالفضائل وتطهيرها من الرذائل وتوطيد الصلة بالله تعالى ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة ويكون ذلك من قبل المتصدّي لأية مسؤولية اجتماعية لأن المنصب والجاه والامتيازات الأخرى التي يتمتع بها علماء الدين من أقوى فخوخ الشيطان وأصعب شراكه وأن النفس الأمارة بالسوء تكون كامنة وخامدة باتجاه ما فإذا حصل ما يثيرها هاجت وأودت بصاحبها... ولنا في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة وهو أكمل الخلق فقد جاهد نفسه وتعبد لله سبحانه ردحاً

طويلاً برعاية الله سبحانه حتى بعث بالنبوة، ففي حديث عن الصادق عليه السلام: (أن الله عزّ وجلّ أدب نبَيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١) ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده فقال عزّ وجلّ ﴿آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(٢)..(٣).

رابعاً: أن يكون متوجهاً توجهاً علمياً صحيحاً، أي عليه أن يكون من ناحية الدروس الحوزوية قد أكمل دورة فقهية كاملة حتى (يستطيع التمييز بين فروع المسائل وتطبيق بعضها على بعض)، أما من ناحية العلوم والمعارف الإسلامية غير الحوزوية فيجب عليه أن يكون مثقفاً ثقافة عالية مطلعاً على أخص ما يمكن الاطلاع عليه ليكون مستوعباً لكل فئات المجتمع وطبقاته الثقافية.

خامساً: أن يكون مرتبطاً بالحوزة ارتباطاً صحيحاً لا أن يدور في فلك ذاته أو فلك مَن لا يمثل الحوزة العلميّة الشريفة.

ولو لا هذه المميزات لن يتسنى له أداء دوره المطلوب منه وبذلك يضيع دور المسجد ويصبح خراباً لأن مرتاديه لن يحسوا بالفائدة المتوخاة منه كما هو مألوف في غيره من الجوامع والمساجد.

---

(١) سورة القلم: ٤

(٢) سورة الحشرة: ٧

(٣) الشيخ محمد اليعقوبي: وصايا ونصائح إلى الخطباء وطلبة الحوزة العلمية الشريفة ص١١، ١٤٢٠ النجف الأشرف.

الجهة الثانية: مسؤوليات إمام الجماعة في المسجد:

إن مسؤوليات إمام الجماعة لا تقف على جانب واحد فحسب، بل أدواره شاملة ومسؤولياته غير منحصرة بنمط محدد لأنه يمثل الإسلام والإسلام دين الحياة.

ويمكن تقصي مسؤوليات إمام الجماعة وفق عدة جوانب:

أولا: الجانب الديني: وفيه:

١ ـ إقامة صلاة الجماعة.

٢ ـ الإجابة على اﷺلأسئلة والاستفسارات الفقهية وحل الشبهات العقائدية التي تواجه المذهب على الدوام.

٣ ـ إحياء الشعائر الدينية والحث على إقامتها وخصوصاً مناسبات عاشوراء والعزاء الحسيني وتقديم المساعدة المادية والمعنوية لها.

٤ـ ربط المجتمع بخالقه عن طريق تكثير الدروس والمحاضرات في بيان علاقة العبد بربه، وعليه أن يعتمد على فطنته وحسه ووعيه في إقامة تلك الدروس وحسب الظروف.

٥ ـ ربط المجتمع بالحوزة العلميّة وتركيز مفهوم التقليد في فروع الدين عند المجتمع.

ثانياً: الجانب الاجتماعي: وفيه:

١ـ مد الصلات والروابط الاجتماعية خارج المسجد وذلك عن طريق مشاركة الناس أفراحهم وأحزانهم وكل مناسبة لهم ويكون السّباق إلى ذلك.

٢ ـ حل المشاكل الاجتماعية وعلى المستويين الفردي والجماعي، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن طريق حث الوجهاء والمتدينين لحل المشاكل بين الناس.

٣ـ التعامل مع أفراد المجتمع وفقاً لمستوياتهم واستحقاقاتهم فلا يبخس حقاً لأحد.

٤ـ معالجة الظواهر السلبية التي تسود المجتمع بالطرق الناجحة والمؤثرة، وكل ذلك يعتمد على مدى إدراكه ووعيه وحسه الاجتماعي، وتطبيقه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥ ـ تعزيز الروابط الأخوية بين أفراد مجتمعه، ويكون ذلك مثلاً عن طريق اشتراكهم في بعض الأعمال أو النشاطات وكل حسب استعداده وطاقته.

٦ السعي في التوفيق بين المؤمنين والمؤمنات من غير المتزوجين لأجل الزواج.

ثالثاً: الجانب الاقتصادي: وفيه:

١ـ إدارة شؤون الأموال والحقوق الشرعية بعد أخذ الإذن من الحوزة العلمّية الشريفة.

٢ـ رعاية الطبقات الفقيرة والمعوزة بما يسمح له من التصرف في قسم من الحقوق الشرعية أو عن طريق إنشاء صندوق خيري لجمع التبرعات، والصندوق إما أن يكون ثابتاً في أحد جدران المسجد أو متحركاً بين صفوف المصلين بعد الصلاة.

٣ـ البحث عن فرص عمل عند بعض أرباب المهن والأعمال ممن يرتادون المساجد، لانتشال مجموعة من الشباب العاطل والمحتاج.

٤ـ السعي في أجراء عقود القرض والدين لإنجاز أعمال بعض المحتاجين مستغلاً وجاهته وتأثيره في المجتمع.

٥ـ التنسيق مع الأطباء والصيادلة المؤمنين وتوفير سبل العلاج السهلة للمرضى المعوزين.

رابعاً: الجانب الثقافي: وفيه:

١ـ إنشاء مكتبة خاصة بالمسجد، وفتح باب التبرعات بالكتب لإغناء هذه المكتبة منتقياً عناوين الكتب التي تبني الإنسان وتكون شخصيته الدينية

والإيمانية متجنباً كل عنوان يثير حفيظة ومشاعر أي جهة أخرى.

٢ـ استثمار بعض المناسبات الإسلامية وغيرها مما يراها مناسبة لإقامة المسابقات في شتى فروع المعارف والعلوم، وإلقاء الخطب والمواعظ.

٣ ـ إجراء دورات فقهية في أحكام الرسالة العملية للمصلين.

٤ـ القيام بفتح دورات تحفيظ القرآن وتلاوته والتركيز على الأطفال والأحداث والشباب. هذا وعلى إمام الجماعة أن يركز علاقته مع الشباب لأنهم الأرض الصالحة لزرع الأفكار الجديدة البناءة.

وآخر ما يمكن أن يقال تحت عنوان مسؤوليات إمام الجماعة أو المعمم، هو أن هذه المسؤوليات تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمان إلى آخر، فلا يمكن حصرها أو استقصاؤها جميعاً في نقاط، لأن بعض مفردات المسؤوليات تمليها ظروف المنطقة أو المرحلة الزمانية، لذا فهي خاضعة لشخصية الوكيل ومقوماته الفكرية والإيمانية والثقافية.

لذا فأهمية الحوزة العلميّة وأداء وظائفها يعتمد كلياً على أداء دور إمام الجماعة لدوره في المسجد وتفعيل دور المسجد، فأصبح المسجد كما قلنا وسيلة لا غنى عنها من وسائل المرجعية الرسالية الصالحة، فكلما تعددت المساجد كان دور الحوزة أوسع وكلما تعدد المجتهدون والوكلاء كان المذهب أكثر عزّاً، لكن مما يلاحظ أن بعض المساجد غير مرتبطة

بإمام جماعة وبالتالي فهي غير مرتبطة بالحوزة، لذا وجب على المجتمع من جهة والمعمم من جهة أخرى السعي إلى إشغال جميع تلك المساجد الفارغة(١).

فائدة المسجد في تسليم مهام المرجعية

وكخاتمة علاقة المسجد بالحوزة العلمية، نذكر هنا فائدة وذلك فيما لو اتخذت المرجعية الشيعية لنفسها مكتباً خاصاً منسوباً للمرجعية لا لشخص المرجع فلو انتهت مرجعيته بوفاته فسوف يخلفه المرجع الجديد بدون الاحتياج إلى زمن انتقالي كبير وما يرافقه من فراغ قيادي مؤقت، إذ القاعدة جاهزة والمكتب الذي يمثل المرجعية جاهز، فيحصل تسلم لمهام المرجعية بنفس مكان المرجعية السابقة وذلك مما يضمن عدم ارتباك الناس في كل فترة تلي موت مجتهد وتسلم مجتهد آخر فيحتار الناس أيّ البرانيات يقصدون مجتهد يقلدون، أما لو كان مكان المرجعية ثابتاً فهذا يعني أن المرجع الذي يتبوؤه هو المؤهل علميا واجتماعيا وروحيا لقيادة الناس، إذ أن المرجع السابق سيعهد لعملية التسليم تلك أو أن كل الأمر سيوكل إلى طلبة البحث الخارج المخلصين ليحددوا من بينهم أو من أساتذتهم من هو أهل لتسلم مهام المرجعية وفي نفس مكان المرجعية

---

(١) المقصود بالمساجد الفارغة هي تلك المساجد الغير مؤدية لدورها الحقيقي المنتسب عن ارتباطها بإمام جماعة وكيل عن الحوزة العلمية وبالتالي فهي غير مؤدية لوظائف الحوزة فهي أذن فارغة أي غير عامرة.

السابقة، فإذا كان ذلك المكان السابق هو المسجد فسوف يتحقق الهدف المطلوب وهو سرعة تسلم مهام المرجعية بالإضافة إلى فوائد أخرى سوف تحققها المرجعية ما كانت لتحققها بصورة تامة وجلية وسريعة فيما لو كان المكان العام المقصود غير المسجد، وأسباب ترجيح المسجد كمكان للمرجعية بعد الاتفاق على أن المكان العام لها خير من المكان الخاص هي الوجوه المحتملة في إعطاء معاني حديث الرسول ﷺ: (المساجد مجالس الأنبياء) في الفقرة القادمة.

المساجد مجالس الأنبياء

لا يخفى عليكم بعد أن اطلعتم على ما تقدم من البحث عمق ومدى اهتمام القيادة الدينية وخاصة الرسول ﷺ بتأسيس المساجد وجعلها موضع اهتمام الناس وجعلها مقرا للقيادة، حتى أن الأنبياء السابقين (صلوات الله عليهم) كانوا قد اتخذوا المساجد مجالس لهم، ويدل على ذلك قول الرسول ﷺ: (المساجد مجالس الأنبياء)، فلو ذكرنا على سبيل الاحتمال والأطروحة عدداً من الفوائد الناتجة من كون المساجد مجالسا للأنبياء دون غيرها، فيمكن أن نتصور أيضاً فائدة اتخاذ المرجعية المسجد مكتبا لها، لأن (العلماء ورثة الأنبياء)(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه ج٢، ص٢٨٥ وابن ماجه تحت رقم ٢٢٣،وروضة الواعظين، ص١٢

الأطروحات المحتملة

الأولى: الأنبياء(صلوات الله عليهم) باعتبارهم يمثلون جهة السماء، ويمثلون الله سبحانه وتعالى فمن الطبيعي أن يكون مقر جلوسهم هو بيت الله سبحانه، لأن الذي بين أيديهم هو أمر الله، فيجب أن يطرحونه في بيت الله لا في بيوتهم(١)، وقد سار العقلاء والعرف العام على هذا المعنى، فالموكل عن شخص معين مثلاً أو النائب عنه يدير أمور ذلك الشخص في مكتب الشخص نفسه لا في مكان يخص الوكيل أو النائب.

الثانية: جلوس الأنبياء (صلوات الله عليهم) وكل من يمثل الله سبحانه وتعالى في المسجد يعطي لجلوسهم صفة العمومية والشمولية لكل أمر، لأن كل أمر من شأنه أن يرتبط بالله سبحانه، فلا يحصل للسائل المرتاد إلى المسجد شبهة عدم شموله بالجواب، أو عدم الاعتناء بأمره، وربما تحصل (الشبهة) فيما لو كان مكان جلوس ذلك الممثل عن الله سبحانه في مكان آخر خاص وليس المسجد.

الثالثة: إن سلوك الشخص المرتاد إلى المسجد تتحكم به آداب ومستحبات دخول المسجد، فطالما هو موجود في ذلك المكان فهو مرتبط

(١) فلو قسنا ذلك على المرجعية فيكون الكلام على فرض أن البراني هو بيت لشخص المرجع والدليل أن الغالب هو أنه يذهب أرثا إلى عائلة المرجع بعد موته، إلا القليل من أبناء المراجع من الذين أمتحن الله قلوبهم للإيمان، والذين استمروا يفكرون بالمصلحة العامة بعد موت آبائهم (قدس أسرارهم جميعا).

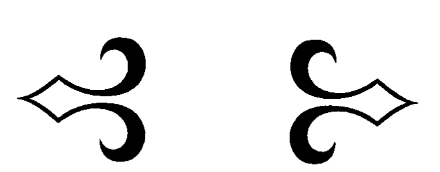
بالله سبحانه وتعالى كأكثر ما يكون ارتباطه في أمكنة أخرى خاصة، وهذا سيؤثر بصورة إيجابية على ما سيطرح من أسئلة منه على الجهة الممثلة للسماء.

الرابعة: من المفروض أن المتواجد في المسجد يكون مستحضراً لشيء طوال فترة تواجده في المسجد وهذا الشيء هو الهدف من بناء المسجد ألا وهو أن يعم الخير والنفع كل الناس، لذا فإن هذا سيؤثر على ما يدور في ذلك المكان وبهذا تقل فرصة حياكة المؤامرات والدسائس ضد جهات معينة تحت ذريعة معينة كعنوان المصلحة العامة وما شابه.

الخامسة: إن وجود الجامع وسط المدينة أو القرية كما هو المفروض، سيؤدي إلى تساوي فرصة الجميع للوصول إلى المسجد والاستفادة ممن سيتواجد في المسجد، وهذه الأطروحة ترجح كفة المسجد على المكان من الناحية الجغرافية المتوفرة ذاتياً في الجامع بينما هي ممكن توفرها عرضاً في المكان الخاص غير المسجد.

ومن خلال هذه الأطروحات الخمس نفهم ولو احتمالاً سر اتخاذ الأنبياء(صلوات الله عليهم) المساجد مجالساً لهم، ونفهم بالملازمة فائدة اتخاذ المرجعية المسجد مكتباً لها فضلاً عما ذكرنا من سهولة تسلم مهام المرجعية ووضوح المرجع الذي يخلف المرجع المتوفى بدلالة المكان عليه، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الخطوة تعكس مدى التكاتف والألفة بين

أفراد الحوزة وأبناء المذهب الواحد، كما أنها أيضاً أحد أساليب مواكبة الزمن لأنها ستكون سبباً في تخطي كل السلبيات التي أشرنا إليها في فقرة (مواكبة الزمن)، مما يحفظ للدين والمذهب غضاضته وطراوته وتجدده مع الزمن ويجعله صالحاً لقيادة الحياة، وربما يمكن أن نفهم الأحاديث التي تصف زمان خروج الإمام عليه السلام وأنه سوف يأتي بدين جديد، هو أن التجديد سيكون في الأسلوب لا في جوهر الدين، لكنه سيخالف ارتكازات الناس وحبهم للموروث والأثري والمتحجر لذا سوف يكون جديداً عليهم.





الفصل السادس

أحكام المساجد وآدابها



مقدمة

بعد أن عرفنا في الفصول السابقة أهمية المسجد في الإسلام لكونه أحد المؤسسات الاجتماعية الفعالة فيه وعرفنا فوائده الاجتماعية والدينية، وعرفنا تكاليفنا تجاهه وكيفية توظيفه كأداة مواكبة للزمن، بقي أن نعرف في هذا الفصل اللمسات الأخيرة لهذه الأداة الفعالة في تطوير الحياة الإسلامية بكل صورها، وهذه اللمسات هي الأفعال والتصرفات داخل المسجد من واجبات ومستحبات ومكروهات ومحرمات، لتكتمل الصورة الناصعة لدى القارئ في معرفة كل شيء عن المساجد في الإسلام، ويحق له عندئذ أن يفتخر بهذا التشريع العظيم المتكامل الذي فيه نفعه وخيره وتكامله إن شاء الله تعالى، ثم نختم الفصل و الكتاب إن شاء الله تعالى بحوارية فقهيه حول الاسئلة الابتلائية وبعض الأفكار الأخرى والتي أتحفنا بها سماحة حجة الإسلام الشيخ محمد اليعقوبي(أدامه الله) لتكون مكملة للبحث ومظهره له بالصورة التي يعم النفع بها إن شاء الله، على أن سماحة الشيخ قد واكب الفكرة(١) منذ ولادتها، وما زال يغدق عليها بتوجيهاته وملاحظاته، ويكلف هذا وذاك من طلبته بالكتابة والبحث إلى أن ظهرت بالصورة التي تراها.. نسأل الله سبحانه أن يمُنَ علينا بطول بقائه ويمُنَ عليه وعلينا برضاه إنه وليّ النعم.

(١) فكرة البحث والتي هي تفعيل دور المسجد وإبراز ريادته في حياة المسلمين، لنكون في حلّ من شكواه يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

الواجبات والمحرمات

ذكر الفقهاء(أعلى الله مقامهم)، جملة من أحكام المساجد في رسائلهم العملية ومن جملتها، عدم جواز نقش المساجد بالصور ذوات الأرواح كالإنسان والحيوان لأن هذا من التجسيم المحرم، والمسجد محل للعبادة والزهادة والتوجه والتضرع إلى الله، ولا يجوز كذلك إخراج الحصى والرمل والتراب ونحوه من أجزاء المسجد، لأنه ورد في خبر وهب بن وهب عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام: (إذا أخرج أحدكم الحصاة من المسجد فليردها مكانها أو في مسجد آخر، فإنها تسبح)(١)، لكن عندما يكون المسجد في حالة بناء أو ترميم فيجوز إخراج التراب والحصى والحجارة الزائدة، كما يجوز إخراج التراب المجتمع عند الكنس.

ومن المهم للقارئ أن يعرف أن جميع آلالات وأفرشة المسجد هي وقفٌ على المسجدية فلا يجوز إخراجها أو بيعها أو التصرف بها تصرفاً ناقلاً لها إلى مكان آخر أو متلفا لها، كما لا يجوز أن يدخل المسجد في ملك بانيه أو ملك أي شخص آخر مهما كان مركزه الاجتماعي أو الديني.

ومن الأحكام الأخرى التي وضعها الشارع المقدس والتي تصب في تركيز قدسية المسجد في حياة المسلمين، هي حُرمة تنجس المسجد أرضاً وفراشاً وبناءً، وليس هذا فقط بل يجب المبادرة إلى إزالة النجاسة، حتى

---

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٣، باب (٢٦) من أبواب أحكام المساجد، ح٤.

لو تعارضت تلك الإزالة مع الصلاة نفسها فيجب تقديم الإزالة على الصلاة إلا في حالة ضيق الوقت، هذا بالنسبة للنجاسات المتعدية أما النجاسات غير المتعدية فكذلك لا يجوز إدخالها إلى المسجد إذا كانت تتضمن صورة الهتك للمسجد كإدخال الكلب أو الخنزير أو قنينة خمر والعياذ بالله. فيجب في كل هذا إزالة تلك النجاسة وإخراجها من المسجد، ويجب إخبار الغير في حالة عدم التمكن من الإخراج.

ومن الأمور التي يجب تجنبها وقد حرمها الشارع حفظاً لقدسية المسجد هي دخول المجنب والحائض إلى المسجد، ويحرم هذا الدخول حتى لو كان لوضع شيء في المسجد أو أخذ شيء منه، كما لا يجوز دفن الميت في المسجد حتى لو كان مأموناً من التلويث.

المستحبات والمكروهات

ذكر الفقهاء(أعلى الله مقامهم) جملة من المستحبات والمكروهات التي ينتفع القارئ بذكرها إن شاء الله تعالى حتى يراعي تطبيقها اثناء تواجده في المساجد، فالمستحبات:

١ ـ تستحب الصلاة في المساجد وأفضلها المسجد الحرام، والصلاة فيه تعدل ألف صلاة ثم مسجد النبيﷺ والصلاة فيه تعدل عشرة آلاف

صلاة ثم مسجد الكوفة والمسجد الأقصى والصلاة فيهما تعدل ألف صلاة ثم المسجد الجامع والصلاة فيه بمئة صلاة، ثم مسجد القبيلة والصلاة فيه تعدل خمساً وعشرين صلاة، ثم مسجد السوق والصلاة فيه تعدل اثنتي عشرة صلاة.

٢ـ يستحب التردد إلى المساجد ففي الخبر (مَن مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات).

٣ ـ يستحب سبق الناس في الدخول إلى المساجد والتأخر عنهم في الخروج منها.

٤ـ يستحب التطيب ولبس الثياب الفاخرة عند التوجه إلى المسجد، كما يستحب الدخول بالرجل اليمنى والخروج باليسرى.

٥ـ يستحب الإسراج في المسجد وجعله مضيئاً بأية وسيلة من وسائل الإنارة.

٦ ـ يستحب كنس المسجد وجعل المطهرة وهو مكان الوضوء على بابه.

٧ ـ تستحب صلاة تحية المسجد بعد دخوله وهي ركعتان ويجزي عنها أي صلاة واجبة أو مستحبة أخرى.

المكروهات

وردت الكثير من الروايات التي فهم منها الفقهاء، كراهة بعض الأفعال المتعلقة بالمساجد ككراهة تعلية جدران المسجد، ورفع منارته عن السطح بدون مبرر عقلي أو شرعي، وكراهة نقش المساجد ببعض النقوش التي تعكس الترف والبذخ، كما يكره أن تكون المحاريب داخلة في المسجد، وإنما تكون ضمن جدار المسجد وخارجه كما يكره النخامة، والنوم في المسجد إلا لضرورة. ويكره أيضاً رفع الصوت في المسجد إلا في الدعاء والأذان وقراءة القرآن، ويكره قراءة الأشعار في غير المواعظ، ويكره أيضاً التكلم في أمور الدنيا والبيع والشراء وقتل القُمَّل وأكل البصل والثوم عند إرادة الدخول إلى المسجد، ويكره تمكين الأطفال والمجانين من الدخول وعمل الصنائع اليدوية وكشف العورة في المسجد مع أمان الناظر وإلا فمع رؤية الناظر لها فهي حرام ويكره أيضاً كشف السرة والفخذ والركبة وإخراج الريح. ومَن شاء المزيد فليراجع كتاب وسائل الشيعة الجزء الثالث، أبواب أحكام المساجد وغيرها من كتب الحديث.

توسيع المساجد

لو تطلب الأمر بعد فترة من بناء المسجد توسيعه، فهل يصبح المكان الجديد مسجداً أيضاً؟ وهل كل المساجد المعروفة هي قابلة للتوسيع بحيث يصبح المكان الجديد المنضم للمسجد مشمولاً بأحكام المسجدية؟

أجاب الفقهاء على هذه الأسئلة جميعاً وقالوا بكلمة واحدة تقريباً: إن كل المساجد قابلة للتوسيع ويلحق المكان الجديد أحكام المسجدية العامة والمذكورة فيما تقدم من الفصل السادس من هذا الكتاب، أما الأحكام المسجدية الخاصة ببعض المساجد كالمسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الكوفة والتي منها جواز التخيير بين القصر والتمام للمسافر وحرمة الاجتياز للمجنب والحائض في المسجدين الحرام والنبوي فلا تلحق المكان الجديد الذي حصل فيه التوسيع.

أرض المسجد

إذا أريد بناء مسجد على أرض مستحقة للخمس أو مجهولة المالك أو مستحقة لحق من الحقوق الشرعية أو مغصوبة فإنه لا يترتب على ذلك البناء آثار المسجدية، ولكن يجوز الرجوع في الأرض المستحقة للخمس أو مجهولة المالك إلى الحاكم الشرعي لاستحصال الإذن باتخاذها مسجداً وتترتب عليها آثار المسجدية وبهذا يكون ارتباط المسجد بالحوزة العلمية الشريفة منذ اللحظات الأولى للبناء ويبقى ارتباطه فيما بعد البناء فيكون بذلك قد بُنيَ على التقوى لا أن بانيه يعمل المستحبات لغرض دنيوي وهو تارك للواجبات والعياذ بالله.

الحوارية الفقهية

وكما وعدنا القارئ الكريم ستكون هذه الحوارية التي بادرنا بأجوبتها سماحة الشيخ محمد اليعقوبي (أدامه الله) بشيء من البسط والتفصيل لتعم الفائدة إن شاء الله ولتظهر وتبرز بعض فقرات البحث بشيء من الوضوح وتتركز في ذهن القارئ فيتحقق الهدف الذي أُعدَّ من أجله هذا الكتاب ألا وهو الحضور في المساجد:

(مسألة١): هل الحضور في المساجد لأداء الصلوات جماعة والمشاركة في الشعائر الدينية كالاستماع إلى المحاضرات وحلقات الدرس واجب؟

بسمه تعالى: يمكن أن يكون الجواب على أكثر من مستوى:

الأول: الأخلاقي، وهو بهذا المعنى واجب أكيداً، لأن الحضور في المساجد يعطي فرصة لتحقيق كثير من الطاعات:

١ـ ثواب المشي إلى المساجد، ففي حديث (مَن مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الأرضين السابعة)(١) وفي حديث (ما عُبدَ الله بشيء مثل الصمت والمشي إلى بيته)(٢).

(١) الوسائل، ابواب احكام المساجد باب ٤،ح١-٢،ج٣،ص٤٨٣

(٢) نفس المصدر

٢ـ فضل صلاة الجماعة خصوصاً وأنها تؤدى في وقت الفضيلة فيحرز بذلك فضل المبادرة إلى الصلاة في أول الوقت، ففي الحديث عن الباقر عليه السلام (فضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل فرداً خمس وعشرون درجة في الجنة)(١)، وغيرها من الأحاديث راجعها، وفي حديث آخر يقول (مَن تركها أي صلاة الجماعة رغبة عنها وعن جماعة المؤمنين من غير علة فلا صلاة له)، ويصل الاهتمام بها إلى رجلاً أعمى أتاه صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أنا ضرير البصر وربما اسمع النداء ولا أجد مَن يقودني إلى الجماعة والصلاة معك فقال له النبي صلى الله عليه وآله: (شدّ من منزلك إلى المسجد حبلاً وأحضر الجماعة).

٣ ـ ثواب إعمار المساجد بالصلاة فيها والتواجد فيها للذكر والدعاء ولقاء المؤمنين وتبادل الأحاديث النافعة وسماع الموعظة، ففي حديث عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (أن الله إذا أراد أن يصيب أهل الأرض بعذاب قال: لولا الذين يتحابوّن فيّ ويعمرون مساجدي ويستغفرون بالأسحار لولاهم لأنزلتُ عذابي)(٢).

٤ ـ الفوائد الدينية والاجتماعية والروحية والتي ذكرناها في محل آخر.

الثاني: الشرعي أو الفقهي، ويمكن أن يكون الحضور واجباً على أحد شكلين:

---

(١) الوسائل،ابواب صلاة الجماعة، باب ١، ٢ من ج٥ ص٣٧٠ وما بعدها

(٢) الوسائل، ج٣ أبواب أحكام المساجد،باب ٨، حديث ٥

أ ـ **الوجوب الكفائي**: باعتبار حرمة تعطيل المساجد ولا تدفع هذه الحرمة إلا بالحضور في المساجد على نحو الوجوب الكفائي على الأقل فعن الإمام الصادقعليه السلام قال: (ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ: مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهّال ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه).

ب ـ **الوجوب العيني**: وتوجد أحاديث يمكن ان يُفهم منها ذلك خصوصاً للقريبين من المسجد فعن الإمام الصادقعليه السلام عن آبائهعليهم السلام قال: (اشترط رسول اللهصلى الله عليه وآله على جيران المسجد شهود الصلاة، وقال: لينتهين أقوام لا يشهدون الصلاة أو لآمرنَّ مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم آمر رجلاً من أهل بيتي وهو عليعليه السلام فليحرقنَّ على أقوام بيوتهم بحزم الحطب، لأنهم لا يأتون الصلاة)(١)،

(مسألة٢): إذا كان الحضور في المساجد بهذه الأهمية فلماذا نجد إعراض المجتمع عنها بحيث لا يُشكل عدد الموجودين في المساجد وقت الصلاة إلا نسبة ضئيلة من أفراد المجتمع؟

بسمه تعالى: إن هذا شيء مؤسف ومؤلم ويعبر عن ضعف الوازع الديني بدرجة كبيرة بحيث لا يُظن أن الالتزام الديني قد خالط لحمهم ودمهم ورسخ في قلوبهم وإنما هو (لقلقة لسان)، وإني قد اطلعت على

(١) الوسائل أبواب صلاة الجماعة، باب ٢، ح ٦، ج٥، ص٣٧٦

الواقع المؤلم حيث أجد مسجداً يتوسط مدينة كبيرة أو حياً سكنياً مكتظاً لا يتجاوز عدد المصلين فيه مئة مصلي، فأين الآخرون؟!

وما هو البديل الآخر الذي هو أهم من أداء الصلاة الفريضة في وقتها جماعة في المسجد حتى قدّموه على هذا الحضور المثمر؟! بل الخطب الأفضع أنك تجد البديل هو الجلوس في المقاهي(١) أو مخالطة أصدقاء السوء أو التسكع في الشوارع والطرقات مما يملأ الظهر أوزارا وأثقالا.

(**مسألة ٣**): من المؤكد أن سماحة الشيخ يتفق معنا بان إظهار الأسى والألم وحده لا يكفي، إذن فما هو رأيكم ورأي الحوزة الشريفة كحل لمسألة الحضور في المسجد؟

بسمه تعالى: إن الحل يقع من طرفين:

الأول: الحوزة الشريفة وضمن عدة نقاط:

١ ـ عليهم أن يشغلوا كل مسجد فارغ لا تقام فيه صلاة الجماعة.

٢ ـ أن يقوموا بتوعية الناس وإرشادهم وتوجيههم بكلمات يقولونها بعد الصلاة يومياً أو في الجمعة مرة على الأقل.

(١) وقد تمت الإجابة على بعض الأسئلة من قبل سماحة الشيخ في الجزء الأول من سلسلة ظواهر اجتماعية منحرفة تتعلق بموضوع الجلوس في المقاهي.

٣ـ أن يكونوا بمستوى المسؤولية والدور المطلوب منهم أخلاقيا وعلميا وثقافيا واجتماعيا بحيث يسع أحدهم المجتمع كله(١). كما قال صلى الله عليه وآله لأقربائه:(يا بني عبد المطلب أنكم لا تستطيعون أن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم).

الثاني: أبناء المجتمع، إذ عليهم الالتفاف حول حوزة الدين الشريفة والالتزام بتعاليمها ونصائحها وإعطاء الأولوية في الاهتمام لنداء الدين ولا يكونوا من ابناء الدنيا إن دعتهم لبوا نداءها وإن دعاهم الدين تثاقلوا إلى الأرض، وإن كان إمام الجماعة مقصراً فعليهم أن يضغطوا عليه ويخرجوه من جموده ليكون بمستوى المسؤولية ضمن الفرصة المتاحة له ولهم، كما أن عليهم رفع أمرهم إلى المرجعية الواعية المخلصة لتضع لهم الحل المناسب عندما يواجهون مشكلة ما، وعليهم التعاون مع إمام مسجدهم الذي يمثل حلقة الوصل بينهم وبين المرجعية.

(مسألة ٤): ورد في الحديث الشريف: (لا صلاة لجار المسجد)(٢)، وفهم منها الفقهاء بأنه لا صلاة كاملة لجار المسجد ولم يُفت أحد منهم ببطلان صلاته، فهل ترون ما رأوه الفقهاء؟ ثم ألا يعتبر الحكم بصحة الصلاة تهوين للحث على حضور المساجد الذي أراده الرسول صلى الله عليه وآله؟

---

(١) وفي كتاب وصايا ونصائح لخطباء وطلبة لسماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) مل فيه الفائدة فليراجع ذلك الكتاب.

(٢) ذكر حديث منها في معرض الإجابة على السؤال الأول من هذه الحوارية.

بسمه تعالى: (لا) هنا نافية للجنس فيكون مفادها نفي الحقيقة، أي حقيقة الصلاة ويكون معناها أن صلاة جار المسجد في غير المسجد لغو، لكن لما دلت أدلة أخرى على أجزائها وبراءة الذمة بأداء الصلاة ولو في غير المسجد فتحمل (لا) هنا في الحديث على نفي الكمال ويكون تقدير الجملة (لا صلاة كاملة) وبالتأكيد فإن الصلاة في المسجد أكمل من الصلاة خارجه، وليس في ذلك تقليل من أهمية الصلاة في المسجد، لكن الشارع المقدس لعلمه بتباين مستويات الناس واستعدادهم لتطبيق الشريعة الإلهية فإنه وضع حدا أدنى (وهي المحرمات والواجبات) التي لا يسمح بالتهاون بها وهو حد يشترك به جميع الناس ويستطيع أداءه جميع الناس ولا يستطيع أن يكلف الناس كلهم بأكثر من ذلك لأنهم سيتمردون، ثم جعل فوق ذلك مكروهات حث على اجتنابها ومستحبات رغب في إتيانها ليتنافس فيها المتنافسون ويزداد منها من يطلب الكمال، والمفروض أن كلا منا يريد الاستزادة من الخير ولا يقف عند حد وليس طالب الدنيا بأشد فهما وطلبا للمزيد من الراغب في الآخرة، فكما أن ابن الدنيا لا يقف طموحه عند حد فكذا ابن الآخرة، فإذن هو لا يقف عند الحد الأدنى بل يسعى نحو المزيد والالتزام بهما عنده سواء.

(مسألة٥): قد لا يتوفر للبعض فرصة الحضور في المساجد لبعد المسافة أو سوء الأحوال الجوية أو وقت الفجر حيث يصعب الخروج إلى المسجد فما هو البديل؟

بسمه تعالى:إن ما ذكر في السؤال لا يعد مانعاً عن الحضور في المساجد بل على العكس هو فرصة لزيادة الأجر والثواب باعتبار أن أفضل الأعمال أشقها على النفس وأكثرها مخالفة لهواها، فبعد المسافة يعني زيادة عدد خطوات المشي إلى المسجد وقد نصت الأحاديث على أن في كل خطوة ما شاء الله من الحسنات، أما الأحوال الجوية، فقد رؤي الإمام السجادعليه السلام في ليلة ممطرة شاتية وهو يسير في طرقات المدينة بأبهى حلة فقيل إلى أين يا ابن رسول اللهصلى الله عليه وآله في مثل هذا الحال؟ قالعليه السلام: إلى مسجد رسول اللهصلى الله عليه وآله أخطب إلى الله عزّ وجل الحور العين في الجنة. وأما وقت الفجر ورد الحث الأكيد على إقامة صلاة الصبح جماعة (راجع الوسائل أبواب صلاة الجماعة).

ولو تنزلنا عما قلناه فإنه يستحب لكل إنسان أن يتخذ مسجداً في بيته بمعنى أن يخصص مكانا للعبادة، ويظهر من بعض الأحاديث أن الأئمة كانوا يفعلون ذلك، لذا ورد استحباب إشعال السراج في مصلى المؤمن في الليلة الأولى بعد دفنه وورد أن ممن يبكي على المؤمن إذا مات البقعة التي كان يعبد الله فيها ويرفع منها عمله الصالح، مما يدل على وجود بقعة معينة كان يتخذها مسجداً.

وإذا كان الشخص يحسن القراءة وملتزماً بالشريعة (وهو ما يعرف بالعدالة) فيمكنه أن يقيم صلاة الجماعة بأهله في الدار فيؤجر ويؤجرون، وتنعقد الجماعة ولو بواحد مع الإمام.

(مسألة٦): ما هو برأيكم الفارق الرئيسي بين الصلاة في البيت والصلاة في المسجد؟ ولماذا حث الإسلام على الحضور في المساجد بشكل مكثف؟

بسمه تعالى: الصلاة في المساجد تثمر عن نتائج إيجابية كبيرة على الصعيد الروحي والديني والاجتماعي وقد ذكر أحد الأخبار الشريفة مجموعة من هذه الثمار، ففي كتاب الخصال للشيخ الصدوق (رضي الله عنه) عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول: (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى الثمان أخا مستفادا في الله أو علما مستطرفا أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة ترده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنبا خشية أو حياءً)، وقوله عليه السلام إحدى الثمان أي على الأقل وإلا فيمكن للمؤمن أن يحصل عليها جميعا فإنه يتعرف على أخوة مؤمنين ويكسب أصدقاء خيرين كما أنه يستفيد علما جديداً أو يتعلم تفسير آية محكمة من خلال استماعه للمحاضرات والخطب والحوارات التي تعقد في المساجد وأنه يشمل بالرحمة التي يفيضها الله تبارك وتعالى على زائريه في بيته وعلى المجتمعين في صلاة الجماعة أو محاضرة دينية أو مجلس لذكر مناقب وفضائل أهل البيت عليهم السلام، ويستمع أيضاً إلى موعظة تولد عنده روح التقوى والورع وتذكره بالموت وأهوال الآخرة فيرتدع عن المعاصي والذنوب أو ينصت إلى إرشاد وتوجيه يهديه إلى طريق الحق كما أنه خلال وجوده في المسجد يكون في مأمن من الوقوع في كثير من المحرمات التي يمكن أن

يتورط بها الإنسان في حياته العامة فتكون فرص الذنوب معدومة في المسجد كالنظر إلى الأجنبية أو استماع الغناء أو مجاملة أهل الفسق والعصيان، وهذه الفوائد وغيرها كثير مما يجنيه الإنسان من تردده على المساجد، وقد جرب كل واحد منا هذه النعم والفيوضات الإلهية وعظمة السعادة والطمأنينة التي يشعر بها أثناء وجوده في المساجد ويبقى طعمها في أعماقه ويعطيه جرعة جديدة لاجتناب المعاصي والازدياد من الطاعات.

(**مسألة ٧**): تشكو بعض المناطق من عدم وجود صلاة جماعة في مساجدها أو انحسار عدد المصلين فيها بحيث لا يبقى أحد إلا المؤذن وخادم المسجد، فما هي أسباب ذلك وكيف يتم معالجتها؟

بسمه تعالى: أسباب ذلك عديدة يمكن تصنيفها ضمن عناوين:

أولاً: حوزوية، ومنها:

١ قلة عدد طلبة الحوزة الشريفة المؤهلين لتمثيل المرجعية في المناطق المختلفة وأداء وظيفتهم الشرعية.

٢ سوء تصرف بعضهم إما بالتوسع في المعيشة والترف أو عدم سعة الصدر مما أوجب نفور الناس وإعراضهم عنهم أو التشكيك فيهم.

٣ المبالغة في فهم(العدالة) المشترطة في إمام الجماعة بحيث تقرب عند البعض من العصمة.

ثانياً: نفسية:

١ ـ شعور البعض بأن الحضور في المسجد مخالف للتقية.

٢ـ النفور من تصرفات بعض المؤذنين وخدمة المساجد لكثرة ما يطالب به من تبرعات لترميم المسجد أو لشؤونه الخدمية، أو لسوء أخلاقهم لأن أغلبهم من الجهال ويعتبر هذه الوظيفة نحواً من أنحاء التسلط، فتظهر نفسه الأمارة بالسوء على حقيقتها.

٣ ـ خلافات شخصية مع إمام الجماعة أو بعض الموجودين في المسجد.

٤ ـ نزوع النفس الإنسانية إلى حب الدنيا واللهو واللعب والترفيه، ولا شك أن فترة الحضور في المسجد تحمل معاني الجد والالتزام والانضباط.

ثالثاً: اجتماعية:

١ ـ قلة الوعي الديني لدى المجتمع وعدم التفاته إلى أهمية الحضور في المساجد والفوائد المترتبة عليه.

٢ ـ تفشي الإشاعات والبحث عن العيوب والنقائص ولو كانت وهمية أو كانت قديمة وتاب عنها الرجل أعني إمام الجماعة.

٣ ـ إقامة الفواتح ومجالس العزاء بما تتضمنه من مراسيم اجتماعية أو

تقديم مساعدة مالية على نحو الواجب فيتحرج من لا يريد الالتزام بذلك من الدخول في المسجد.

رابعاً: اقتصادية:

١ ـ تعقيد متطلبات الحياة مما أوجب على الإنسان أن يُفرّغ جزءً كبيراً من وقته للعمل فقد يرى أن الحضور في المساجد وظيفة(العاطلين) ويكفيه هو الحضور يوم الجمعة فقط، أو في شهر رمضان.

٢ـ ضعف المستوى المعاشي للكثير من أبناء المجتمع بحيث لا يستطيع دفع أجور النقل والمصاريف الأخرى التي يستلزمها المجيء إلى المسجد.

هذه بعض الأسباب ويمكن أن يلتفت المؤمنون إلى غيرها كما أنه قد توجد أسباب خاصة بمنطقة دون أخرى، ومادام معرفة السبب هو نصف الحل إذن يمكننا الآن وضع بعض الحلول المناسبة ويمكن اكتشاف بعضها من خلال نفس الأسباب المذكورة:

١ ـ زيادة الوعي الديني والالتفات إلى الفوائد والآثار الإيجابية للتردد على المساجد في الدين والدنيا.

٢ ـ أن يكون سلوك أئمة الجماعة والمتصدين للمسؤوليات الاجتماعية موافقاً للصورة النقية المشرقة لأئمة الإسلام وبين أيدينا سير ناصعة لهم وما علينا إلا الاقتداء بها وإتعاب النفس في تطبيقها ولو أدى ذلك إلى حرمان

النفس من بعض مشتهياتها فإن ذلك في عين الله سبحانه ورعايته ولطفه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(١) وهذا النهي شامل حتى للمباحات مادام ذلك يؤدي إلى حزازة في قلوب الناس وامتعاض وسوء ظن، وبين أيدينا سيرة أمير المؤمنين عليه السلام الذي رقع مدرعته حتى استحيى من راقعها وتجنب ما يحلّ له من طيب المعاش مواساةً للفقراء وهو يقول عليه السلام (لكي لا يتبيع بالفقير فقرة)، ووصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعمه العباس (يا بني عبد المطلب أنكم لا تسعون الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)، وفي الحديث (إله الرئاسة سعة الصدر)، ويعني بالرئاسة كل مسؤولية اجتماعية.

٣ ـ عدم السماح بتصرفات أو أعمال تؤدي إلى نفور الناس عن الحضور في المسجد.

٤ ـ زيادة الثقة بالله تبارك وتعالى وانه يخلف على من أنفق في سبيله.

٥ ـ توجيه الأنظار إلى الآخرة وطلب الكمال فيها وعدم الاقتصار على طلب الدنيا (إعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)، ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(٢).

(١) سورة النازعات: ٤٠ ٤١

(٢) سورة القصص: ٧٧

(مسألة ٨): ما هو رأيكم بمحاولة بعض أئمة المساجد بفتح حلقات دروس حوزوية في مناطقهم، وهل يمكن أن يعتبر هذا بداية لتوسيع رقعة الحوزة الشريفة وجعلها ممتدة في المحافظات بدلاً من وجودها في النجف الأشرف فقط؟ وما هي توصياتكم لتنظيم وتفعيل هذه العملية من نوع الدروس وكميتها؟

بسمه تعالى: توجد عدة خطوات لتفعيل دور المسجد في حياة المسلمين، وهذه إحداها، وينبغي أن تأخذ كل الحوزة حاجتها وظروفها بنظر الاعتبار لتحديد شكل دروسها ونوعية مناهجها، لكن الدروس الأساسية هي الفقه، والعقائد، والأخلاق، والتفسير، والتاريخ، ومبادئ العربية ويكون من الراجح انتقاء المقبولين منهم وحثهم على مواصلة التحصيل في النجف الأشرف.

(مسألة ٩): ما هي برأيكم الطرق الأخرى التي من شأنها تفعيل دور المسجد في حياتنا وجعله وفق مستوى الطموح؟

بسمه تعالى: يمكن تحصيل عدة نقاط لإعادة دور المسجد في حياة المجتمع وإبراء الذمة أمام الله تبارك وتعالى من شكوى المساجد المعطلة التي سمعتها في الأحاديث الشريفة، وقد تقدم آنفاً بعضها، وهذا بعض آخر:

١ ـ إشغال كل مسجد مهما كان بسيطاً ونائياً بإمام يقيم فيه الشعائر

وإذا خلت المنطقة أو ناحية من مسجد فيمكن اتخاذ غرفة كبيرة في أحد البيوت مما يعرف بـــ(المضيف) أو (الديوانية) أو(غرفة الاستقبال) وتتخذ لها باب خارجية تفتح للمصلين في أوقات الصلوات ولإقامة الشعائر الدينية وتجهيزه بمكبر صوت لرفع الأذان، ولا اعتقد أن هذا يكلف شيئاً يذكر رغم كثرة الخيرات والبركات فيه.

٢ ـ الحرص على إقامة صلاة الجماعة خصوصاً المغرب والعشاء وكل الفرائض اليومية بل في العيدين وعند حصول الخسوف والكسوف، فلقد ثبت بالتجربة أن المسجد الذي تقام فيه صلاة الجماعة يكون أكثر فاعلية واجتذاباً للناس من المسجد الخالي منها، وهم على حق في ذلك من عدة جهات:

أ ـ الثواب العظيم في صلاة الجماعة بحيث أن عدد المصلين إذا بلغ عشراً لا يحصي ثوابها إلا الله تبارك وتعالى.

ب ـ إن وجود إمام الجماعة يلزم منه تحقيق فوائد كثيرة كإجابة الاستفتاءات وقضاء الحوائج الاجتماعية كإصلاح ذات البين والتوفيق بين الأزواج والاقتصادية كذلك والوعظ والإرشاد وتبليغ الأحكام الشرعية.

٣ ـ اختيار إمام الجماعة المخلص لله تبارك وتعالى الحريص على المصالح الاجتماعية أكثر من مصلحة نفسه وأن يكون ذا فضيلة علمية ليستطيع تلبية احتياجات المجتمع الفكرية والفقهية والثقافية، وأقل ما يجزيه

من النشاط هو إلقاء محاضرة في الأسبوع مرة تطبيقاً للحديث الشريف: (أف لرجل لا يُفرغ نفسه ولو في كل جمعة أي أسبوع ساعة ليتفقه في الدين)، ولما كانت فرصة القراءة والتفقه ليست متاحة لكل أحد لأسباب شتى فعلى إمام المسجد توفير هذه الفرصة للمجتمع وبذلك فهو يعينهم على امتثال أمر الإمام، وهذا دوره في المجتمع والذي يتمثل بتقريب الناس إلى طاعة الله تبارك وتعالى بتكثير فرصها وفتح المزيد من أبوابها وتقليل فرص المعصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إضافة إلى المسؤوليات المذكورة في النقطة السابقة.

٤ ـ إحياء الشعائر الدينية ومناسبات أهل البيت عليهم السلام وعدم الاكتفاء بشهر رمضان والعشرة الأولى من شهر محرم الحرام. وأؤكد على ضرورة إقامة المجالس في المساجد بدلاً من البيوت لعدة فوائد:

أ ـ انها أبعد عن الرياء والعُجُب.

ب ـ يكون الحضور خالصاً لله تبارك وتعالى لا مجاملة لأحد.

ج ـ في ذلك إعطاء أهمية للمسجد.

د ـ اقتران تلك المجالس عادةً بصلاة الجماعة وغيرها من الفوائد.

هـ ـ أنها أعظم أجراً لأن الجلوس في المساجد عبادة كما في الحديث الشريف.

٥ ـ إقامة المسابقات الدينية والثقافية خصوصاً في شهر رمضان وليالي وأيام الجمع وتعيين الجوائز للفائزين، وهذا يحقق أكثر من ثمرة:

أ ـ حث المؤمنين على قراءة الكتب والازدياد من العلم والمعرفة ليكونوا بمستوى المسابقات.

ب ـ حثهم على الحضور في المساجد لما في جو المسابقات من متعة وفائدة وتسلية مشروعة.

٦ـ وضع لوحة إعلانات يُسجّل فيها مثلاً حديث شريف له ثمرة اجتماعية أو أخلاقية أو عقائدية ويُسجّل فيها بعض الأحكام الابتلائية أو استفتاءات مستحدثة أو خبر نافع عن الحوزة أو إصدار جديد أو إلفات النظر إلى حالة اجتماعية منحرفة أو معاملة سوقية باطلة وتصحيح ذلك وفق الضوابط الشرعية، وأي شيء آخر يشد الناس إليها ويجعلهم في تفاعل مستمر مع المسجد.

٧ ـ تلاوة القرآن الكريم بمكبرات الصوت قبل الأذان بوقت مناسب وكذا بعض الأدعية المباركة كدعاء كميل وزيارة الحسين عليه السلام كل ليلة جمعة أو دعاء الندبة قبل الظهر من يوم الجمعة أو دعاء الصباح بين الطلوعين ودعاء العهد مع إشراقة صباح كل جمعة وزيارة صاحب الأمر عليه السلام بعد صلاة الظهر من يوم الجمعة وبعدها الآية الشريفة ﴿**أَمَّن يُجِيبُ**

﴿الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾(١)(خمس مرات) ثم دعاء (يا مَن تُحلُّ به عُقد المكاره) الموجود في الصحيفة السجادية.

٨ ـ إنشاء حلقات تعليم القرآن الكريم: تلاوة وتجويداً وتفسيراً وحلقات دروس الفقه والأخلاق والعقائد.

٩ـ ولا بأس بإعطاء الفرصة للنساء بالمشاركة في صلاة الجماعة والاستماع إلى المحاضرات ومجالس التعزية إذا كان بناء المسجد يسمح بتوفير مكان مخصص لهنّ من دون احتكاك أو اختلاط مع الرجال ومن دون حصول أية مخالفة شرعية.

١٠ـ تأسيس مكتبة عامة في كل مسجد تضم مجموعة من الكتب الدينية والثقافية التي يُحسن بالمسلم الاطلاع عليها.

هذا بعض ما حضرني على نحو السرعة ويمكن الالتفات إلى المزيد بالتأمل والتفكير وإخلاص النية لله تبارك وتعالى وبحسب ما تسمح به الظروف ولا يتجاوز حد الممكن.

وأنت ترى أن المسؤولية متبادلة بين المجتمع والحوزة لأنني قلت في مناسبة سابقة أن بعضهم يكمل بعض، فالحوزة تُرشد المجتمع وتوجهه إلى طريق الصلاح والمجتمع يُطبق ويمتثل ويمارس دور الشاهد على الحوزة ليقّيمها هل أدت دورها كما ينبغي، فإمام المسجد الذي لا يفي بواجباته

(١) سورة النمل: ٦٢

يُبدّل بمَن هو خير منه إن أمكن ذلك... ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(١) ولا يتوقع الخير للمجتمع إلا عندما يقوم كل واحد بمسؤوليته تجاه الله تبارك وتعالى.

وعلى المؤمنين أن يساهموا في إنجاح هذه الخطوات مادياً بالتبرعات والصدقات ودفع الحقوق الشرعية، ومعنوياً بالمشاركة والحضور الدائم والتواجد المستمر وتشجيع القائمين بالاعمال وكفالتهم اجتماعياً واقتصادياً إلى غيرها من أساليب أداء هذه الأعمال وضمان نجاحها وتأثيرها في حياة الناس.

(مسألة١٠): هناك شبهة عند بعض الناس يطلقونها في وجه من يروم بناء مسجد، ألا وهي: أنكم لو صرفتم هذه الصرفيات على الفقراء والمحتاجين خاصة في ظل هذه الظروف لكان أولى؟ فإلى أي مدى يكون هؤلاء محقين وكيف يتم التوفيق عملياً بين هاتين الطاعتين بناء المساجد وإطعام أو كسوة المساكين؟

بسمه تعالى: إن وجوه البرّ كثيرة وسُبل الوصول إلى الله سبحانه ونيل رضاه كثيرة وفي الحديث: أن الله أخفى رضاه في طاعته، أي لم يحدد أي طاعة أهم وأيُها أقل أهمية ليدفع العبد إلى امتثال كل الطاعات ليضمن الوصول إلى رضا الله سبحانه في أحدها، أما إذا أدى واحدة فلا يضمن ذلك لاحتمال أن الطاعة الاخرى التي لم يؤدها هي أرضى لله

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣

سبحانه. فكل الطاعات مطلوبة اما الأولويات فُتحدد بحسب الظروف فقد يكون بناء مسجد أهم كما لو كنت مدينة أو قرية تضم آلاف الأشخاص وليس لها مسجد تجتمع فيه وتقيم شعائرها الدينية، وقد يكون قضاء حوائج المؤمنين(أهم) كما لو وجد في المدينة عدة مساجد وافية بالغرض وعلى جميع التقادير لا حاجة إلى الترف في بناء المساجد وزخرفتها وصرف المبالغ الطائلة على الكماليات والنقوش والتجميل، فإن صرف هذه المبالغ في سدّ احتياجات المؤمنين خصوصاً في هذا الظرف الصعب يكون مهماً وأكيداً في نظر الشارع المقدس.

(مسألة ١١): نرى بعض التجار والميسوري الحال ممن وفقهم الله لبناء مسجد يبنونه على بعد ١٠٠ م أو ٢٠٠ م فقط من مسجد آخر، بينما تخلو بعض الأحياء الفقيرة والقرى من مسجد صغير أو حتى من جهاز وسماعة لرفع الأذان، فبماذا تنصحون هؤلاء؟

بسمه تعالى: المفروض بالمؤمنين أن يسعوا لسلوك أفضل السبل لنيل مرضاة الله سبحانه فإن تكثير المساجد بحيث تبقى معطلة لعدم الحاجة إليها ليس فيه كثير الثواب للمتبرع بها كالذي يحصل عليه لو بنى هذا المسجد في مدينة أو قرية تشكو من عدم وجود مسجد فيها، فالتاجر الحقيقي مع الله سبحانه هو الذي يبحث عن الفرصة التي فيها ربح أكثر بل قد يكون المؤمنون المتمكنون مالياً مسؤولين ومعاتبين لو بقيت منطقة ليس فيها مسجد ولو صغير بل ولو بإعداد غرفة من أحد البيوت وتجهيزها بمكبر

الصوت لرفع الأذان، في أوقات الصلوات، وهذا العمل على بساطته فإن فيه خيراً كثيراً.

(**مسألة ١٢**): ورد في بعض الأحاديث التي تصف آخر الزمان أن جوامع أهل ذلك الزمان عامرة إلا من ذكر الله، كما ورد في الرسائل العملية كراهة زخرفة المسجد، فبماذا تنصحون بناة المساجد من هذه الناحية؟ وما حكم وضع صور أئمة أهل البيت عليهم السلام على جدران المسجد ووضع بعض الصور الأخرى التي تبين بعض أحكام الصلاة والوضوء؟

بسمه تعالى: أشرنا في جواب سابق إلى كراهة زخرفة المساجد وتزيينها والاهتمام بمظاهرها المادية، فإن صرف هذه المبالغ في قضاء حوائج المؤمنين أجدى وأكثر قربة إلى الله سبحانه والمهم هو إعمارها بالطاعة وذكر الله سبحانه وإقامة الشعائر المقدسة ومجالس ذكر أهل البيت عليهم السلام.

ولا بأس بتعليق لوحات قرب المرافق الصحية وحنفيات الماء تبين أحكام الوضوء والتخلي وآدابهما ومستحباتهما فإنه من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(**مسألة ١٣**): بعض متولي الجوامع يتعاملون مع أهل المنطقة ممن يريد استغلال الجامع لإقامة عزاء تعاملا ماديا أشبه بعقد الإجارة؟ فما هو رأيكم؟

بسمه تعالى:الحكم في هذه المسألة يتبع الوقفية فإذا نصّت على أن إقامة الفواتح والشعائر الأخرى مجانيا فلا يجوز أخذ بدل الإيجار، نعم من حقه أن يأخذ أجره على الخدمات الأخرى التي يقوم بها كما أنه قد يكون من المناسب وضع صندوق مالي لسد احتياجات المسجد وما يتعلق به كأجور نقل إمام الجماعة فيه أو مصاريف إقامة الشعائر الدينية ومناسبات الأئمة عليهم السلام فيه ويكون أحد مصادر هذا الصندوق وما يتبرع به المستفيدون من المسجد من دون مساومة ومعاملة كما يفعل تجار الدنيا.

(مسألة ١٤): نرى في بعض الجوامع التي تقام بها مجالس الفاتحة الخروج عن آداب المسجد وانتهاك لحرمته فبماذا تنصحون؟ وهل يشمل الحكم الحسينيات التي تقام بها تلك المجالس؟

بسمه تعالى: هذا العنوان يستحق إفراده ببحث مستقل(١) لأن فيه تفاصيل كثيرة يجب بيانها وإلفات نظر الناس إليها، إذ ترتكب فيها مخالفات شرعية كثيرة كعدم الإنصات إلى قراءة القرآن والخوض في فضول الدنيا بل التورط في معاصي لسانية كثيرة كالغيبة والنميمة والجدال والمراء مما نهي عن ممارستها في نفسها فضلاً عن ارتكابها في المساجد وورد في الحديث أن مجموعة من الناس لا يشمون ريح الجنة ويطردون من رحمة الله أحدهم من يخوض في فضول كلام أهل الدنيا أثناء قراءة القرآن وفي

(١) تم التعرض لشيء مما يتعلق بالفاتحة والعزاء عبر حوارية نشرت في سلسلة ظواهر اجتماعية منحرفة (الجزء الثاني).

المساجد ولا يقل هذا القبح لو حصلت في الحسينيات وإن كانت حرمة الحسينيات أقل من المساجد من ناحية عدم ترتب الأحكام الشرعية فيها، لذا فإن هذه المجالس فقدت روحها ولم تعد تثمر النتائج المرجوة منها كالاتعاظ وأخذ العبرة والتدبر في آيات الله سبحانه والمواساة.

(مسألة ١٥): هل الاستماع إلى قراءة القرآن في مجلس الفاتحة المقامة في المسجد واجب سواء صدر من جهاز تسجيل(مسجل) أو صدر من قارئ مباشرة، وبماذا تنصحون في هذا الصدد؟

بسمه تعالى:قال تعالى:﴿**وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾(١) وهو يشمل صوت القراءة الصادر من آلة التسجيل، وقد وردت أحاديث كثيرة في ذم مَن يتكلم والقرآن يقرأ وأنه مطرود من رحمة الله سبحانه.

(مسألة ١٦): توجد بعض حالات التنافس بين المصلين في الكثير من الجوامع حول المكان في الصف الأول أو حول الدعاء بعد الصلاة أو الأذان لصلاة الجماعة أو الإقامة لها أو غيرها من الأمور، فهل هذا التنافس مشروع ومقر من قبل الشرع؟ وإلى أي مدى تكون حدوده؟ نرجو بيان رأيكم ونصيحتكم؟

بسمه تعالى: الصلاة في الصف الأول أفضل من غيره وميامن

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٤

الصفوف خير من مياسرها والأذان والإقامة لصلاة الجماعة فيها خير كثير، فإذا كان معنى التنافس هو الاستباق إلى الخيرات فهو صحيح ودعا له القرآن الكريم ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾(١)، لكن هذا لا يعني تجاوز الآداب والحدود الشرعية فقد وضعت أولويات فالصف الأول لذوي الفضل كما أنه إذا وجد مؤذن راتب فيقدم إلا إذا أذنَ لغيره، وأن لا يؤدي هذا التنافس إلى خشونة في الكلام وخروج عن الآداب بين الأخوة المؤمنين.

(مسألة ١٧): سمعنا من الرسائل العملية أن الأذان يسقط عند سماع شخص يؤذن فهل هذا السقوط يشمل الأذان الإعلامي في سماعات الجامع سواء كان صادراً من جهاز تسجيل أو من مؤذن مباشرةﷺ؟

بسمه تعالى: الظاهر أن المقصود به أذان الصلاة لا أذان الأعلام وقيّدها بعضهم بأذان صلاة الجماعة خصوصاً، ومع هذا فإنه سقوط رخصة لا سقوط عزيمة فيجوز للمصلي أن يؤذن ويقيم وإن سمع أذان وإقامة غيره.

(١) سورة البقرة: ١٤٨

الأربعون حديثاً

في فضل المساجد وآدابها والمنع من هجرها

في نهاية المطاف نختم الكتاب بجمع أربعين حديثاً حول المساجد وفضلها لأن الرسول صلى الله عليه وآله أوصى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوصاه به فقال: (يا علي من حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب ذلك وجه الله عزّ وجلّ والدار الآخرة حشره الله يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا)(١) إضافة إلى ذلك فإن كلام المعصومين عليهم السلام فيه من القوة والتأثير ما لا يوجد في كلام البشر الآخرين، لذا فإن إيراد هذا الجمع من الروايات عن أهل البيت عليهم السلام فيه أكبر الأثر في إتمام ما يراد من الكتاب، وقد جعلنا الأربعين حديثاً الآتية مقسمة على عدة عناوين يندرج ضمن كل منها واحد أو اكثر من هذه الأحاديث الأربعين:

أولاً: أعمار المساجد

١ ـ عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (إذا أنزل الله عاهة من السماء عوفي منها حملة القرآن ورعاة الشمس أي الحافظون لأوقات الصلاة وعمّار المساجد)(٢).

(١) لذلك دأب اغلب المصنفين على تصنيف ما يتعلق بجمع أربعين حديثا أو شرح أربعين منها.
(٢)مستدرك الوسائل، ح٣، ص١٤٩.

٢ ـ عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ست خصال من المروءة: ثلاث منها في الحضر وثلاث منها في السفر، فأما التي في الحضر: فتلاوة كتاب الله عزّ وجلّ، وعمارة مساجد الله، واتخاذ الأخوان في الله عزّ وجلّ، وأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخُلق، والمزاح في غير المعاصي)(١).

٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله (مَن بنى مسجداً في الدنيا أعطاه الله بكل شبر منه أو قال بكل ذراع منه مسيرة أربعين ألف عام مدينة من ذهب وفضة ودُر وياقوت وزمرد وزبرجد ولؤلؤ)(٢).

ثانياً: ذم بناء المنائر وزخرفة المساجد

٤ ـ عن أبي هاشم الجعفري قال كنت عند أبي محمد عليه السلام فقال: (إذا قام القائم أمر بهدم المنائر والمقاصير التي في المساجد) فقلت في نفسي لأي معنى هذا، فاقبل عليّ فقال (معنى هذا إنها محدثة مبتدعة لم يبنها ولا حجة)(٣).

٥ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث طويل فيه (يا بن مسعود ما يغني مَن يتنعم في الدنيا إذا اخلد في النار ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ

(١) الخصال، ص٣٢٤، حديث ١١.
(٢) الوسائل، جزء ٣، ص٤٨٦، حديث ٤، أبواب أحكام المساجد.
(٣) البحار، ح٥٢، ص٣٢٣، رواية ٣٢، باب٢٧.

﴿الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(١) يبنون الدور ويشيدون القصور ويزخرفون المساجد وليست همتهم إلا الدنيا)(٢).

٦ - في حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله يذكر فيه اشراط قيام الساعة منه قال صلى الله عليه وآله: (يا سلمان أن عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البَيع والكنائس ويُحلى المصاحف وتطول المنارات وتكثر الصفوف بقلوب متباغضة وألسن مختلفة) قال سلمان: وإن هذا لكائن يا رسول الله. قال صلى الله عليه وآله: (أي والذي نفسي بيده)(٣).

ثالثاً: الحث على الصلاة في المسجد

٧ - عن مرازم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (عليكم في الصلاة في المساجد وحُسن الجوار وإقامة الشهادة وحضور الجنائز)(٤).

٨ - قال النبي صلى الله عليه وآله: (لا صلاة لجار المسجد إلا في مسجده)(٥).

٩ - عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (سبعة في ظل عرش الله عزّ وجلّ يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عزّ وجلّ ورجل تصدق بيمينه فأخفاه عن شماله ورجل ذكر الله عزّ وجلّ خالياً ففاضت عيناه

(١)سورة الروم: ٧.
(٢) البحار، ح٧٧، ص٩٩، رواية ١، باب ٥.
(٣) البحار، جزء ٦، ص٣٠٧، رواية ٦، باب ١.
(٤) الكافي، جزء٢، ص٦٣٥.
(٥) الوسائل، ح٣،ص٤٧٨.

من خشية الله عزّ وجلّ ورجل لقى أخاه المؤمن فقال أني لأحبك في الله عزّ وجلّ ورجل خرج من المسجد وفي نيته أن يرجع إليه ورجل دعته امرأة ذات جمال إلى نفسها فقال أني أخاف الله رب العالمين)(١).

وفي رواية أخرى (ورجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه)(٢).

١٠ ـ عن الفضل بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (يا فضل لا يأتي المسجد من كل قبيلة إلا وافدها ومن كل أهل بيت إلا نجيبها، يا فضل لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث خصال: أما دعاء يدعوا به يدخله الله به الجنة وأما دعاء يدعو به فيصرف الله عنه بلاء الدنيا وأما أخ يستفيده في الله)(٣).

رابعاً: الاختلاف إلى المساجد

١١ ـ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (من اختلف إلى المساجد أصاب إحدى ثمان أخا مستفاداً في الله أو علماً مستظرفاً أو آية محكمة أو رحمة منتظرة أو كلمة ترده عن ردى أو يسمع كلمة تدله على هدى أو يترك ذنباً خشيةً أو حياء)(٤).

(١) الخصال، ٣٤٣، حديث ٨

(٢) المصدر السابق، حديث ٧.

(٣) الوسائل، ج٣، ص٤٧٧ أبواب أحكام المساجد.

(٤) الخصال، ص٤٠٩، باب الثمانية ح١٠.

١٢ ـ عن الاصبغ بن نباته قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (كانت الحكماء فيما مضى من الدهر تقول: ينبغي أن يكون الاختلاف إلى الأبواب لعشرة اوجه أولها بيت الله عزّ وجلّ لقضاء نسكه والقيام بحقه وأداء فرضه)(١).

خامساً: عدم هجر المساجد

١٣ ـ عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (يجئ يوم القيامة ثلاثة يشكون إلى الله عزّ وجلّ: المصحف والمسجد والعترة. يقول المصحف: يا رب حرّفوني، ويقول المسجد: يا رب عطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشرَّدونا. فاجثوا للُّركبين للخصومة، فيقول الله جل جلاله لي: أنا أولى بذلك)(٢).

١٤ ـ عن زريق، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (شكت المساجد إلى الله تعالى الذين لا يشهدونها من جيرانها، فأوحى الله إليها وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة واحدة، ولا اظهرن لهم في الناس عدالة، ولا نالتهم رحمتي ولا جاورني في جنتي)(٣).

سادساً: استحباب المشي إلى المساجد

١٥ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (مّن مشى إلى المسجد لم يضع رجلاً

---

(١) الخصال، ص٤٢٦، باب العشرة ح٣.

(٢) الخصال، ص١٧٤، باب الثلاثة ح٢٣٢.

(٣) الوسائل، ج٣، ص٤٧٩، ح٨.

على رطب ولا يابس إلا سبّحت له الأرض إلى الارضين السابعة)(١).

١٦ ـ عن أبي الربيع الشامي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (ما عُبد الله بشيء افضل من الصمت والمشي إلى بيته)(٢).

١٧ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (مَن مشى إلى مسجد من مساجد الله فله بكل خطوة خطاها حتى يرجع إلى منزله عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات)(٣).

سابعاً: المساجد بيوت الله

١٨ ـ عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلة في تعظيم المساجد فقال: (إنما أُمر بتعظيم المساجد لأنها بيوت الله في الأرض)(٤).

١٩ ـ محمد بن علي بن الحسين قال: روي أن في التوراة مكتوباً ألا أن بيوتي المساجد، فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي إلا أن على المزور كرامة الزائر، إلا بشر المشائين في الظلمات إلى المساجد بالنور الساطع يوم القيامة)(٥).

---

(١) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٤، ح١.
(٢) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٤، ح٢.
(٣) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٤، ح٣.
(٤) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٧٠، ح١.
(٥) المصدر السابق، باب ٣٩، ح١.

ثامناً: استحباب التطيب ولبس الثياب الفاخرة عند التوجه إلى المساجد.

٢٠ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أن علي بن الحسين عليه السلام استقبله مولى له في ليلة باردة وعليه جبة خز ومطرف خز وعمامة خز وهو متغلف بالغالية، فقال له جعلت فداك في مثل هذه الساعة على هذه الهيئة إلى أين، قال: فقال: إلى مسجد جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أخطب الحور العين إلى عزّ وجلّ)(١).

تاسعاً: مسجد المرأة بيتها

٢١ ـ عن الصادق عليه السلام قال: (خير مساجد نسائكم البيوت)(٢).

٢٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (صلاة المرأة في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها، وصلاتها في بيتها افضل من صلاتها في الدار)(٣).

عاشراً: المسجد احب البقاع إلى الله

٢٣ عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله لجبريل عليه السلام يا جبرائيل أي البقاع احب إلى لله عزّ وجلّ قال: المساجد، واحب أهلها إلى الله أولهم دخولاً وآخرهم خروجاً منها)(٤).

---

(١)المصدر السابق، باب٢٣، ح١.
(٢) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ٣٠، ح٢.
(٣) المصدر السابق، ح١.
(٤) الكافي، ج٣، ص٤٨٩.

٢٤ قال النبيﷺ: (من كان القرآن حديثهُ والمسجد بيتهُ بنى الله له بيتاً في الجنة)(١).

حادي عشر: مساجد آخر الزمان

٢٥ ـ عن زرارة، عن أبي جعفرعليه السلام قال: (قال أمير المؤمنينعليه السلام: قوام الدين بأربعة: بعالم ناطق مستعمل له، وبغني لا يبخل بفضله عن أهل دين الله وبفقير لا يبيع آخرتهُ بدنياه، وبجاهل لا يتكبر عن طلب العلم. فإن اكتم العالم علمه، وبخل الغني بماله، وباع الفقير آخرته بدنياه، واستكبر الجاهل عن طلب العلم رجعت الدنيا إلى ورائها القهقري، فلا تغرنكم كثرة المساجد وأجساد قوم مختلفة، قيل: يا أمير المؤمنين كيف يعيش في ذلك الزمان، فقال: خالطوهم بالبرانية يعني في الظاهر وخالفوهم في الباطن، للمرء ما اكتسب وهو مع مَنْ احب، وانتظروا مع ذلك الفرج من الله عزّ وجلّ)(٢).

٢٦ ـ ذكر ورّام بن أبي فراس في كتابه عن أحدهمعليهم السلام قال: (يأتي في آخر الزمان قوم يأتون المساجد فيقعدون حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا، لا تجالسوهم فليس لله فيهم حاجة)(٣).

---

(١) التهذيب، ج٣، ص٢٥٥، رواية٢٧، باب١٣.
(٢) الخصال، باب الأربعة، ص١٩٧.
(٣) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام المساجد باب ١٤، ح٤.

ثاني عشر: آداب المساجد

٢٧ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله الاتكاء في المسجد رهبانية العرب، أن المؤمن مجلسه مسجدهُ وصومعتهُ بيتهُ)(١).

٢٨ ـ عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم)(٢).

٢٩ ـ عن أبي ذر، عن رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيتُهُ له قال: (يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة يا أبا ذر مَن أجاب داعي الله واحسن عمارة مساجد الله كان من الله الجنة، فقلت: كيف يعمر مساجد الله، قال: لا ترفع الأصوات فيها ولا يخاض فيها بالباطل ولا يشتري فيها ولا يباع واترك اللغو ما دمتَ فيها، فإن لم تفعل فلا تلومنَّ يوم القيامة إلاّ نفسك)(٣).

٣٠ـ عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ سمعتموه ينشد الشعر في المسجد، فقولوا: فضّ الله فاك إنما نُصبتْ المساجد للقرآن)(٤).

(١) الوسائل، أبواب أحكام المساجد، باب ٢٩، ح١.
(٢) الوسائل، أبواب أحكام المساجد باب ٢٧، ح٢.
(٣) المصدر السابق، ح٣.
(٤) المصدر السابق، باب١٤، ح١.

٣١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن رد ريقهُ تعظيماً لحق المسجد، جعل الله ريقهُ صحةً في بدنه وعوفي من بلوى في جسده)(١).

٣٢ ـ عن الإمام علي عليه السلام قال: (مَنْ أكل شيئاً من المؤذيات ريحها فلا يقربَنَّ المسجد)(٢).

٣٣ ـ عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إذا دخلت المسجد وأنت تريد أن تجلس فلا تدخله إلا طاهراً، وإذا دخلته فاستقبل القبلة ثم ادعُ الله وسلهُ حين تدخلهُ واحمد الله وصلِّ على النبي صلى الله عليه وآله(٣).

٣٤ ـ عن فاطمة عليها السلام قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا دخل المسجد صلى على النبي صلى الله عليه وآله وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج من الباب صلى على النبي صلى الله عليه وآله وقال: اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك)(٤).

ثالث عشر: استحباب صلاة الجماعة في المسجد

٣٥ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (همَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بأطراف قوم في

(١) المصدر السابق، باب ١٩، ح٦.
(٢) الخصال الصدوق باب الأربعمائة.
(٣) الوسائل، ج٣، أبواب أحكام الصلاة، باب٣٩، ح٢.
(٤) المصدر السابق، باب٤١، ح٢.

منازلهم كانوا يصلون في منازلهم ولا يصلون الجماعة، فاتاه رجل أعمى فقال أنا ضرير البصر وربما اسمع النداء ولا أجد من يقودني إلى الجماعة والصلاة معك، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: شد من منزلك إلى المسجد حبلاً واحضر الجماعة)(١).

٣٦ـ عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: (مَنْ سمع النداء من جيران المسجد فلم يُجب فلا صلاة له)(٢).

٣٧ـ عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلى المغرب والعشاء الآخرة وصلاة الغداة في المسجد في جماعة فكأنما أحيي الليل كله)(٣).

٣٨ ـ عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (اشترط رسول الله صلى الله عليه وآله على جيران المسجد شهود الصلاة وقال: لينتهينَّ أقواماً لا يشهدون الصلاة أو لآمرن مؤذناً يؤذن ثم يقيم ثم أمر رجلاً من أهل بيتي وهو علي عليه السلام فليحرقنَّ على أقوام بيوتهم بحزم الحطب، لأنهم لا يأتون الصلاة)(٤).

٣٩ ـ عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (من ترك الجماعة رغبة عنها

(١)الوسائل، ج٥، أبواب صلاة الحماعة، باب٢، ح٩.
(٢) المصدر السابق، ح١٢.
(٣) المصدر السابق، باب٣، ح٣.
(٤) المصدر السابق، باب٢، ح٦.

وعن جماعة المسلمين من غير علة فلا صلاة لهُ)(١).

٤٠ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنما جعلت الجماعة والاجتماع إلى الصلاة لكي يعرف مَّنْ يصلي ممن لا يصلي، ومن يحفظ مواقيت الصلاة ممن يضيع، ولو لا ذلك لم يمكن أحداً أن يشهد على أحد بالصلاح لأن من لم يصل في جماعة فلا صلاة له بين المسلمين لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا صلاة لمن لم يصلّ في المسجد مع المسلمين إلاّ من علة)(٢).

---

(١) المصدر السابق، ح٧.

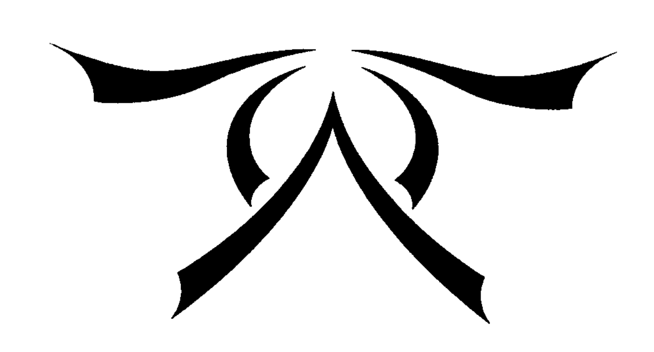
(٢) الوسائل، ج٥، أبواب صلاة الجماعة باب٢، ح٨

الكتاب الثالث

شكوى الامام

الشكوى الأولى

الجهل بقضيته عليه السلام



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

نعود مرة أخرى إلى حديث الشكاوي الثلاث المروي عن الكليني والصدوق(١)(طاب ثراهما) عن الإمام الصادق عليه السلام قال:(ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلّي فيه أهله وعالم بين جهّال ومصحف معلّق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه) وقد قلتُ في افتتاح الحديث عن شكوى القرآن(٢) إن (أوضح مصاديق العالم هم أهل البيت عليهم السلام وخصوصا الإمام الفعلي القائم بالأمر (أرواحنا له الفداء) فالثلاثة الذين يشكون هم القرآن والعترة والمسجد ويدل عليه ما ورد في حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (يجيء يوم القيامة ثلاثة يشكون: المصحف والمسجد والعترة، يقول المصحف: يارَبِ حرّفوني و مزّقوني، و يقول المسجد: يا ربَ عطلوني وضيعوني، وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا وشردونا، فأجثو للركبتين في الخصومة فيقول الله عز وجل لي: أنا أولى منك(٣)).

(١) الكافي: كتاب فضل القرآن، باب قراءة القرآن في المصحف، ج٣ / والخصال: للصدوق، ١/ ١٤٢ أبواب الثلاثة

(٢) كتاب مطبوع

(٣) وسائل الشيعة: ٣/ ٤٨٤.

ما الذي نستفيده من حديث الشكوى؟

ونستفيد من هذا الحديث في اكثر من أمر:

الأول: إن أسس بناء الأمة المسلمة ومقومات كيان المجتمع المسلم هي هذه الأركان الثلاثة، لذا تم التركيز عليها، والحديث على هذا يكون بمعنى حديث الثقلين المشهور: (اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما إن تمسكتم بهما لن تظلوا بعدي أبدا، وقد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة)(١)

والثقلان هما اثنان من هذه الثلاثة، أما الثالث وهو المسجد فهو المحل الذي يمارس الثقلان من خلاله دورهما في المجتمع ويرتبطان في أجوائه المقدسة بالأمة.

الثاني: الإشعار بان الأمة ستعرض عن هذه الثلاثة وستخلفها وراء ظهورها لذلك اخبرصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن الشكوى كحقيقة واقعة وهوصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يحذر الأمة من هذا التضييع ويبالغ في العقوبة عليه حتى كان الله تبارك وتعالى هو الخصم المطالب بحقها وهو الحكم العدل، وما دامت هذه الثلاثة هي أسس كيان المسلمين فتضييعها يعني زوال هذا الكيان وفنائه لذا كان لزاما علينا إن نفرد كل واحد منها ببحث خاص لبيان أثره في حياة الأمة وعظيم خسارتها بالإعراض عنه، وأساليب تفعيل دوره في حياة المسلمين.

---

(١) راجع في مصادره من كتب العامة كتاب المراجعات للسيد شرف الدين الموسوي.

الإمام عليه السلام هو القرآن الناطق

وقد أنجزت اثنان من هذه الشكاوى الثلاث وهما شكوى القرآن وشكوى المسجد وطبعتا في كتابين مستقلين واليوم نحن مع العنصر الثالث في هذه العملية وهو قطب الرحى الذي يديرها.

فالقرآن رغم انه الثقل الأكبر إلا انه يحتاج إلى من يتحرك به ويُفعّل دوره في حياة الأمة بإيضاح مفرداته وشرح أفكاره وبياناته واستخراج مكنوناته وتطبيق قوانينه و إقامة حدوده ومناهجه، والذي يؤدي هذا الدور هو الإمام عليه السلام لذا يروى إن الخوارج حينما أوغلوا في اللجّاج مع أمير المؤمنين عليه السلام وصُمَّت آذانهم عن سماع الحق قالوا نريد دليلا من القرآن فدفع عليه السلام إليهم المصحف مغضباً وقال: ها هو بين أيديكم فأسالوه ؛ يريد أن يقول عليه السلام لهم أن القرآن وان كان فيه تبيان كل شيء(١) ولم يفرّط في شيء(٢) إلا انه لا يؤدي دوره كاملا إلا حينما يتحمله أهله ممن اجتباهم الله تبارك وتعالى واصطفاهم للتحرك بهذه الرسالة العظيمة و إلاّ فانه يبقى عرضة للتأويل والتوجيه بحسب المصالح و الأهواء ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ**

---

(١) اشارة الى قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل: من الآية٨٩).

(٢) اشارة الى قوله تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ (الأنعام: من الآية٣٨)

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلا أُولُو الألْبَابِ﴾ (آل عمران: من الآية ٧) وفي الروايات (١) إن هؤلاء الراسخين في العلم هم محمد وآل محمدﷺ لذا لمَّا عيَّن أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن عباس لألقاء الحجة على خصمه قال: (لا تحاججهم بالقرآن فانه حمّال ذو وجوه) بمعنى انه يستطيع كل صاحب قول أن يصرف ظاهر الآيات القرآنية إلى مبتغاه.

فهذه أهمية الإمام القائم بالأمر انه يمثل المحور الذي تنتظم به أمور الأمة وتتّسق وبقيادته تسير نحو الهدى والصلاح وتبلغ كمالها المنشود، وهذا ما عبّرت عنه الصدّيقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها في مسجد أبيهاﷺ فقالت: (وجعل إمامتنا نظاما للملة) وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في كتاب (من وحي الغدير) وكتاب (دور الأئمة في الحياة الإسلامية).

أول تكليف هو: معرفة إمام الزمان

وأول تكليف للأمة تجاه أمامها هو التعرف عليه لأن الجهل به يعني أسوأ النتائج وأخطره الضياع والتشتت والتخبط والتنازع وتفرق الأهواء وكثرة المدعين زورا وبهتانا لهذا الموقع المقدس الذي تطمح إليه النفوس

(١) أصول الكافي للكليني، كتاب الحجة.

لأنه أشرف عنوان وأسماه وتنقاد إليه الناس لذا كان من أدعية زمان الغيبة التي علمّها الأئمة عليهم السلام لشيعتهم: (اللهم عرّفني نفسك فانك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرّفني نبيك فأنك إن لم تعرفني نبيك لم أعرف حجتك، اللهم عرّفني حجتك فانك إن لم تعرّفني حجتك ضللت عن ديني)(١) فمعرفتهم عليهم السلام امتداد لمعرفة الله تبارك وتعالى(٢) التي هي أساس الدين قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أول الدين معرفته) ونخاطبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة:(من عرفكم فقد عرف الله) (من أراد الله بدأ بكم ومن وحّده قَبِل عنكم) ويبين الدعاء نتيجة عدم المعرفة الحقيقية بحجة الله على خلقه وهو الضلال عن الدين وما أتعسها من عاقبة وهي التي عبر عنها في حديث آخر (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) بكل ما تعنيه الجاهلية من أنحراف وتعاسة وضياع وخواء روحي وعقلي وقلبي وسوء المنقلب والمصير التي لخصها الله تبارك وتعالى بضنك وضيق العيش في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ (طـه:١٢٤) فقد ورد في الروايات(٣) إن الذكر أهل البيت عليهم السلام ويؤيد ذلك السياق القرآني الذي وردت فيه وليس هذا محل تفصيله فالغفلة عنهم عليهم السلام تعني الوقوع في هذه النتائج السيئة.

---

(١) الكافي: كتاب الحجة، باب ٧٧، ح٢٩.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال (خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه فقال له رجل يا ابن رسول الله بأبي أنت و أمي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته) علل الشرايع.

(٣) الميزان للطباطبائي: ١٤/ ٢٣١.

الإمام عليه السلام يحيط شيعته بتربية خاصة

وفي الحقيقة فان للإمام المهدي عليه السلام الذي هو الإمام الفعلي اليوم شكاوي عديدة من شيعته جعلها عليه السلام هي المانعة عن التشرف بلقائه ونيل بركات ظهوره ولا يعني شكواه من شيعته عدم وجود شكوى من غيرهم بل الخطب عند أولئك افضع ولكنه باعتبار المسؤولية الخاصة عن شيعته وأحاطتهم برعاية إضافية باعتبارهم الشريحة المؤمنة بإمامته عليه السلام والموالية له والمبادرة إلى نصرته كالأب الذي إذا أساء ولده يزجره ويوبخه وربما يعاقبه بينما لا يهتم بنفس الدرجة فيما لو أخطأ الغريب عنه وما ذلك إلا لشعوره الخاص بالمسؤولية عن تربية ولده وهكذا الإمام عليه السلام يحيط شيعته بتربية خاصة وعناية إضافية وإنطلاقا من هذه المسؤولية ينبهّهم إلى ما في سيرة بعضهم من أخطاء وانحرافات فانه يستعرض أعمالنا كل يوم او كل أسبوع فعن يعقوب بن شعيب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة: من الآية١٠٥) قال:(هم الأئمة)(١) وفي بعض الروايات: (إن أعمال العباد تعرض على نبيكم كل عشية خميس وعلى الأئمة عليهم السلام فليستحي أحدكم أن يعرض على نبيه العمل القبيح فلا تسوؤا(٢) رسول الله صلى الله عليه وآله وسروه) وقال أحدهم

(١) الوسائل: ١١/ ٣٩١.

(٢) فقد ورد في إرشاد القلوب ج٢ ص٢٥٧ عن الصادق عليه السلام قال (شيعتنا جزء منا خلقوا من فضل طينتنا يسوؤهم ما يسوؤنا و يسرهم ما يسرنا) فبمقتضى هذا الاتصال اعلم ان الذنوب التي تقترفها تؤذي اهل

للأمام الرضا عليه السلام إن قوما من مواليك سألوني أن تدعو لهم فقال عليه السلام: (والله اني لأعرض أعمالهم على الله في كل يوم)(١) باعتباره الإمام الفعلي في ذلك الزمان كالإمام المهدي عليه السلام في هذا الزمان.

ما المراد من معرفة الإمام عليه السلام

فأول شكوى يرفعها الإمام المهدي عليه السلام هي الإعراض عن أمره والجهل بقضيته والغفلة عنه إذ ليس المقصود بالمعرفة المطلوبة هو العلم باسمه فهذا يشترك فيه حتى غير الموالين له بل أن كتب أولئك التي ذكرت تفاصيل حياته عليه السلام وأخباره المستقبلية اكثر مما كتب عنه موالوه و إنما المراد بالمعرفة:

البيت عليه السلام وتسوؤهم هذا فضلا عن الروائح الكريهة التي تبعثها الذنوب عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام (أَنَّهُ قَالَ تَعَطَّرُوا بِالاسْتِغْفَارِ لا تَفْضَحَنْكُمْ رَوَائِحُ الذُّنُوبِ).

(١) الوسائل:١١/٣٩٢

إدامة ذكر الإمام عليه السلام والدعاء له

أولاً: إدامة ذكره والدعاء له بالحفظ والنصر والتأييد وتعجيل الفرج وسائر المعاني الأخرى التي تضمنتها الأدعية والزيارات الواردة في حقه(١) والتوسل به إلى الله تبارك وتعالى في قضاء الحوائج وشكره والثناء عليه في الرعاية التي يحيطنا بها ويتحدث الإمام عليه السلام عن هذه الرعاية فيقول في رسالته للشيخ المفيد(٢):(نحن وان كنا ناوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين، حسب الذي أراده الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك ما دامت دولة الدنيا للفاسقين، فإنّا نحيط علما بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذي أصابكم مذ جنح كثير منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعا(٣) ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل

---

(١) راجع كتاب مفاتيح الجنان للشيخ القمي ونهاية الجزء الثاني من كتاب الاحتجاج للطبرسي ومنها ما ورد عنه عليه السلام إذا أردتم التوجه بنا الى الله والينا فقولوا كما قال الله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾ (الصافات: ١٣٠) ثم شرع بالزيارة المعروفة التي يستحب قراءتها يوميا ثم الدعاء بعدها ومن خلال هذه الادعية والزيارات ستتعرف كثيرا على الامام عليه السلام اضافة الى المعاني التي تجمعه مع آبائه الطاهرين عليهم السلام كما في الزيارة الجامعة الكبيرة وغيرها.

(٢) الاحتجاج: ٢/ ٣٢٢.

(٣) (وتوجد قصة حصلت بين العلمين الهمامين المرتضى والرضي (رض) عندما جاءتهما هدية واحدة فقررا ان تعطى هذه الهدية لمن ادى جميع الواجبات وترك جميع المحرمات فمد الاثنان يديهما على الهدية ثم قالا تعطى لمن أدى المستحبات وترك المكروهات فكذلك مد الاثنان يديهما ثم قال أحدهما الهدية لمن انتهى عن المباحات فمد أحدهما يده مما اثار تعجب الآخر فقال له الأول اني ومنذ البلوغ لم افعل مباحا الا بنية القربة الى الله تعالى). هكذا كان السلف الصالح الذي يشكو الإمام عليه السلام عن ابتعادنا عنه سمعت هذه القصة من أحد المجتهدين أيدهم الله تعالى.

بكم البلاء أو أصطلمكم الأعداء)(١) وهذا يوجب علينا حقوقا كثيرة منها أن نعمل أعمال الخير نيابة عنه كالصدقة والصلاة والزيارة وتلاوة القرآن ومنها الدعاء له خصوصا بما علمّنا إياه:(اللهم اعزَّ نصره ومُدَّ في عمره وزيّن الأرض بطول بقائه، اللهم اكفه بغي الحاسدين وأعذه من شر الكائدين وادحر عنه إرادة الظالمين وتخلصه من الجبارين، اللهم أعطه في نفسه وذريته وشيعته ورعيته وخاصته وعامته وعدوه وجميع أهل الدنيا، ما تقرَّ به عينه وتسُّر به نفسه وبلّغه أفضل أمله في الدنيا والآخرة، انك على كل شيء قدير، اللهم جدد به ما محي من دينك، وأحيي به ما بُدّل من كتابك، وأظهر به ما غُيّر من حكمك، حتى يعود دينك به وعلى يديه، غضا جديذا خالصاً مخلصاَ لا شك فيه ولا شبهة معه، ولا باطل عنده ولا بدعة لديه..)(٢).

الإمام عليه السلام موجود بيننا

ثانيا: أن نتعامل معه ونراقبه وننظّم حياتنا تجاهه كشخص موجود بيننا وهو كذلك إلا أننا لا نعرف شخصه بين الناس وليس غائباً أي عنوانه غائب عن الناس وليس شخصه(٣) وان أعمالنا تعرض عليه تفصيلاً ليختم سجّلاتنا

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٣٢٢.

(٢) تاريخ الغيبة الصغرى: ٥٧٩ عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ١٧٠.

(٣) حيث جاء في دعاء الندبة(بنفسي أنت من مغيب لم يخل منا بنفسي أنت من نازح ما نزح عنا).

بخاتمه الشريف ومن غفلتنا أننا نظن أن لا أحد يرانا أو يعلم بنا، يروي أحدهم: (انه في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان التقى عدد من عشاق الإمام صاحب الزمان واحيوا تلك الليلة التي يرجى أن تكون ليلة القدر بالتضرع والبكاء حتى مطلع الفجر فنالوا فيوضات علوية وفيرة وظفروا بقضاء حوائج كثيرة ومنهم من صفا قلبه وطهرت نفسه فشاهد الإمام عليه السلام(١) جالسا بينهم، قال الراوي: كنت أشاهد الإمام ولي العصر (أرواحنا فداه) جالسا على أريكة وهو في غاية العظمة والجلال وكانت أفواج الملائكة تهبط حاملة صحائف الخلائق وتقدّم إلى الإمام عليه السلام تقارير عن أعمال السنة الماضية لكافة الناس، والإمام عليه السلام يوقّع على تقرير كل فرد(٢) ويصادق عليه بما جعل الله تبارك وتعالى فيه من روح عظيمة مقدسة محيطة علما بما كان ويكون، وكان (أرواحنا فداه) على درجة من الجلال والعظمة بحيث لا

---

(١) وهذا يؤيد الاطروحة التي ذكرها السيد الصدر(قد) في صلاة الجمعة من ان الفرد اذا وصل الى ان يكون خالي من الذنوب فانه يتوفق لرؤية الامام ع، واعتقد ان سببه هو ان الانسان الذي طهر قلبه من الذنوب وكان قلبه سليما(وعلى رواية الامام الصادق عليه السلام القلب السليم الذي يلق ربه وليس فيه احد سواه) فانه حينئذ سيرى ما كان محجوبا عنه بسبب الرين(لعمل السيء) قال تعالى(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) ولما لم يكن هنالك حجابا يمنعه عن رؤية نعيم الله المكنون فلماذا لا يستحق رؤية الامام عليه السلام وهو عليه السلام من اوضح مصاديق النعيم الإلهي (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم)؟. هذا من جهة ومن جهة اخرى ان صاحب القلب السليم قد ضمن الله له إجابة الدعاء قال تعالى(ادعوني استجب لكم) و (أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء) فإذا دعا الله تعالى ان يريه الإمام عليه السلام فسيريه الامام عليه السلام.

(٢) وإذا أردت ان تتذوق مدى السعادة التي ستغمرك عندما يرى الامام صحيفتك بيضاء وتملاءها الأعمال الصالحة والطاعات من صلاة ليل او تفكر او قراءة قرآن او قراءة زيارة عاشوراء او الجامعة او غيرها حاول ان تتصور مدى السعادة التي تغمرك اذا ما رأى استاذك الذي تحبه ويحبك اجاباتك الصحيحة ويوقع عليها بدرجة عالية، اعلم ان هذه السعادة مهما كانت فهي لا تبلغ تلك السعادة التي توصلك الى معرفة الله من خلال معرفة الامام عليه السلام والتقرب منه.

تقوى عين النظر إليه، ولا يقدر على وصفه لسان.

وفي تلك اللحظة تقدم أحد الملائكة بكل أدب و إجلال وسلّم الإمام صحيفتي أنا! أسمي كان مكتوباً في أعلى الصحيفة، كنت أعرف بما أسلفت في أيامي الماضية من أعمال أن صحيفتي سوداء وأني محكوم بالشقاء مع الأشقياء فيما استقبل من أيام، خجلت عندها من أعماقي. ترى لماذا جاء هذا الملك بصحيفتي وأنا هنا، لكنّي من جهة أخرى كنت أحس بأمل يناغيني: سوف أعمل كل جهدي قبل أن يوقع الإمام على تقرير صحيفتي لأتوسل إليه، طالباً الصفح والعفو، ومتضرعاً إلى الله تعالى أن يبدل كل سيئاتي حسنات، وان يكتب اسمي في السعداء.

أو لسنا نكرّر في ليالي الإحياء ما ورد في أعمال ليلة القدر من الدعاء: (اللهم إن كان اسمي مكتوبا عندك في الأشقياء.. فامحُني من الأشقياء وأكتبني في السعداء)؟! عندئذٍ ارتميت على يدي الإمام ورجليه.. أقبّل تارة عباءته، وتارة أخرى أقبّل يده المباركة.. ملتمساً منه تبديل ما في صحيفتي.

فقال الإمام عليه السلام:(حسناً..أفعل على أن تتوب توبة نصوحا ولا تعصي(١). السيئة من كل أحد سيئة ومنك أسوء لأنك عائش بإسمنا وتعدّ نفسك محبا لنا.. ثم أنت من قرابتنا وأسرتنا) (وكان ناقل الواقعة هذا سيداً

(١) إذا كان هذا السيد الذي تشرف وتوفق ان يستحق لقاء الامام عليه السلام يقول له الامام عليه السلام لا تعصي ويطلب منه التوبة فكيف بنا نحن وماذا يقول عنا الإمام عليه السلام.

من الهاشميين) فقلت: والدموع تجري والآهات تتصاعد: نفسي لك الفداء.. حبا وكرامة. تفضّلٌ منك ومنة ... لن أعصي بعد الآن)(١).

أقول: علينا أن نستحضر هذا الموقف مع الإمام عليه السلام في كل أقوالنا وأفعالنا وأفكارنا حتى تكون صحائفنا التي يختم عليها بيضاء لا شائبة فيها تُسرّ الناظرين.

التصدي للشبهات المثارة ضده عليه السلام

ثالثا: الإيمان به واستيعاب قضيته من جميع جوانبها العقائدية والتاريخية والفكرية والاجتماعية والدفاع عنها والتصدي للاشكالات والشبهات المثارة ضده عليه السلام ومن الأولى من شيعته بالدفاع عنه بعد تعذر ذلك عليه شخصيا لاقتضاء خفاء عنوانه على الناس ذلك،وهذه العناوين للجوانب لا اذكرها من باب التفنن في الكلام وانما اذكرها من جهتين:

الأولى: إن التساؤلات والإشكالات التي تثار حول قضية الإمام عليه السلام ذات اوجه متعددة بحسب موضوعاتها فموضوع بعضها عقائدي كالإيمان بان الأرض لا تخلو من حجة فلابد أن يكون الإمام المهدي عليه السلام موجودا في حياة الإمام والده العسكري عليه السلام وموضوع بعضها تاريخي وهكذا.

(١) نقلت باختصار من كتاب الكمالات الروحية عن طريق اللقاء بصاحب الزمان عليه السلام للسيد حسن الابطحي.

وقضية الإمام عليه السلام يكتنفها الكثير من التساؤلات: ما الدليل على اصل الحاجة إلى وجود منقذ للبشرية في آخر الزمان؟ ولماذا هو ابن الحسن العسكري عليه السلام ولماذا ولد في ذلك الزمان فيحتاج إلى هذا العمر الطويل؟ وهل يمكن للإنسان أن يعيش كل هذه المدة؟ولماذا لم يظهر في فترات سابقة عانت شيعته فيها من الظلم والاضطهاد والجور وإذا كان ينتظر أنصارا فقد شهد التاريخ قيام دول شيعية فلماذا لم يستفد منها ويظهر وما هي آليات عمله في تأسيس دولته الواسعة؟وهل يستطيع وهو فرد ان يغير المعمورة خصوصا وان الآلة العسكرية للقوى المستكبرة تتضخم بحيث يبدو من المستحيل تحقيق النصر عليها؟ وما هي إمكانياته بحيث يستطيع أن يقود العالم؟وكيف استطاع إخفاء نفسه هذه المدة الطويلة والأعداء متربصون به؟ وما هي الوظائف والأعمال التي يؤديها في فترة الغيبة ولماذا يختار العراق عاصمة له ومركزا لانطلاقه لنشر العدل والسعادة في العالم؟ وما هي الظروف التي تحيط بالعالم في فترة ظهوره؟ وما هو تكليفنا في زمن الغيبة؟ وهل إن الإيمان بقضية الإمام تؤدي إلى الخمول والكسل وغض النظر عن الظلم والاضطهاد؟ وغيرها كثير، وقد تصدى العلماء والمفكرون للإجابة عنها بكتب مختصرة كـ(بحث حول المهدي) للشهيد السعيد محمد باقر الصدر ومطولة كـ(موسوعة الإمام المهدي) عليه السلام للشهيد السعيد محمد الصدر.

إقناع جميع البشر بقضيته عليه السلام

الثانية: إن قضية الإمام المهدي عالمية يراد إقناع جميع البشر بها لأنها لهم جميعا وذلك يقتضي أن تتعدد لغة الخطاب والحوار بحسب ثقافة الشخص المقابل ومبتنياته الفكرية فالاستدلال لاقناع الشيعي يختلف عمّا لو أريد إقناع المسلم غير الشيعي وهو يختلف عمّا لو أريد إقناع غير المسلم أيضا(١). لذا قد نجيب عن سؤال واحد بعدة اتجاهات وأشكال من الأجوبة:

فمثلا، حينما نريد أن نجيب عن سؤال: لماذا يجب أن يكون الإمام المهدي عليه السلام موجودا عند انتهاء حياة الإمام العسكري ويبقى حيا هذه المدة الطويلة مما يعرض القضية لاشكالات عديدة كإمكانية بقاء الإنسان هذه المدة الطويلة والفائدة من الشخص وهو غائب ونحوها وينتهي السائل إلى أن فكرة الإمام الموعود صحيحة إلا أن صاحبها شخص يولد في آخر الزمان.

---

(١) علماء الكلام يقسمون الشبهات الى اربعة اقسام وكما يلي:

١ـ ممن يتفق معنا في الدين والمذهب(مسلم ـ امامي) ويكفي لرده ان اقول له قال الامام الصادق ع.

٢ ـ ممن يتفق معنا في الدين ويختلف بالمذهب مثل اخواننا ابناء المدرسة السنية وهنا لا استطيع ان اقول له قال الامام الصادق عليه السلام بل آتيه بدليل من الكتاب او من أحاديث الرسول الأكرم(ص).

٣ـ ممن يتفق معنا في المبدا والمعاد فقط ويختلف معنا في الدين مثل المسيحية واليهودية وهنا لابد أن آتيهم بدليل من كتبهم او استخدم الادلة العقلية.

٤ـ ممن لا يتفق معنا في شيء مثل الماديين وغيرهم من الملحدين وهم لا ينفع معهم الا الدليل العقلي.

كيف يمكن ان يبقىعليه السلام حيا كل هذه المدة؟

فالإجابة تكون على عدة مستويات:

الأول: العقائدي، ونستدل فيه على ضرورة بعث الحجج من أنبياء ورسل وأئمة(١) وتواصلهم.

وان الأرض لا تخلو من حجة ظاهرة إما ظاهر أو مستور(٢)فلا يمكن

---

(١) راجع كتاب الحجة من اصول الكافي للكليني الذي انصح (والكلام لسماحة الشيخ اليعقوبي) بقراءته وشرحه للامة ولو مختصرا كما في كتاب (الشافي في شرح اصول الكافي) للمرحوم الشيخ عبد الحسن المظفر وهو مطبوع ومعاصر، ومن تلك الاحتجاجات مناظرة هشام بن الحكم للشامي الذي جاء يناظر الامام الصادقعليه السلام في امامته فطلبعليه السلام من هشام مناظرته بحضرته ومما قال هشام: ياهذا اربك انظر لخلقه ام خلقه لانفسهم، فقال الشامي بل ربي انظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم ماذا؟ قال: اقام لهم حجة ودليلا كيلا يتشتتوا ويختلفوا، يتألفهم ويقيم اودهم ويخبرهم بغرض ربهم، قال رسول اللهصلى الله عليه وآله (أي الحجة والدليل حسب قول الشامي هو الرسولصلى الله عليه وآله فقط). قال هشام: فبعد رسول اللهصلى الله عليه وآله؟ قال: الكتاب والسنة. قال هشام: فهل نفعنا الكتاب والسنة في رفع الخلاف عنا؟ قال الشامي: نعم، قال: فلم اختلفنا انا وانت وصرت الينا من الشام في مخالفتنا اياك؟ قال: فسكت الشامي. فقال ابو عبد اللهعليه السلام للشامي: مالك لا تتكلم؟ قال الشامي: ان قلت لم نختلف كذبت، وان قلت ان الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف ابطلت لانهما يحتملان الوجوه، وان قلت قد اختلفنا وكل واحد منا يدعي الحق فلم ينفعنا اذن الكتاب والسنة) باب ١،حديث ٤.

ويقرب الامام الباقرعليه السلام هذه الحاجة الى الامام بشكل آخر فيقول لابي حمزة: (يا ابا حمزة يخرج احدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا وانت بطرق السماء اجهل منك بطرق الارض فاطلب لنفسك دليلا) باب٧، حديث١٠. فهاتان ثمرتان لوجود الإمامعليه السلام: الهداية والمنع من التشتت والاختلاف.

(٢) ومن تلك الروايات قول الامام الصادقعليه السلام: (ان الارض لاتخلو الا وفيها امام كي ما ان زاد المؤمنين شيئا ردهم وان نقصوا شيئا اتمه لهم) باب ٥، ح١

وعن ابي حمزة قال: قلت لابي عبد اللهعليه السلام: اتبقى الارض بغير امام؟ قال: لو بقيت الارض بغير امام لساخت باب ٥، ح١٠. أي اضمحلت وانتهى وجودها.

ومن خطبة لامير المؤمنينعليه السلام: (وانك لاتخلي ارضك من حجة لك على خلقك ظاهرا ليس بالمطاع او خائف مغمور كي لاتبطل حجتك ولا يضل اوليائك بعد اذ هديتهم بل اين هم؟ اولئك الاقلون عددا، الاعظمون عند الله قدرا) باب ٧٧، ح١٣.

حدوث فصل في توالي الحجج فلا بد أن يكون الإمام المهدي هو امتداد الإمام العسكري عليه السلام ثم نذكر الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام ابتداءاً من رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإمام العسكري عليه السلام التي شخصت الإمام المهدي عليه السلام بأنه ابن الحسن العسكري عليه السلام وأن اسمه محمد وغيرها من التفاصيل التي حفلت بها كتب العامة والخاصة(١) بل إن بعض النصوص تشير الى أن هذه الفكرة مما بشر بها الأنبياء السابقون على الإسلام(٢) واشتراط العصمة في الإمامة ولم تثبت معصومية غير أهل البيت عليهم السلام المنصوصين في حديث الثقلين وآية التطهير(٣).

الثاني:العلمي، فنثبت انه لا استحالة فلسفية ولا طبيعية في هذا الأمر، أما الأول: ونقصد به أن العقل لا يرى استحالة في هذا الأمر كاجتماع النقيضين أو وجود الممكن بلا علة وما نحن فيه ليس مستحيلا قطعاً بل انه ممكن(٤).أما الثاني: فقد دلت البحوث الفيسيولوجية عليه وقد عالج مثل هذا الاتجاه من البحث الشيخ عبد الهادي الفضلي في كتابه (انتظار الإمام) وكتاب(بحث حول المهدي) للشهيد الصدر الأول قدس سره.

---

(١) توجد اشارة الى بعض تلك النصوص ومصادرها في كتاب شكوى العالم ص١٦٣ وما بعدها.

(٢) توجد اشارة الى بعض تلك النصوص ومصادرها في كتاب شكوى العالم ص١٦٣ وما بعدها.

(٣) راجع كتاب المراجعات وتلخيص الشافي للشيخ الطوسي وغيرها.

(٤) فالإمام عليه السلام وباعتباره اعلم بخفايا النفس وكوامن القوة والضعف فيها فانه يستطيع ان يحافظ على اعصابه وتفكيره خصوصا اذا علمنا ان اغلب حالات الموت المبكر هو نتيجة القلق والتفكير والامراض النفسية هذا اضافة الى المحافظة على برنامج متوازن من الغذاء الذي سوف لا يؤثر عليه على المدى البعيد هذا من ناحية علمية اما اذا رجعنا الى الروايات فانها تصرح بان الذنوب وعدم فعل بعض الطاعات هي تقصر العمر وهو عليه السلام معصوما من كل ذلك.

إطلاعه عليه السلام على نقاط ضعف المجتمعات السالفة

الثالث: الاجتماعي، ويكون منتزعا من القوانين والسنن الإلهية التي تحكم المجتمعات والدول وتبيّن أسباب نشوئها ونموها وازدهارها وعوامل اضمحلالها وفنائها وهي مبتنية على استقراء تاريخي طويل لهذه الحضارات والدول خصوصا وان الإمام عليه السلام مدخّر لعملية إصلاح كبرى تغطي العالم كله ومثل هذه الحركة الواسعة الشاملة تتطلب تهيئة نفسية ضخمة للقائد المنتظر فيطلّع من خلال هذه المراقبة الطويلة على تفاهة هذه الحضارات وان بدت متجبرة وعاتية إلا أنها أوهن من بيت العنكبوت(١) عند من يعرف مكامن الضعف فيها وكيفية انهيارها من خلال التجارب المتعددة للدول العظيمة التي آل أمرها إلى الزوال والاضمحلال ومثل هذه القناعة والثقة بالقدرة على التغيير وإزالة هذه العقبات الطاغوتية لا يمكن أن تحصل عند إنسان يولد في زمان تلك الحضارة ويعيش في ظل جبروتها فيكون مهزوما نفسياً أمامها ويمتلكه شعور كامل بالعجز عن التغيير كما كنا نحسّ من قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وننظر إليه ككيان غير قابل للإزالة وإذا به ينهار ويذوب فصارت عندنا قناعة أكثر بالسنن الإلهية المتحكمة بالدول مهما عظم فكيف ستكون قناعة من عاصر عدداً من هذه التجارب ابتداءاً بالدولة العباسية التي يقول ملكها مخاطباً السحابة أينما تمطرين ففي ملكي والِيَّ يعود خراجك ثم

(١) قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:٤١)، وقد حمى الله تعالى نبيه في الغار اثناء الهجرة من طواغيت قريش الذين حاصروه بهذا النسيج الواهي وقد ذكرت(والكلام لسماحة الشيخ) مثالين لتفاهة هذه الغطرسة المادية في محاضرة الغرب والامام المهدي عليه السلام التي سنذكرها في الملاحق باذن الله تعالى.

الدولة العثمانية التي حكمت أجزاء واسعة من آسيا وشمال أفريقيا وشرق أوربا ثم البريطانية والفرنسية والسوفيتية وهكذا كلها انهارت كشريط مصور يطلّع عليه لقطة بعد لقطة، ولنا في قصة أهل الكهف شاهد على ذلك فانهم بعد أن شعروا بالعجز عن التغيير وأخذتهم القوة الظاهرية لدول الباطل وتملكهم اليأس أنامهم الله ثلاثمائة عام ثم بعثهم ليروا نهاية ذلك الكيان وتبدل الحال وأن تلك القوة المتفرعنة عادت من أخبار الماضي وها هو الحق يعلو فيمكن لله تعالى بدلاً من أن ينيم القائد المنتظر هذه المدة الطويلة يبقيه حياً ليراقب هذه التغيرات ويسجل الدروس والعبر.

ويبدو أن هذه سنة متبعة مع القادة المصلحين فها هو رسول الله صلى الله عليه وآله يُحبَّب إليه الخلاء في غار حراء لينعزل عن الأجواء المحيطة به ويراها من الخارج ويدرسها عن كثب ليتهيأ نفسياً ويتعبأ لمواجهتها بحالة أقوى مما لو كان يعيش في داخلها متأثراً بأجوائها.

الإمام عليه السلام اخذ علمه وثقافته من المعصومين عليهم السلام

الرابع: الفكري، فان القائد مضافاً إلى انه يتمتع بصفات نفسية تؤهله للقيادة إلا انه يحتاج إلى أن يتعلم على يد قائد مثله ويتربى على يديه وكلما كانت المسؤولية أعظم كلما أحتجنا إلى مدرسة أكمل يأخذ منها هذا القائد ولما كان الإمام المهدي عليه السلام مُعَّداً لاداء أعظم رسالة وهي إصلاح البشر

جميعا فلا يمكن لأحد أن يعطيه هذا العلم والثقافة الا المعصومون عليهم السلام لانهم مارسوا هذا الدور وكانت لهم القدرة على ذلك امتدادا لقدرة القرآن الكريم ولجدّهم العظيم صلى الله عليه وآله فلا بد أن يكون القائد الموعود ممن تربى في هذه المدرسة غير منفصل عنها و إلا فسنضطر إلى أن نلتزم بان الله تبارك وتعالى يتولى بنفسه إعداد هذا القائد كما تولى تأديب رسول الله صلى الله عليه وآله باعتبار عدم وجود إنسان كامل يربيه ويؤهله لهذا المنصب العظيم، ولكن إذا أمكن تحقيق النتيجة بالطرق الطبيعية فلا مبرر للالتزام بالمعجزات.

ضرورة وجود الإمام عليه السلام حيا في زمن الغيبة

ثم إن القول بعدم وجود القائد المنتظر طول فترة الغيبة سيتسبب في خسران القائد و الأمة معاً الأمور التالية:

١ ـ فرص التكامل الواسعة للإمام نفسه فان الإمام السجاد عليه السلام يقول في دعائه: (وأجعل الحياة زيادة لي في كل خير) فطول العمر للمعصوم عليه السلام يعني المزيد من (تكامل ما بعد العصمة) على تعبير سيدنا الأستاذ الشهيد الصدر في موسوعة الإمام المهدي.

٢ ـ المنافع والبركات والألطاف التي تحظى بها الأمة في غيبته بالمعنى الذي ذكرناه وهو انه يعيش حياة طبيعية وسط الناس كأي إنسان ويؤدي

واجباته تجاه البشر جميعا بشرط أن لا يتنافى مع ضرورة خفاء عنوانه.وقد شبّه الإمام عليه السلام نفعه في هذا الحال بقوله: (واما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبّها عن الأبصار السحاب)(١).

---

(١) ذكر العلماء والمفكرون وجوها لتفسير هذا الحديث نذكر منه باختصار:

١ـ إن تأثير الشمس في العمليات الحياتية للنبات والحيوان والإنسان متحقق حتى لو غيبتها الغيوم وكذلك تأثير الإمام في الكون وقد تقدم بعض هذه التأثيرات كدفع البلاء وقضاء حوائج الناس ومنع الارض ان تسيخ بأهلها والاطلاع على اعمال العباد وغيرها.

٢ـ ان السحاب وان غطت الشمس إلا أنها لا تمنع نورها كليا فيبقى الناس يستفيدون من نورها وكذا الإمام عليه السلام فانه رغم عدم معرفته الا ان الناس يستضيئون بنور هدايته بشكل او بآخر.

٣ـ ان الشمس موجودة في الكون وانما حجبتها الغيوم فاذا استطاع الانسان ان يتجاوز السحاب كما لو ارتفع بالطائرة فانه سيستمتع بالشمس بشكل كامل وهكذا بالنسبة للامام عليه السلام فانما حجب العباد عن رؤيته عليه السلام ذنوبهم فمتى ما سمت نفوسهم وطهرت قلوبهم استطاعوا الارتباط بالامام عليه السلام مباشرة واستفادوا منه بلا حجاب.

٤ـ ان الشمس اذا غابت بالسحاب يتطلع الناس شوقا الى ظهورها خصوصا اذا طال الغياب وكذا الامام عليه السلام يتطلع الناس الى ظهوره ويترقبون يومه.

٥ـ ان الشمس اذا جللها السحاب في مكان ما من الارض فانها يمكن ان تكون مشرقة في مكان آخر وكذا الامام عليه السلام فان قوما ينتفعون به بشكل مباشر في مكان ما وقد ورد في بعض الروايات (وما في ثلاثين من وحشة) فيكون احتجابه عن قوم لسوء عملهم بينما يتنعم بلقائه الآخرون.

أقول ويمكن أن يضاف إلى الوجوه السابقة وجوها جديدة منها:

٦ـ ان الشمس واضحة للجميع ولا يستطيع احد ان ينكرها ويشكك فيها وان غيبتها الغيوم وكذلك الإمام عليه السلام فانه وكما جاء في الكافي عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ:(سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ إِيَّاكُمْ وَالتَّنْوِيهَ أَمَا وَاللَّهِ لَيَغِيبَنَّ إِمَامُكُمْ سِنِيناً مِنْ دَهْرِكُمْ وَلَتُمَحَّصُنَّ حَتَّى يُقَالَ مَاتَ قُتِلَ هَلَكَ بِأَيِّ وَادٍ سَلَكَ وَلَتَدْمَعَنَّ عَلَيْهِ عُيُونُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَتُكْفَؤُنَّ كَمَا تُكْفَأُ السُّفُنُ فِي أَمْوَاجِ الْبَحْرِ فَلَا يَنْجُو إِلَّا مَنْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَهُ وَكَتَبَ فِي قَلْبِهِ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُ بِرُوحٍ مِنْهُ وَلَتُرْفَعَنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ رَايَةً مُشْتَبِهَةً لَا يُدْرَى أَيٌّ مِنْ أَيٍّ قَالَ فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ فَكَيْفَ نَصْنَعُ قَالَ فَنَظَرَ إِلَى شَمْسٍ دَاخِلَةٍ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ تَرَى هَذِهِ الشَّمْسَ قُلْتُ نَعَمْ فَقَالَ وَاللَّهِ لَأَمْرُنَا أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الشَّمْسِ) وهذا لطف كبير من الله تعالى على المؤمنين من جهة ومن جهة اخرى هو لالقاء الحجة على المنكرين لامر الإمام عليه السلام.

٧ـ ان وصف الامام عليه السلام نفسه بالشمس له مداليل كثيرة تتعلق بولايته التكوينية على الخلق فالشمس وان غربت فان نورها لا ينقطع عن الكرة الارضية على مدار الساعة فهو يصل الى باقي البلدان عن طريق القمر الذي يعكس نور الشمس و لعله يمكن تشبيه القمر بـ (الابدال) والاولياء الصالحين الذين يعكسون نور الامام عليه السلام في ارجاء الارض. وكذلك ان الشمس اذا لم تشرق بنورها على مكان ما فان هذا المكان ينجمد وتكون حياته اشبه بالمعدومة وكذلك الذي يحجب نفسه عن الطاف الامام عليه السلام لسوء عمله فانك تستطيع ان تقول عنه ميت الاحياء.

وأضاف عليه السلام: (واني أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء) الاحتجاج: ١/ ٢٨٤وما ورد في رسالته للشيخ المفيد: (إنّا غير مهملين لمراعاتكم ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء و أصطلمكم الأعداء)(١) وما تقدم من انه لولا وجوده لساخت الأرض بأهلها وانه يطلّع على الأعمال فيبارك للمحسنين ويستغفر للمسيئين هذا غير قضاء الحاجات الخاصة والعامة مما حفلت به الكتب التي تحدثت عن قصص الذين التقوا به وحظوا ببركاته(٢) بل إن المظنون إن وراء كل مشروع فيه صلاح الأمة أو سنة اجتماعية حسنة أو عمل فيه إعلاء كلمة الله تعالى ورفعة الإسلام وعزّة المسلمين ودحض الكفار والفاسقين فان المحرك له بشكل أو بآخر هو الإمام عليه السلام حسبما أفاده المصلحون

٣ ـ إن شعور الأمة بوجود قائد لها يعيش معها همومها والآمها ويتفاعل مع آمالها ويشاركها في كل ذلك ويحضر معهم في اجتماعاتهم ومناسباتهم كما روى عبيد بن زرارة سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (يفقد الناس إمامهم، يشهد الموسم، فيراهم ولا يرونه)(٣) يرفع من همتهم في العمل ضد الظلم والانحراف ويدفعهم إلى التأكيد في مراقبة أنفسهم وتهيئتها واعدادها ليحظوا برضا إمامهم ويكونوا من جنده وأنصاره خصوصا مع شعورهم بان

---

(١) ومن كلماته عليه السلام لبعض الذين تشرفوا بلقائه عليه السلام: (نحن نعلم بما يصيب محبينا، شهدائنا احياء وكذلك امواتنا) وعندما قال له عليه السلام احدهم وهو لايعرفه: (ادعوا بتعجيل فرج بقية الله، ان الظلم الذي يقع في العالم قد يكون ادمى قلب مولانا صاحب العصر) فبكى الامام بكاء ا كثيرا (الكمالات الروحية: ٨٦).

(٢) النجم الثاقب للمحدث النوري، وقد لخص السيد الشهيد الصدر الثاني عناوين هذه اللقاءات تحت عنوان (الأغراض والأهداف العامة في أعماله خلال الغيبة). تاريخ الغيبة الكبرى ١١٦ ١٣٠

(٣) الكافي: كتاب الحجة باب ٧٧ ـ ج٦.

زيادة أعمالهم الصالحة وتركيز الإخلاص في النفس يساهم في تعجيل ظهور إمامهم من خلال إيجاد شروط المؤمن وترقبه لظهور إمامه في أي لحظة وندبته(١) إياه ودعوته إلى تعجيل الفرج يجعله اكثر انتباها والتزاما وحذرا وخصوصا مع شرح معنى الانتظار الحقيقي الذي يشير إليه الإمام الباقر عليه السلام قال: (ما ضرَّ من مات منتظراً لأمرنا ألاّ يموت في وسط فسطاط المهدي وعسكره)(٢) ومع بيان تكليف المؤمن تجاه إمامه في عصر الغيبة.

وهذه العملية المركزة من التربية والإعداد تدخل الفرد في(جهاد أكبر) مستمر يساهم في تكثير عدد الملتزمين بالشريعة تفصيليا ولعل هذا أحد وجوه تفسير قول النبي صلى الله عليه وآله: (من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني) ويقول صلى الله عليه وآله: (وسنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي ويدعوهم الى كتاب ربي عز وجل، من أطاعه فقد أطاعني، ومن عصاه فقد عصاني، ومن أنكره فقد أنكرني، ومن كذبه فقد كذبني، ومن صدقه فقد صدقني)(٣) مع الالتفات إلى ما تقدم من أعمال الناس تعرض على الإمام مباشرة وبشكل تفصيلي مما يولد حالة من الحياء والهيبة والمراقبة المكثفة الدقيقة من قبل كل فرد على عمله لكيلا يصل إلى الإمام عليه السلام ما يسوؤه.

٤ إن فكرة الإمام المهدي عليه السلام بما تتضمنه من عمق وتخطيط محكم

---

(١) كما في دعاء الندبة الذي يقرأ في ايام الجمعة والاعياد.

(٢) الكافي: باب ٨٠ ح٦.

(٣) تاريخ الغيبة الكبرى: ٢٨٨، عن اكمال الدين للصدوق ومنتخب الاثر ص٤٩٢.

وتفاصيل دقيقة وما تثيره من اشكالات وتساؤلات واستبعادات ستنضج الفكر البشري لأنها ستدفع المؤمن بها الى الدفاع عنها بكل قوة وتدفع المشككين بها إلى اتباع كل سبيل لدحضها فيولّد هذا الصراع الفكري اجواءا لتكامل أنصار الإمام نفسيا وعقليا وكثرة عدد الممحصين المؤهلين للمساهمة في بناء دولة الإمام عليه السلام.

تهذيب النفس يوفقنا لنصرة الإمام عليه السلام

رابعا: إعداد النفس وتربيتها وتهذيبها لتكون بالمستوى الذي يؤهل الفرد ليكون من أنصار الإمام ومؤيديه والمشاركين في حمل رسالته العالمية وبناء الشخصية الإسلامية كما يريدها أهل البيت عليهم السلام(١) وهذا يتطلب جهدا كبيرا وجهادا اكبر مع محاسبة ومراقبة مستمرة للنفس ومن ثم الانطلاق إلى المجتمع لتربيته على أساس الإسلام وإقامة المشاريع الخيرية والدعوة إليها والحث عليها وبتنفيذ هذه الخطوات يساهم المؤمنون بشكل أكيد في تعجيل ظهور الإمام عليه السلام وإقامة دولته المباركة.

إن مما يؤلم قلب الإمام عليه السلام غفلة شيعته عنه وتقصيرهم في الدفاع عن قضيته وابتعادهم عما يريد لهم من نهج حياة وعدم وجود الهمة الكبيرة عندهم في تهذيب أنفسهم وإصلاح المجتمع وهدايته وتكثير فرص

---

(١) راجع محاضرة: عناصر شخصية المسلم في روايات أهل البيت عليهم السلام وهي الشكوى الثانية.

الطاعات وتقليل فرص المعاصي وليس هذا منهم جزاء إحسان(١) الإمام إليهم ورعايته لهم ودفع الشر عنهم وقضاء حوائجهم.

فهذه الأمور كلها مثار شكاوى الإمامعليه السلام من شيعته مما سنعرضه بحسب ما يتيسر من الفرص بأذن الله تعالى.

تهيئة المجتمع لقبول الدولة العالمية

خامسا: إعداد المجتمع لقبول إقامة دولة الإمامعليه السلام(٢) وتنعم البشرية بها وذلك من خلال بيان عدة أمور:

١ـ حاجة البشرية الى حكومة عالمية واحدة ذات أهداف إنسانية سامية

(١) اشارة الى قوله تعالى(هل جزاء الإحسان إلا الإحسان)

(٢) (بتوعيته مثلا بان هذه الحدود التي بين دولة واخرى لا اساس لها اصلا فقد ذكر المؤرخون أن النبيصلى الله عليه وآله استطاع في زمان حياته الشريفة أن يوحد بين حكومات الجزيرة العربية(مكة، يثرب، والطائف) وما أشبه، ثم اليمنين والبحرين وأخيراً الكويت والخليج.وقد سار المسلمون بعد رسول اللهصلى الله عليه وآله على هذا المسير نفسه، فكانت الدولة الإسلامية في أيام الحاكمين الأولين وفي أيام الإمام أمير المؤمنينعليه السلام حكومة واحدة.وقد كانت تحت نفوذ الإمام أمير المؤمنينعليه السلام أكثر من خمسين دولة من هذه الدول الموجودة على الخارطة اليوم ـ على ما ذكره البعض ـ.إن هذه الحدود الجغرافية الحالية هي حدود مصطنعة كوّنها الجهل الداخلي والاستعمار الخارجي، فأي معنى لأن توضع الحدود أمام المسلم وهو في بلده – الوطن الإسلامي الكبير؟ أليس هذا خلاف قول الله تعالى: (إن هذه أمتكم أمة واحدة).وإزالة الحدود ليس هذا أمراً مستغرباً ففي الصين الشيوعية كانت هناك سابقاً حكومات عديدة، لكنها تمكنت وتحت قوانين وضعية – أن توحد بلادها في دولة واحدة ذات ألف مليون نسمة).السبيل الى انهاض المسلمين للسيد محمد الحسيني الشيرازي(قد).

تذوب فيها الأنانيات والمصالح الشخصية التي هي منشأ الظلم والاستعلاء والاستعباد وتسود فيها المثل العليا وفي الحقيقة فإنها حاجة إنسانية أصيلة عبّر عنها الكثير من الفلاسفة والمفكرين فالفيلسوف اليوناني القديم(زيو) وهو مؤسس مدرسة الرواقيين الذي عاش حوالي سنة ٣٥٠ قبل الميلاد يقول: (على جميع أفراد العالم أن يتبعوا نظاما عالميا واحدا حتى يحصلوا على السعادة)(١) ويتحدث(برتراند رسل) الفيلسوف والرياضي الانكليزي في القرن العشرين في كتابه (الآمال الجديدة) فيقول: (واجبنا نحن المفكرين ان نحفظ آمالنا حية إذا ما عمَّ الظلام والموت والهموم هذا العالم، وعلى الرغم من كل المآسي علينا جميعا أن ننظر إلى المستقبل بروح الأمل، ولربما تكون تلك المآسي بمثابة فرج للناس، وربما يستطيع المجتمع الإنساني بما لديه من تجارب مرّة إن يتعلم شيئا جديدا من كل تلك المآسي إذا لم يُصب بالجنون وفقد عقله، ولكن هناك الكثير الذين يحتفظون بعقولهم السليمة وآمالهم الإيجابية).(٢)

وقد خطت شعوب العالم خطوات عملية بهذا الاتجاه فسعت الى تأسيس كيانات عالمية كالأمم المتحدة ومجلس الأمن والبنك الدولي بعد ان ذاقت ويلات الحربين العالميتين الأولى والثانية وهي وان لم تعمل لتحقيق اهدافها الحقيقية بسبب تسلط المستكبرين عليها إلا أنها تعبر

---

(١) المصلح الغيبي والحكومة العالمية الموحدة: للسيد حسن الابطحي: ص١٦.

(٢) نفس المصدر: ص١٨

عن هذه الحاجة الإنسانية وقد تعمق هذا الاتجاه حيث اصبح الحديث عن(العولمة)(١) الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية هي السائدة اليوم.

٢ـفشل النظم الأرضية التي يبتدعها البشر في توفير السعادة لهم بل على العكس فانها تؤدي الى التقاتل والتنازع والظلم والاستبداد وسحق كرامة الشعوب وقد قلنا في محاضراتنا(٢) ان هذا الفشل يُبيّن على صعيد النظرية والتطبيق وأعني بالنظرية الاسس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تستند اليها تلك الحضارات واعني بالتطبيق ممارستها العملية تجاه الشعوب، ولحماقة هذه القوى المستكبرة التي تمثل الحضارات المادية فانها ترتكب الفضائح بلا مبرر لينكشف زيفها ولتنفر البشرية منها باذن الله تعالى فلا بد

(١) تعرّف العولمة بأنها اتجاه متنام يصبح معه العالم دائرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وثقافية تتلاشى في داخلها الحدود بين الدول (والعولمة الصحيحة هي التي جاء بها الإسلام ودعا اليها القرآن وبلّغ لها الرسول صلى الله عليه وآله واهل البيت عليهم السلام وهذه العولمة وحدها هي التي تستطيع ان تلبي حاجات الانسان المعاصر وتسعد حياته في الدنيا والاخرة. والاسلام رسالة عالمية لم يكن يوما للعرب وحدهم قال تعالى ﴿وما ارسلناك الا رحمة للعالمين﴾ و ﴿وما ارسلناك الا كافة للناس﴾ و ﴿ان هذه امتكم امة واحدة﴾، وان هذا القرآن هو دستور لاهل الأرض ﴿ان هو الا ذكر للعالمين﴾، اما العولمة الغربية فقد ظهرت بعد انهيار الشيوعية وانفجار الاشتراكية في الداخل فخرِجتِ الليبرالية الجديدة باسم العولمة لتغزو الدول وتدعوا الى حرية انتقال رأس المال والغاء الحواجز الكمركَية وذلك تحصيلا للربح الاكثر ولو كان على حساب الاخرين ففي ظل العولمة الغربية هناك فقط ٢٠٪ من السكان الذين يمكنهم العمل والحصول على الدخل والعيش في رغد وسلام اما نسبة ٨٠٪ فتمثل في نظرتهم السكان الفائض عن الحاجة،ونلاحظ ان ٣٥٨ ملياردیراً في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٢،٥ مليار من سكان الارض أي ما يزيد على نصف سكان العالم،وان هناك ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٤٪ من التجارة العالمية ويمتلك سكانها ٨٥٪ من مجموع مدخرات العالم) مستفاد من فقه العولمة للسيد الشيرازي قدس سره.

(٢) راجع كتاب (نحن والغرب).

من التنبيه الى مكامن الضعف فيها وخلال كتاباتي لهذه الكلمات(١) فان وسائل الاعلام لا زالت تعّج بفضيحة تعذيب القوات الأمريكية والبريطانية للسجناء العراقيين والتنكيل بهم والممارسات اللاأخلاقية معهم وقتلهم والتمثيل بجثثهم، وبما تفعله القوات الصهيونية في مدينة رفح وقطاع غزة من تدمير للمنازل وتشريد الأهالي وقتل الأبرياء حتى الذين خرجوا في مظاهرة سلمية للمطالبة بابسط حقوق الانسان من غذاء ودواء الذي منعته اسرائيل عنهم ضربتهم الطائرات فسقط الشهداء والجرحى وأضف إليهم الجرائم الروسية في الشيشان وافغانستان وضربهم بالغازات المميتة للموجودين في مسرح موسكو لان عددا من المعارضين ارتهنوهم لمطالب سياسية.

فمن وظائف الأمة تجاه الإمام عليه السلام تعميق حالة الرفض لهذه القوى المستكبرة والتذكير المستمر بجرائمها وحاجة الشعوب للتخلص منها حتى تكون في قمة الاستعداد لقبول دعوة الامام والالتحاق به ونصرته.

٣ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢) وإحياء هذه الفريضة الإلهية

---

(١) بتاريخ ١٩ / ٥/ ٢٠٠٤ م.

(٢) إذا تأملت جيدا في قوله تعالى ﴿وَ الْمُؤْمِنُونَ والْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ ويُطِيعُونَ اللَّهَ ورَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ تجد ان الله تعالى قد قدم هذه الفريضة على فرائض مهمة ولها ثقلها في ميزان الأعمال وما هذا إلا إشعارٌ منه تعالى بأهمية هذه الوظيفة والا حقيقة أقول ان الفرد ليشعر وكأنه منافق حين يترك هذه الوظيفة فكيف بعد هذا يصلي بتوجه حقيقي لله تعالى او يزكي او يطيع الله اذا لم يطيعه باهم فرائضه هذا من جهة ومن جهة اخرى صيغة الجمع التي جاء بها القرآن تشعر بان هذه الفريضة تحتاج الى العمل المجموعي المنظم والا ففي الكثير من الاحيان يستحيل النهي عن المنكر بشكل منفرد، وفي نهاية الآية ينبهنا الله تعالى الى امر خطير وهو انكم اذا اردتم نزول رحمتي وبركاتي فعليكم باداء هذه الفرائض.

العظيمة التي بها تحفظ السنن وتأمن السُبل وتحلّ المكاسب وغيرها من الثمرات(١) ولابد من مراعاة مراتب هذا الواجب وارى ان فرصة الحوار اليوم اعظم من كل الوسائل الاخرى وقادرة على التأثير في الآخرين وفي الحقيقة فان ترك هذه الفريضة واهمالها واللامبالاة التي يتصرف بها الناس من اعظم معوقات ظهور الإمام عليه السلام، يروي أحد العلماء وهو السيد توكلي انه في ايام عتو رضا خان(٢) وتمرده على الله تبارك وتعالى وامره بالسفور الاجباري وافساد الثقافة والتعليم ان الامام عليه السلام اقترب مني وقال: (اثنتان قصمتا ظهري، الأولى: وضع المدارس والثقافة في هذا البلد والثانية: سفور النساء، ثم قال عليه السلام: قلب امي الزهراء عليها السلام اشد انكسارا من انكسار ضلعها ثم بكى وبكيت انا من بكائه)(٣).

فإذا أردنا إدخال السرور على قلب الإمام عليه السلام والتمهيد لظهوره فلا بد من الوقوف بهمّة عالية وحزم لا يلين ازاء مظاهر الفساد والانحراف في الفكر والثقافة والعقائد والسلوك الفردي والاجتماعي.

٤ـ التعريف بعظمة الإسلام في أخلاقه وعقائده ونظام حياته وانه السبيل الوحيد لإسعاد البشرية لأنه من صنع الله تبارك وتعالى وهذا ما

---

(١) راجع محاضرة (الأسس العامة للفقه الاجتماعي) في كتاب(نحن والغرب) و(من وحي المناسبات) وغيرها وقد اشرت كثيرا الى اهمية هذه الفريضة (الكلام لسماحة الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله).

(٢) حكم إيران حتى عام ١٩٤١ وحاول انهاج مسلك (اتاتورك) في تركيا لعلمنة الدولة وهو والد شاه ايران (محمد رضا) الذي أطاحت به الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩.

(٣) الكمالات الروحية للسيد حسن الابطحي: ٢٤٦.

يحتاج الى كتب وبحوث واسعة ينبغي ان تكتب بلغات مناسبة لمسلمين غير ملتزمين او غير مسلمين اصلا(١). ان زيادة هذا الوعي والفهم للاسلام سيحببه الى النفوس وبالمقابل يُوجد نفورا من تصرفات الحضارة المادية ونتائجها وويلاتها مما ينمي الشعور بالحاجة للعودة الى الله تبارك وتعالى ولدينه العظيم وقد تعالت مثل هذه الصيحات الآن في الغرب بعد ان التفتوا الى الخطر الداهم الذي يهدد حضارتهم بالفناء بسبب ابتعادهم عن التعاليم الالهية فيكون من واجبنا تعميق هذا الوعي وبيان السنن الالهية في الامم والحضارات والتي ما فتىء القرآن الكريم يكرر النموذج تلو النموذج لتصحو البشرية من غفلتها

أعمال تقرب من الإمام عليه السلام وتزيد محبته(٢)

١ـ الانقطاع الى الله تبارك وتعالى في كل الحالات كحالة المريض المضطر ومن تنقطع به الاسباب **﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ**

(١) لاحظ كمثال محاضرة (الاسلام دين السلام والسعادة) الذي هو من سلسلة خطاب المرحلة.

(٢) استفيدت من قصص الذين تشرفوا بلقاء الامام عليه السلام كما مدون في كتاب (البحار للمجلسي) وكتاب (النجم الثاقب) للمحدث ميرزا حسين النوري و(الكمالات الروحية) للسيد حسن الابطحي، وقد نقل الشيخ القمي في مفاتيح الجنان والسيد الشهيد الصدر في موسوعة الامام المهدي عددا منها وبعض الوصايا، وهذه الوصايا اخذت من مصادر متفرقة.

الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾(١) (العنكبوت:٦٥) لكن المفروض عدم الاقتصار على حالات الاضطرار(٢).

٢ـ العمل بما يتعلم خالصا لوجه الله تعالى (من عمل بما علمه الله علم ما لم يعلم)(٣).

٣ـ الاعتقاد بان الامام عليه السلام يظهر رحمة للناس وشفقة عليهم كجده المصطفى صلى الله عليه وآله الذي ارسل رحمة للعالمين لذا فهو سينشر دعوته بالاقناع والحوار لا بالسيف خصوصا وان شعوب العالم ستكون واعية ومثقفة ومدركة لظلم المستكبرين ومرتاحة لدعوة الامام عليه السلام ومن يعتقد انه(لا يبقي ولا يذر) فهو واهم بل سيتورط في تنفير الناس من الإمام عليه السلام ونشر بغضه في القلوب ـ والعياذ بالله ـ وانما يستعمل السيف في الضرورات

---

(١) انه سبحانه وتعالى يعرض مستغربا مثل هذا النموذج الذي لا يعرف الله الا في اوقات الضيق والشدة كانقطاع السبل في البحر الهائج بل لابد ان يكون الانسان في كل حالاته ذاكرا لله تعالى مستجيرا به طالبا منه التوفيق والتثبيت على الايمان والزيادة من عمل الخير والتاييد، ولا يقصد بالشرك في هذه الآية عبادة الاصنام ونحوها لانه خلاف دعوتهم لله مخلصين وانما يريد الشرك الخفي أي الاعراض عن الله والالتجاء الى الاسباب من دونه.

(٢) من أسماء الإمام المهدي عجل الله فرجه هو المضطر فقد ورد في دعاء الندبة (أين المضطر الذي يجاب إذا دعا) فكلما اقترب الإنسان من هذه الصفة يكون اقرب للامام عليه السلام لانه سيتشبه بصفات الامام ع، وصفة المضطر من المراتب العليا التي يصل اليها الانسان حيث يدعو باختياره وفي غير الشدة بتوجه حقيقي الى الله تعالى ويكون منقطعا عن كل ما سوى الله تعالى كالمضطر الذي في عرض البحر ولا يعرف السباحة قال تعالى ﴿امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء﴾.

(٣) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ(الْعِلْمُ مَقْرُونٌ إِلَى الْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ وَمَنْ عَمِلَ عَلِمَ وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلا ارْتَحَلَ عَنْهُ)الكافي.

القصوى(١)وقد علمنا ألطافه ورعايته بالبشر وهو غائب لا يُعرف فكيف ستكون رعايته وهو حاضر وظاهر ثم انه واجداده مظهر الرحمة الالهية وسائر الصفات الحسنى الا ما اختص الله تبارك وتعالى به وهو الغني وقد جربنا وجرب معنا الكثيرون ان ندبه عليه السلام (يا أبا صالح المهدي أدركني) تيسر الكثير من الامور وتقضي الحوائج اليسيرة والعسيرة.

٤ـ تكرار الآية الشريفة ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾(٢) بصوت واحد للمؤمنين في المساجد واماكن التجمعات(٣).

٥ ـ ان الرحمة بالناس والصفح عنهم والإحسان إليهم من وسائل الاقتراب الروحي منه عليه السلام وعلى الذين يعنيهم امر تزكية النفس ان يتجنبوا الاضرار بالناس والبغض لهم والاّ يحملوا في صدورهم ضغينة ولا غلاً ولا رغبة في الانتقام (ارحم تُرحم) وان الغل والثأر للنفس من الحجب واذا بقي في روح الانسان ولو حجاب واحد فكأن صاحبه يعاني من عشرات الحجب

---

(١) (شعار الإسلام هو السلام، ولذا إذا التقى المسلم بآخر قال له: (السلام عليكم) ويجيب(عليكم السلام)، ولذا يقول الله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾.وليست الحرب والمقاطعة وأساليب العنف إلا وسائل اضطرارية شاذة، على خلاف الأصول الأولية الإسلامية، حالها حال الاضطرار لأكل الميتة وما أشبه، فالأصل هو السلام، ولذا تقدر الحرب بقدرها في الإسلام، ومع ذلك يقول تعالى: (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم). ثم في مكان آخر يقول: (وأن تعفوا أقرب للتقوى). يقول الشاعر عن لسانهم عليهم السلام:

ملكنا فكان العفو منا سـجية   ولما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفـاوت بيـننا   وكل إناء بالذي فيـه ينضح.

(٢)(النمل:من الاية ٦٢)

(٣) قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام (مَا مِنْ رَهْطٍ أَرْبَعِينَ رَجُلًا اجْتَمَعُوا فَدَعَوُا اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ فِي أَمْرٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَرْبَعِينَ فَأَرْبَعَةٌ يَدْعُونَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ عَشْرَ مَرَّاتٍ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونُوا أَرْبَعَةً فَوَاحِدٌ يَدْعُو اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً فَيَسْتَجِيبُ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ لَهُ) الكافي.

ولو كان غشاوة رقيقة كالكلّة من القماش الرقيق التي تتخذ للنوم فانها مع رقتها تحجب من بداخلها عن رؤية الحقائق حوله.

وجرّب بأن تعزم في نفسك على ان لا تؤذي احدا وتحاول إدخال السرور على خمسة مثلا يوميا فان الامامعليه السلام لا يؤذي احدا ويحب ادخال السرور على الاخرين واعلم ان تطهير القلب شرط لقائهعليه السلام فلا يتحقق ذلك لمن هو حقود ويغتاب ويفتري ويحقّر الآخرين فان الامام هو خليفة الله تبارك وتعالى المتصف بصفاته ونحن نخاطبه عظمت آلاءه: (يا من أظهر الجميل وستر القبيح) فلا يكشف عيوب الناس ويصفح عن أخطائهم وينشر محامد الآخرين(١).

٦ـ حب الله تعالى لكماله او لعظيم نعمه ونحوها وحب الامامعليه السلام لانه واسطة الفيض الالهي وقد ورد في الزيارة: (من احبكم فقد احب الله) وفي الحديث النبوي الشريف في حق فاطمة الزهراءعليها السلام: (من احبها فقد احبني ومن احبني فقد احب الله) والعمل بمقتضيات الحب من الطاعة وعدم صدور ما ينافيه وقد قيل: (ان المحب لمن احب مطيع) قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾ (البقرة: من الآية١٦٥) بحيث يخاف من المعصية لئلا يسقط في عين محبوبه(٢).

---

(١) فاذا اردت الفوز بلقاء الامامعليه السلاموالقرب من الله تعالى فتخلق باخلاق الله من خلال التركيز على هذه الصفات في القرآن الكريم فقد جاء ما مضمونه (ان الله قد تجلى لعباده بكتابه) وكان الرسول الاعظمصلى الله عليه وآله خلقه القرآن.

(٢) عن أبي الحسن الرضاعليه السلامقال: (شيعتنا المسلمون لأمرنا الآخذون بقولنا المخالفون لأعدائنا فمن لم يكن كذلك فليس منا) صفات الشيعة.

٧ـ ترك الطعام الذي فيه شبهة كعدم التزام صاحبه بدفع الحقوق الشرعية فضلاً عن الطعام المحرم(١).

٨ـ الاستفادة من وصايا المعصومين عليهم السلام وكلماتهم كوصايا النبي صلى الله عليه وآله لأبى ذر(٢) وغيرها مما هو مدون في الكتب.

٩ـ قراءة القرآن ما استطعت(راجع كتاب شكوى القرآن)(٣).

١٠ـ الإحسان إلى الوالدين واذا كانا ميتين فوصولهما بالخيرات

(١) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام(أن النبي صلى الله عليه وآله سأل ربه سبحانه ليلة المعراج فقال يا رب أي الأعمال أفضل فقال الله تعالى ليس شيء أفضل عندي من التوكل علي و الرضا بما قسمت يا محمد وجبت محبتي للمتحابين في ...أولئك الذين نظروا إلى المخلوقين بنظري إليهم و لم يرفعوا الحوائج إلى الخلق بطونهم خفيفة من أكل الحرام نعيمهم في الدنيا ذكري و محبتي و رضائي عنهم يا أحمد إن أحببت أن تكون أورع الناس فازهد في الدنيا و ارغب في الآخرة فقال إلهي كيف أزهد في الدنيا فقال خذ من الدنيا حفنا من الطعام و الشراب و اللباس و لا تدخر لغد و دم على ذكري ... فقال يا رب دلني على عمل أتقرب به إليك قال اجعل ليلك نهارا و نهارك ليلا قال يا رب كيف ذلك قال اجعل نومك صلاة و طعامك الجوع).

(٢) راجع الملحق.

(٣) خصوصا في ظرفنا الحالي فان الفتن اصبحت كقطع الليل المظلم لا يستطيع اجتيازها الا من كان عنده نور يمشي به في الناس قال تعالى ﴿أَوَمَنْ كانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْناهُ وجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُماتِ لَيْسَ بِخارِجٍ مِنْها كَذلِكَ زُيِّنَ لِلْكافِرِينَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وقال تعالى ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلى وَجْهِهِ أَهْدى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وقد ارشدنا الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الى العلاج النافع والنور الذي لا ينطفيء بقوله صلى الله عليه وآله (فَإِذَا الْتَبَسَتْ عَلَيْكُمُ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ ومَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ومَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ ...)(الكافي) وقد جرب البعض ممن وجد نفسه مقصرا بقراءة القرآن أن عاهد الله تعالى على قراءة جزء واحد في اليوم ولمدة أسبوع مثلا لإلزام نفسه بذلك(وإلا فسيكون مرغما على دفع الكفارة). ويمكنك استخدام هذه الطريقة أو غيرها عندما تمر بك ظروف ومشاغل جديدة الى ان تحصل عندك حالة من الاستقرار والتعود على البرنامج الجديد.

والمبرّات(١).

١١ـ زيارة مراقد الأئمة الأطهار ولو من بعد وبزيارات مختصرة وكذا أولادهم الصلحاء(٢).

١٢ـ لا تدع صلاة الليل وخذها باهتمام كبير ونُقل عنه عليه السلام قوله: يا حسرة على أهل العلم الذين يرون أنفسهم مرتبطين بنا ثم لا يواظبون على صلاة الليل(٣)، وفي قصة السيد الرشتي في مفاتيح الجنان فان الإمام عليه السلام مستاء من إهمال هذه النافلة المباركة.

١٣ـ لا تدع قراءة خطبة الصديقة فاطمة الزهراء في اصحاب

---

(١) (قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَا يَمْنَعُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ أَنْ يَبَرَّ وَالِدَيْهِ حَيَّيْنِ ومَيِّتَيْنِ يُصَلِّيَ عَنْهُمَا ويَتَصَدَّقَ عَنْهُمَا ويَحُجَّ عَنْهُمَا ويَصُومَ عَنْهُمَا فَيَكُونَ الَّذِي صَنَعَ لَهُمَا ولَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَيَزِيدَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بِبِرِّهِ وصِلَتِه خَيْراً كَثِيراً)، وعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِنَّ أَبِي قَدْ كَبِرَ جِدّاً وضَعُفَ فَنَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ فَقَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ فَافْعَلْ ولَقِّمْهُ بِيَدِكَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَكَ غَداً) الكافي.

(٢) ان السلف الصالح كان لا يترك قراءة زيارة عاشوراء اوالزيارة الجامعة يوميا اما نحن اليوم فقد ابتعدنا كثيرا عن ما كا ن عليه السلف الصالح وهذا ما جاء واضحا في رسالة الامام عليه السلام للشيخ المفيد(فأنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يُعزبُ عنا شيءٌ من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً) وتوجد قصة في مفاتيح الجنان كذلك عن السيد الرشتي الذي التقى بالامام عليه السلام ان الامام عليه السلام اكد ثلاث مرات على ثلاثة اشياء وهي(صلاة النافلة وزيارة الجامعة الكبيرة وزيارة عاشوراء).

(٣) هناك قصة عن احد طلبة العلم انه جاء الى الشيخ الانصاري قدس سره وقال بانه لا يصلي الليل لان صلاة الليل مستحبة وطلب العلم واجب فبدلا من ان اصلي الليل اقرأ دروسي فسأله الشيخ قدس سره بذكاء هل تشرب النركيلة (او غيرها) قال الطالب بلى فقال له الشيخ قدس سره بدلا من ان تشرب الواحدة او الاثنتين(التي تحتاج الى وقت اكثر من صلاة الليل) صلي الليل.اقول لابد ان لا يخدعنا الشيطان باعذار واهية ولنلتفت كم نضيع من اوقاتنا يوميا بالامور التي لا تقارن اهميتها بصلاة الليل ولنعاهد الله تعالى على عدم تركها لان مسؤوليتنا اخطر مما نتصور وتحتاج الى زاد قال تعالى ﴿قم الليل إلا قليلا ....إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا ان لك في النهار سبحا طويلا فاذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا﴾ واذا لم تتوفق بادائها في وقتها فلا تترك قضائها نهارا فان له فضلاً عظيماً أيضا.

ابيهاﷺ(١) ولا الخطبة الشقشقية لأمير المؤمنينعليه السلام(٢) ولا خطبة العقيلة زينبعليها السلام في مجلس يزيد(لع).

١٤ لا تترك تسبيح الزهراءعليها السلام خصوصا بعد الفرائض مباشرة قبل ان تثني رجليك من الصلاة(٣).

١٥ المواظبة على زيارة الإمام الحسينعليه السلام خصوصا في ليالي الجمع والأزمنة الشريفة من القرب او من البعد(٤).

---

(١) تجدها في الجزء الاول من كتاب الاحتجاج، وينقل شرف الدين صاحب المراجعات: ان السلف الصالح كانوا يحفظونها ابنائهم كما يحفظونهم القرآن الكريم.

(٢) الخطبة الثالثة في نهج البلاغة.

(٣) (عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِعليه السلام قَالَ تَسْبِيحُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِعليها السلام مِنَ الذِّكْرِ الْكَثِيرِ الَّذِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً)، وقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِعليه السلام)مَنْ سَبَّحَ تَسْبِيحَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِعليها السلام قَبْلَ أَنْ يَثْنِيَ رِجْلَيْهِ مِنْ صَلَاةِ الْفَرِيضَةِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلْيَبْدَأْ بِالتَّكْبِيرِ)، وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ(مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ التَّحْمِيدِ أَفْضَلَ مِنْ تَسْبِيحِ فَاطِمَةَعليها السلام وَ لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنْهُ لَنَحَلَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ فَاطِمَةَعليها السلام) الروايات في الكافي ج٢ وج٣.

(٤) جاء في كتاب الوسائل . والذي هو رسالة عملية للحر العاملي . وفي بَابُ تَأَكُّدِ اسْتِحْبَابِ زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّعليه السلام وَوُجُوبِهَا كِفَايَةً.

عَنْ هَارُونَ بْنِ خَارِجَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِعليه السلام يَقُولُ(وَكَّلَ اللَّهُ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِعليه السلام أَرْبَعَةَ آلَافِ مَلَكٍ شُعْثٍ غُبْرٍ يَبْكُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زَارَهُ عَارِفاً بِحَقِّهِ شَيَّعُوهُ حَتَّى يُبْلِغُوهُ مَأْمَنَهُ وَإِنْ مَرِضَ عَادُوهُ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً وَإِنْ مَاتَ شَهِدُوا جِنَازَتَهُ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)، وعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِعليه السلام قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ(مَنْ أَتَى الْحُسَيْنَعليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ)، وعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ (مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِعليه السلام بِشَطِّ الْفُرَاتِ كَانَ كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ)، و عَنْ أَبِي جَعْفَرٍعليه السلام قَالَ (مُرُوا شِيعَتَنَا بِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِعليه السلام فَإِنَّ إِتْيَانَهُ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ وَيَمُدُّ فِي الْعُمُرِ وَيَدْفَعُ مَدَافِعَ السَّوْءِ وَإِتْيَانُهُ مُفْتَرَضٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ يُقِرُّ لَهُ بِالْإِمَامَةِ مِنَ اللَّهِ)،وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِعليه السلام قَالَ(مَوْضِعُ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِعليه السلام مُنْذُ يَوْمَ دُفِنَ فِيهِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ)، وقَالَعليه السلام (مَنْ زَارَ قَبْرَ الْحُسَيْنِعليه السلام جَعَلَ ذُنُوبَهُ جِسْراً عَلَى بَابِ دَارِهِ ثُمَّ عَبَرَهَا كَمَا يُخَلِّفُ أَحَدُكُمُ الْجِسْرَ وَرَاءَهُ إِذَا عَبَرَهُ)، وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِعليه السلام قَالَ(مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِي جِوَارِ نَبِيِّهِ وَجِوَارِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ فَلَا يَدَعْ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِعليه السلام)، وقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِعليه السلام (لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ حَجَّ دَهْرَهُ ثُمَّ لَمْ يَزُرِ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّعليه السلام لَكَانَ تَارِكاً حَقّاً مِنْ حُقُوقِ رَسُولِ اللَّهِﷺ لِأَنَّ حَقَّ الْحُسَيْنِ فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَاجِبَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)، وعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِعليه السلام قَالَ قُلْتُ لَهُعليه السلام مَا تَقُولُ فِيمَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ الْحُسَيْنِ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قَالَعليه السلام (إِنَّهُ قَدْ عَقَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ وَعَقَّنَا وَاسْتَخَفَّ بِأَمْرٍ هُوَ لَهُ).

١٦ شكر المخلوقين على احسانهم فان من لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق ذلك لأنه يفتقد(روحية الشكر) في داخله وان أولياء الله تعالى يشكرون من احسن إليهم ولو كانوا كفارا.

١٧ـ المواظبة على زيارة الجامعة الكبيرة فانها اصح الروايات متنا وسندا وقد قرأت على الإمام عليه السلام فأقرَّ مضامينها وامتعض من إهمال شيعته لها.(١).

١٨ التوسل اليه عليه السلام بجدته الزهراء عليها السلام فانه عليه السلام يحضر ويلبّي الحاجة وللأئمة عليهم السلام تعلق عظيم بها عليها السلام يقول أحدهم عليه السلام: (اذا كانت لنا الى الله حاجة توسلّنا بأمنا الزهراء) وكذا التوسل بأمه المباشرة نرجس وهي مجربة.(٢)

١٩ كسر هوى النفس وعدم إعطائها ما تشتهيها فانه عليه السلام قال لأحد أساتذة الحوزة كان يحب رؤيته كما يحصل لتلميذه الشيخ حسن: (متى ما كسرت نفسك كما فعل الشيخ حسن وتجاوزتها مثله سالكا في طريق الدين فإننا نأتي لرؤيتك)(٣).

---

(١) راجع قصة السيد الرشتي في اواخر مفاتيح الجنان.

(٢) للتعرف على جلالة هذه المرأة وعلو شانها، راجع كتاب نرجس للسيد مرتضى الشيرازي.

(٣) الكمالات الروحية:١٠٠، وانقلها مختصرة لانها نافعة لطلبة الحوزة العلمية وكل من يتصدى لموقع المسؤولية في المجتمع فقد كان في احدى القرى رجل عالم صالح يقيم في أهلها صلاة الجماعة ويجيب اسئلتهم الدينية ويقبض حقوقهم الشرعية ولما توفي الحَّ أبناء القرية على ولده واسمه حسن ليأخذ موقعه ولم يكن عنده ما يؤهله لذلك الا انه استسلم لاغراءات الموقع وتصدى لوظيفة أبيه وبعد سنين طويلة نظر الى المرآة ورأى الشيب يغزوا وجهه فالتفت الى تقصيره وجرأته على الله وعظيم جنايته فلم يجد حلا غير الصعود الى المنبر واعلام الناس بالامر تحقيرا لنفسه واعترافا بخطأه وفعل ذلك فأهانه الناس وضربوه =

٢٠ محاسبة النفس ومراقبتها، فالمراقبة هي السعي الى ترك المحرمات والابتعاد عن المكروهات واداء الواجبات في أول وقتها وعلى الوجه السليم وهذا يتطلب دراسة في الفقه والعقائد والمحاسبة هي إيقاف النفس كل ليلة امام محكمة الضمير لمحاسبتها على السلبيات والايجابيات بدقة والاستغفار من كل عمل سيئ وتلافيه قبل النوم والشكر على ما وفق الله تعالى من عمل الخير.

وإنما يكون كشف الحجب عن النفس بترك المعاصي وفعل الواجبات ومن طرق ذلك معالجة الأمراض المعنوية و الروحية التي هي سبب الوقوع في المعاصي التي توجب الهلاك الأبدي وهي أهم من الأمراض الجسدية التي غايتها فقدان الحياة الدنيوية.

٢١ ـ الاعتكاف (بإخلاص وطهارة من حب الدنيا بكل تفاصيلها من رياء وحب السمعة والجاه) في المسجد الجامع للمدينة ثلاثة ايام خصوصا في العشر الأواخر من شهر رمضان في مسجد الكوفة والأيام البيض من رجب ويُنقل ان الحوزة العلمية في قم المقدسة ايام مرجعية السيد البروجردي(١) كانت تعطل الدراسة في هذه الأيام لأجل هذه الشعيرة المباركة ويقصد المراجع الطلبة في مساجد الاعتكاف لإمدادهم مادياً ومعنوياً.

= وغادر المدينة متوسلا بالامامعليه السلام ان يهديه وفي الصحراء وجهه الامامعليه السلام الى طلب العلوم الدينية في الحوزة العلمية عند استاذ معين وكان الشيخ حسن هذا يخبر استاذه ببعض المغيبات التي تصدق في زمانها فسأله أستاذه فاخبره ان هذا من الإمامعليه السلام، فطلب منه أن يريه الإمامعليه السلام وبعد ايام تغيب عن الدرس ثم عاد التلميذ إلى أستاذه ليخبره بجواب الإمام المذكور هنا ويأمره بالامتناع عن الاستمرار بالدرس.

(١) توفي عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠.

٢٢ـ إقامة مآتم أهل البيت عليهم السلام على طول السنة وعدم الاقتصار على المناسبات والتأكيد على مصيبة الصديقة الطاهرة والإمام الحسين عليه السلام والطفل الرضيع وعلي الأكبر ووداع العيال وسبي الهاشميات مواساة له عليه السلام وقد ورد في زيارة الناحية المقدسة عنه عليه السلام:(لأبكين عليك صباحاً ومساءاً) والمشاركة بإخلاص من غير رياء او طلباً للسمعة في الشعائر الحسينية والتأكيد على (ركضة طويريج) يوم العاشر من محرم فإنها من اكثر الشعائر إخلاصا وقد كان العلماء والفضلاء يشاركون فيها ومنهم والدي المرحوم الشيخ موسى اليعقوبي وكان يحدثنا عن أسماء علماء كانوا يشاركون فيها.

٢٣ـ قراءة أدعية التوسل والالتجاء الى الله وبيان الحاجة اليه والاعتذار منه بتأمل معانيها(١) والتجمع في المساجد ونحوها لقراءة دعاء كميل في ليالي الجمع أو دعاء الندبة يوم الجمعة(٢).

٢٤ـ من الخير للإنسان ألا ينظر الى مصاعب الحياة ومصائب الزمان

---

(١) راجع مفاتيح الجنان والصحيفة السجادية.

(٢) وينبغي التركيز على العبارات التي تنسجم والمحنة التي نعيشها كقوله (أين المعد لقطع دابر الظلمة، أين المنتظر لاقامة الأمت والعوج أين المرتجى لازالة الجور والعدوان) وقوله(أين محيي معالم الدين وأهله أين قاصم شوكة المعتدين، أين هادم ابنية الشرك والنفاق، ... اين معز الأولياء ومذل الأعداء، أين جامع الكلم على التقوى أين باب الله الذي منه يؤتى) وقوله(هل إليك يابن أحمد سبيل فتلقى هل يتصل يومنا منك بغده فنحظى، متى نرد مناهلك الروية فنروى متى ننتقع من عذب مائك فقد طال الصدى، متى نغاديك ونراوحك فتقر عيوننا، متى ترانا ونراك، وقد نشرت لواء النصر ترى أترانا نحف بك وأنت تؤم الملأ، وقد ملأت الأرض عدلا، وأذقت أعداءك هوانا وعقابا) وقوله(فأغث يا غياث المستغيثين، عبيدك المبتلى، وأره سيده يا شديد القوى، وأزل عنه به الأسى والجوى، وبرد غليله يا من على العرش استوى، ومن إليه الرجعى والمنتهى. اللهم ونحن عبيدك التائقون إلى وليك المذكر بك وبنبيك).

بأذى ومن غير أرتياح، ذلك ان ما يرد على المرء من بلاءات اما ان يكون تكفيرا عن ذنوبه ومعاصيه او انها نهج لتزكيته وتهذيبه وكلها خير.

٢٥ـ كثرة السجود شكرا لله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى او طلبا لإجابة الدعاء فان العبد اقرب ما يكون الى الله وهو ساجد ويقول سبعا:(يا ارحم الراحمين) ويدعو او طلباً للمغفرة ويكرر قول النبي يونس عليه السلام ﴿**لا اله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين**﴾(الانبياء:من الاية ٨٧) فان جوابها عند الله تبارك وتعالى: ﴿**فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين**﴾ (الانبياء:من الاية ٨٨) وقال تعالى: ﴿**فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون**﴾ (الصافات:١٤٣ـ١٤٤).

٢٦ـ المواظبة على زيارة الامام الحجة عليه السلام بالزيارة المعروفة بـ (آل ياسين)(١) والدعاء بعدها فإنها مما يواظب عليها الصالحون.

(اللهم صل على وليك وابن أوليائك الذين فرضت طاعتهم واوجبت حقهم وأذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرا، اللهم انتصر به لدينك، وانصر به أوليائك وأولياءه وشيعته وأنصاره واجعلنا منهم، اللهم أعذه من شر كل باغ وطاغ ومن شر جميع خلقك واحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله واحرسه وامنعه ان يوصل اليه بسوء واحفظ فيه رسولك وآل رسولك واظهر به العدل وايده بالنصر وانصر ناصريه واخذل خاذليه

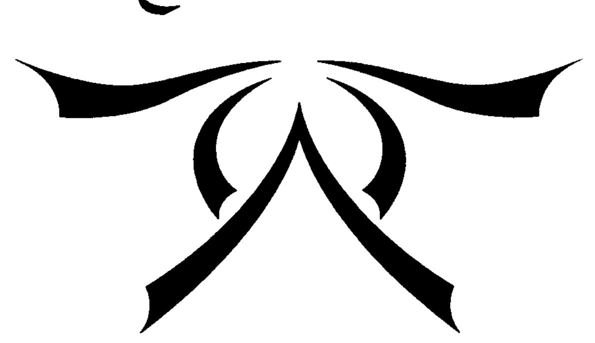
(١) تجدها في مفاتيح الجنان: ٥٢٣، طبعة دار المعارف.

واقصم به جبابرة الكفرة واقتل به الكفار والمنافقين وجميع الملحدين حيث كانوا واين كانوا من مشارق الارض ومغاربها وبرها وبحرها واملا به الأرض عدلا، واظهر به دين نبيك عليه واله السلام، واجعلني اللهم من أنصاره وأعوانه واتباعه وشيعته وارني في آل محمد ما يأملون وفي عدوهم ما يحذرون إله الحق آمين).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الشكوى الثانية

الابتعاد عما كان عليه السلف الصالح



الحمد لله والحمد حقه كما يستحقه حمداً كثيراً وأعوذ به من شر نفسي إن النفس لأمّارةٌ بالسوء إلا ما رحم ربي وأعوذ به من شر الشيطان الذي يزيدني ذنباً إلى ذنبي واحترز به من كل جبّار فاجر وسلطان جائر وعدوٍ قاهر، اللهم أصلح لي ديني فإنه عصمة أمري وأصلح لي آخرتي فإنها دار مقري وإليها من مجاورة اللئام مفرّي واجعل الحياة زيادةً لي في كل خير والوفاة راحة لي من كل شر. اللهم صلّ على محمدٍ خاتم النبيين وتمام عدة المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

الإمام عليه السلام يشكو ابتعادنا عن الصفات الحقيقية

وثاني هذه الشكاوى ما يناسب عرضها اليوم(١) في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو يوم فرح وسرور ليس للشيعة فقط بل لكل المسلمين بل لكل الإنسانية التي تنشد العدالة والسمو والطهارة المتمثلة بعلي عليه السلام ولكن الشيعة أولى الناس به عليه السلام فنرفع نيابة عن الإمام المهدي عليه السلام هذه الشكوى التي ذكرها في رسالته الشريفة إلى الشيخ المفيد رحمه الله الأولى والثانية فقال في الرسالة الثانية(ولو أن أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل)(٢) وقال عليه السلام في رسالته الأولى (فأنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يُعزبُ عنا شيءٌ من أخباركم ومعرفتنا بالذل الذي أصابكُم مُذ جنح كثيرٌ منكم إلى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً، ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمـون)(٣).

---

(١) القيت المحاضرة بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الرأس مجاور الروضة الحيدرية المطهرة على المئات من طلبة العلم والفضلاء والأساتذة يوم ١٣/ رجب/١٤٢٣هـ

(٢) (الاحتجاج ٢ / ٣٢٥).

(٣)(الاحتجاج ٢ / ٣٢٣).

وقد تحقق مثل ذلك لبائع الأقفال(١).

فما هي صفات الشيعي الحقيقي التي يشكو الإمام عليه السلام من ابتعادنا عنها ويجعل هذا الابتعاد سبب حرماننا من ألطاف اللقاء به وبركات ظهوره عليه السلام، هذه الصفات التي استحق بها الشيعي ما سنسمع من الأحاديث في فضله وعلو منزلته عند الله تعالى وما مدى مصداقيتنا لهذا العنوان العظيم، الظاهر إنهم قليلون أولئك الذين ينطبق عليهم العنوان كما قال تعالى ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ**﴾(٢) ولكن لا تضجروا ولا تقنطوا فإن الكمال يُنال بالتدريج فعندما نزل قوله تعالى ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**﴾(٣) قعد الصحابة يبكون وأصيبوا بالإحباط فمن الذي يستطيع أن يتقي الله حق تُقاته فكان جوابهم في قوله تبارك

---

(١) (آمنة ومؤمل / ح٢) وخلاصة هذه القصة (ان عابداً كان يتمنى لقاء إمام الزمان عليه السلام وبعد فترة من الرياضات الروحية والتعب والمشقة لم يصل الى شيء واخذ اليأس يدب الى قلبه، وفي ليلة من الليالي بينما كان قائما يتعبد إذا بهاتف يناديه: (الوصول الى المولى يعني شد الرحال الى ديار الحبيب) فشدَّ الرحال من جديد واخذ يزيد من الصلاة والتعبد حتى انتهى الأمر به الى المكوث في المسجد أربعين يوما فأتاه نداء آخر يقول: (ان سيدك تجده في سوق الحدادين يجلس في باب رجل عجوز يصنع الأقفال) فذهب مسرعا فوجد الإمام عليه السلام يشع نورا فارتعدت فرائص العابد إلا ان الإمام عليه السلام طلب منه ان ينظر ما سيحصل،فجاءت عجوز منحنية الظهر بيدها قفل عاطل وقالت للبائع أرجوك اشترِ هذا القفل بثلاثة دنانير فقال البائع: إن هذا القفل بثمانية دنانير وإذا أصلحته يصبح بعشرة فتصورت العجوز انه يسخر منها إلا انه بادر بإعطائها سبعة دنانير وقال لها: لاني أبيع واشتري أخذته بسبعة دنانير لأربح دينارا فذهبت العجوز مسرورة فالتفت الإمام عليه السلام الى العابد وقال: (كونوا هكذا كهذا العجوز كي نأتيكم نحن بأنفسنا لا حاجة الى التعبد أربعين يوما ولا فائدة من الجفر والحروف فقط اصلحوا أعمالكم).

(٢)الواقعة (١٠-١٤).

(٣) آل عمران من الآية (١٠٢).

وتعالى ﴿اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾(١) فإذا اتقيتم وعملتم بما تستطيعون تأهّلتم للدرجة الأعلى فتتقون ما تستطيعون وفق هذه الدرجة الجديدة فتتأهلون للأعلى وهكذا حتى تبلغوا حق تقاته.

الخطاب ليس للشيعة فقط

وحينما نذكر صفات الشيعي الحقيقي فإنما نخاطب بهذا الكلام جميع الناس: الشيعة والمسلمين من غير الشيعة وغير المسلمين فهذه فئات ثلاث يترتب على مخاطبتها ثلاثة أغراض.

أما الشيعة فلكي يراقبوا أنفسهم ويعرضوا أعمالهم على هذا الميزان الدقيق وليحكموا على أنفسهم هل أنهم شيعة حقاً يستحقون تلك المقامات العالية والدرجات الرفيعة أم لا؟، وأما المسلمين من غير الشيعة فلكي يعرفوا من هم الشيعة وليحكموا حينئذٍ هل يحلّ خلافهم وسبّهم والقطيعة معهم وربما الحكم بكفرهم ومنابذتهم.

وأما غير المسلمين فلأنهم بدءوا صراعاً حضارياً مع المسلمين جعلوا أهم أدواته تشويه صورة المسلمين فكان من أهم وظائفنا في هذا الصراع بيان مقومات وعناصر شخصية المسلم التي بيّنها بوضوح أهل البيت عليهم السلام

(١) التغابن من الآية (١٦).

وجسّدوها عملياً في حياتهم وكان على رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام لذلك كان التشيع روح الإسلام وجوهره بحسب ما بيّنه رسول الله صلى الله عليه وآله مما ستسمعه بعد قليل بأذن الله تعالى وفهمه كبار الصحابة كسلمان المحمدي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر وذي الشهادتين وابن التيهان وأبي أيوب الأنصاري وخالد بن سعيد بن العاص الأموي وغيرهم حتى استشهد الكثير منهم من أجله.

ما ورد في فضل شيعة علي عليه السلام

وقبل الإجابة عن السؤال (ما هي صفات الشيعي؟) يحسن أن نذكر بعض ما ورد في فضل شيعة علي عليه السلام وعلو مقامهم في كتب الفريقين فقد نُقل في الدر المنثور للسيوطي في تفسير قوله تعالى في نهاية سورة البينة ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾(١).

عن ابي هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من الله؟ والذي نفسي بيده لمنزلة العبد المؤمن عند الله يوم القيامة اعظم من منزلة ملك واقرءوا إن

---

(١) البينة (٧ ٨).

شئتم ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ وعن جابر بن عبد الله قال كنّا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فأقبل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة) ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إذا اقبل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ قالوا: جاء خير البرية(١) وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ (هم أنت وشيعتك تأتون يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضاباً مُقمحين)(٢) وفي الصواعق المحرقة لابن حجر وغيره قال رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ (أما ترضى إنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن إيماننا وعن شمائلنا)(٣).

وإذا أردنا معرفة صفات الشيعي فإنه يجب علينا أن نذكر كل ما أراد الله تعالى وأحبّ من فضائل ونبذ كل ما كره من رذائل فلا يمكن اختصاره بمحاضرة واحدة ولكني سأحيل على بعض المصادر ككتاب (صفات الشيعة) (وثواب الأعمال وعقاب الأعمال) للشيخ الصدوق والجزء الحادي عشر من كتاب وسائل الشيعة تحت أبواب(جهاد النفس) و (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والجزء الثامن من الوسائل تحت عنوان (آداب العشرة)

---

(١) زبدة الأفكار ٢٠٩ ٢١٠ عن الدر المنثور ٨: ٥٨٨ ٥٨٩ تذكرة الخواص: ١٨ وقال أوردها الطبري في تفسيره والآلوسي والشوكاني في فتح القدير والمناوي في كنوز الحقائق والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل.

(٢) بنور فاطمة اهتديت: ٤٩ عن الصواعق المحرقة الباب(١١) الفصل الأول الآية الحادية عشرة.

(٣) زبدة الأفكار:٢١١ عن الصواعق المحرقة لابن حجر:١٦١.

وكتاب(تحف العقول) ويكفي أن تقرأ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين لتعرف منها اوصاف شيعة علي عليه السلام وغيرها كثير وتوجد رسالة مهمة(رغم ان الكثير غافل عنها) وطويلة وجهّها الإمام الصادق عليه السلام إلى شيعته وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها(١) فكانوا ـ السلف الصالح ـ يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها.

هكذا كان السلف الصالح يراقب نفسه ويزن أعماله في ضوء المنهج الذي رسمه لهم أهل البيت عليهم السلام وتجد الرسالة بطولها في كتاب روضة الكافي للكليني ص٣٢٥ ٣٣٦.

محاور صفات المؤمن

ويمكن باستقراء المصادر أن نصنّف الصفات ضمن ثلاثة محاور:

الأول: مع الله تبارك وتعالى.

الثاني: مع نفسه.

الثالث: مع الآخرين.

(١) فلنسأل أنفسنا نحن النخبة المؤمنة اولا كم منا تدارس هذه الرسالة وتعاهدها وعمل بها؟ اعتقد ان الجواب هو ان القلة القليلة منا قد عمل بها! فكيف إذن نقود المجتمع على طريق الإمام الصادق عليه السلام ونحن لم نعمل برسالته (شيعتنا من عمل عملنا).راجع الملحق من هذا الكتاب

والتصنيف من ناحية فنية فقط وإلا فإن المؤمن الحقيقي ينظّم كل علاقاته وتصرفاته وفق ما يريده الله تبارك وتعالى فهو مع الله في كل شيء(١).

المحور الأول: مع الله تبارك وتعالى

معرفة الله تعالى أساس الدين

١ـ المعرفة بالله تبارك وتعالى وهي أساس الدين وأصله كما قال أمير المؤمنين(عليه السلام) (أول الدين معرفته) ويمكن أن يكون منشأها عقلياً مستفاداً من البراهين(٢) وهذه لابد منها ولو ببراهين مبسطة تخاطب الفطرة(٣) لأن العقائد يجب أن تؤخذ عن دليل ويمكن أن تكون قلبية بالوجدان والثانية خيرٌ من الأولى(٤) كما في الحديث(المعرفة الأنفسية خير من المعرفة

(١) فالمؤمن الحقيقي مع نفسه يلاحظ الله ومع الآخرين يلاحظ الله تعالى ويعيش مع الله تعالى دائما ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ (الأعراف:٢٠١).

(٢) الموجودة في كتب العقائد والكلام

(٣) فمثلا الدليل على التوحيد قوله تعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (الأنبياء:٢٢).

(٤) يروى ان احد العلماء سالته زوجته ماذا تكتب فقال لها أريد تأليف كتابا عن إثبات واجب الوجود فقالت له ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ فامتنع عن تأليف الكتاب.

الآفاقية)(١) إشارة إلى قوله تعالى ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقّ﴾ (٢) وخير مصدر للمعرفة القلبية التدبر والتفكر في القرآن الكريم والأدعية والأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام خصوصاً دعاء الصباح ودعاء كميل ودعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة ودعاء أبي حمزة الثمالي ومناجاة العارفين بل عموم المناجاة الخمس عشرة للإمام السجاد عليه السلام وتكون الفائدة أكمل إذا انضمّ إليها بعض أفكار وشروح العلماء المخلصين.

فضل معرفة الله تعالى

وفي فضل معرفة الله تعالى(٣) قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام (لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله عز وجل ما مدّوا أعينهم إلى ما منح الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقلّ عندهم مما

---

(١) روي عن أهل البيت عليهم السلام (من عرف نفسه عرف ربه)،(معرفة النفس أنفع المعارف)، (من جهل نفسه كان بغير نفسه أجهل)، (أكثر الناس معرفة لنفسه أخوفهم لربه)،(أعظم الجهل جهل الإنسان أمر نفسه).

(٢) فصلت من الآية (٥٣).

(٣) عن أبي جَعْفَرٍ عليه السلام (إِنَّمَا يَعْبُدُ اللَّهَ مَنْ يَعْرِفُ اللَّهَ فَأَمَّا مَنْ لا يَعْرِفُ اللَّهَ فَإِنَّمَا يَعْبُدُهُ هَكَذَا ضَلالا قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَمَا مَعْرِفَةُ اللَّهِ قَالَ: تَصْدِيقُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ وتَصْدِيقُ رَسُوله صلى الله عليه وآله ومُوَالاةُ عَلِيٍّ عليه السلام والإئْتِمَامُ بِهِ وبِأَئِمَّةِ الْهُدَى عليهم السلام وَالْبَرَاءَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ مِنْ عَدُوِّهِمْ هَكَذَا يُعْرَفُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) الكافي،جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما رأس العلم (قال:معرفة الله حق معرفته قال و ما حق معرفته قال أن تعرفه بلا مثال و لا شبه و تعرفه إلها واحدا خالقا قادرا أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا لا كفو له و لا مثل له فذاك معرفة الله حق معرفته) بحار الأنوار، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال (خرج الحسين بن علي عليه السلام على أصحابه فقال أيها الناس إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه فقال له رجل يا ابن رسول الله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله قال معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته) بحار الأنوار.

يطئونه بأرجلهم ولنعموا بمعرفة الله جل وعز وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

إن معرفة الله عز وجل آنِس من كل وحشة وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم . ثم قال عليه السلام (وقد كان قبلكم قوم يُقتلون ويُحرقون ويُنشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض برحبها فما يردهم عمّا هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى بل ما نقموا منه إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم).

قبول الأعمال مقرون بولاية أهل البيت عليهم السلام

٢ـ ولاية أهل البيت عليهم السلام ومحبتهم ومعرفة حقهم حيث جعل الله تبارك وتعالى مودتهم وولايتهم أجر الرسالة ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾(١) فبهم تقبل الأعمال لأنهم واسطة الفيض والعطاء الإلهي، وإن لم تستوعب ذلك(٢) وقلتَ إن عطاء الله لا يحتاج إلى واسطة فقسه

(١) الشورى من الآية (٢٣).

(٢) وكيف نستكثر ذلك على أهل البيت ويوجد من هو أقل مرتبة منهم له عطاء تكويني كعزرائيل عليه السلام حيث يروى أن الدنيا كالدرهم بيده يقلبه كيف يشاء وأنه ينظر في وجه كل إنسان في اليوم خمس مرات بعدد الصلوات اليومية، وكذلك عيسى عليه السلام حيث أعطاه الله تعالى إحياء الموتى وخلق الطير وغيرها.

على التشريع فإنهم واسطة لتبليغ الأحكام إلى المخلوقين والله قادر على إنه يوصل تشريعاته بلا واسطة فالأمر في العطاء التكويني كذلك وللتعرف على حقيقة أهل البيت عليهم السلام ومنزلتهم الرفيعة اقرأ بتدبر الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام وهي من أقوى الزيارات متناً وسنداً(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من احبّنا كان معنا أو جاء معنا يوم القيامة ثم قال عليه السلام: والله لو أنّ رجلاً صام النهار وقام الليل ثم لقى الله عز وجل بغير ولايتنا أهل البيت للقيه وهو عنه غير راض أو ساخط عليه)(٢) وقال الصادق عليه السلام: (إن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: (لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل يزداد فيها كل يوم إحساناً ورجل يتدارك منيَّته بالتوبة وأنى له بالتوبة فوالله أن لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله عز وجل منه عملاً إلا بولايتنا أهل البيت) (٣) ولا احتاج أن اذكّر إن المحبة العاطفية(٤)وحدها لا تكفي بل لابد من المحبة الحقيقية التي تستلزم التأسي والاتباع والطاعة كما أنشد الإمام الصادق عليه السلام

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في الفعال بديع

---

(١) وقد أوصى بها الإمام الحجة عليه السلام ثلاث مرات للرجل الذي ضل الطريق في الحج وفيها إشارات واضحة عن الولاية التكوينية كما في المقطع (بِكُمْ فَتَحَ اللهُ وبِكُمْ يَخْتِمُ وبِكُمْ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَبِكُمْ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إلا بِإذْنِه وبِكُمْ يُنَفِّسُ الْهَمَّ ويَكْشِفُ الضُّرَّ).

(٢) روضة الكافي / ٩٢.

(٣) روضة الكافي / ١١١.

(٤) فاللطم في وفيات المعصومين والمواليد في ولاداتهم عليهم السلام لا يكفي وحده ونحن نخالف أعمالهم.فمثلا تجده يطبخ للحسين عليه السلام بآلاف الدنانير وهو لا يدفع الخمس.

لو كانَ حبُّك صادقاً لأطعتـه   إن المحب لمن أحبّ مطيع

وقال عليه السلام (والله ما أنا إمام إلا من أطاعني فأما من عصاني فلستُ لهم إمام فوالله لا يجمعني الله وإياهم في دار) (١).

الإيمان لا يكون إلا بعقيدة وعمل

٣ـ الإيمان بالعقائد الحقة والتي جمعها القرآن تحت عنوان ﴿**يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾(٢) ومدح أصحابها وأثنى عليهم فيؤمن بالله وملائكته وأنبيائه ورسله وأن الموت حق ومسائلة القبر حق والبعث والنشور والحساب كله حق وهذا الإيمان يخفره على العمل الصالح ويدفعه له ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ (٣) إذ من غير المعقول أن يؤمن الإنسان بذلك كله ولا يعمل له فالذي يعلم بل يظن إن خطراً في جهة ما فإنه يحترز منه ويتخذ التدابير اللازمة للنجاة منه وإلا فلا معنى لإيمانه وعلمه لذا جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام (الإيمان لا يكون إلا بعمل والعمل منه ولا يثبت الإيمان إلا بعمل)(٤) والإيمان بالغيب من الفروق الأساسية بيننا

---

(١) الوسائل ١١ / ٤٨٦.

(٢) البقرة من الآية.

(٣) فاطر من الآية.

(٤) الوسائل ١١ / ١٢٧ فكما هو معلوم ان (الدين = اصول + فروع او قل الدين = عقيدة + عمل) فلا تكفي العقيدة وحدها بلا عمل ولا العمل بلا عقيدة بل لا بد ان يجتمعان لكن نقول ان هذا الفرد متدين.

وبين الغرب فهم يؤمنون بالحسيّات ويسعون لتحقيق لذائذهم الحسيّة فنشأ بسبب ذلك الاستئثار والاستكبار والظلم والحرص والحسد والطمع وغيرها من الرذائل التي انعكست على علاقتهم مع غيرهم من الشعوب.

حديث جامع لكل العقائد

ومن الأحاديث التي جمعت العقائد الحديث المعروف عن السيد عبد العظيم الحسني قال: دخلتُ على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق عليه السلام فلما أبصرني قال لي: (مرحباً بك يا أبا القاسم أنت وليُّنا حقاً) قال فقلت يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله إني أريد أن اعرض عليك ديني فإن كان مرضياً اثبت عليه حتى ألقى الله عز وجل فقال: هات يا أبا القاسم فذكر عقيدته في توحيد الله تعالى ونفي الصفات عنه ونبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وإنه خاتم الأنبياء وشريعته خاتمة الشرائع ثم ذكر الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد حتى وصل إلى الإمام الهادي عليه السلام فقال: ثم أنت يا مولاي فقال عليه السلام: (ومن بعدي الحسن ابني وكيف الناس بالخلف من بعده) فقلت: وكيف ذلك يا مولاي قال عليه السلام: (لأنه لا يرى شخصه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) قال فقلتً: أقررت وأقول إن وليهم ولي الله وعدوهم عدو الله وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله وأقول إن المعراج حق والمساءلة في القبر حق وإن الجنة والنار حق والصراط

حق والميزان حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وأقول إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحقوق الوالدين فقلت: هذا ديني ومذهبي وعقيدتي ويقيني قد أخبرتك به فقال علي بن محمدعليه السلام: (يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه، ثبتّك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)(١).

٤ـ أداء الواجبات الشرعية كالصلاة والصوم والخمس والزكاة والحج مع الاستطاعة فعن أبي الحسنعليه السلام قال: (شيعتنا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويحجّون البيت الحرام ويصومون شهر رمضان ويوالون أهل البيت و يتبرءون من أعدائهم)(٢) وعن جابر الجعفي قال قال أبو جعفرعليه السلام (يا جابر يكتفي من اتخذ التشيع أن يقول بحبّنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا إلا من اتقى الله وأطاعه وما كانوا يُعرفون إلا بالتواضع والتخّشع وأداء الأمانة وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن وكفّ الألسن عن الناس إلا من خير وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء(٣)، قال جابر يا ابن رسول الله ما نعرف أحداً بهذه الصفة فقال لي: يا جابر لا تذهبّن

(١) (صفات الشيعة: ح٦٨).

(٢)(صفات الشيعة، ح٥).

(٣) تأمل وتدبر جيدا بقول الإمامعليه السلام فلعمري ان كل فقرة من هذه الفقرات تحتاج الى عمل كثير فلا يكفي ان تقرأها فقط.

بك المذاهب حسب الرجل أن يقول احب علياً وأتولاه فلو قال إني احب رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ خير من علي ثم لا يتبع سيرته ولا يعمل بسنته ما نفعه حبه إياه شيئاً فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ليس بين الله وبين أحدٍ قرابة، أحبّ العباد إلى الله وأكرمهم عليه أتقاهم له وأعملهم بطاعته، يا جابر ما يتقرب العبد إلى الله تبارك وتعالى إلا بالطاعة ما معنا براءة من النار(١) ولا على الله لأحدٍ منكم حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو ولا تُنال ولايتنا إلا بالعمل والورع)(٢).

ولما فتح رسول الله ﷺ مكة قام على الصفا فقال (يا بني هاشم يا بني عبد المطلب إني رسول الله إليكم وإني شفيق عليكم لا تقولوا إن محمداً منا فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلا المتقون)(٣) وهو أدب قرآني فعندما طلب نوح عليه السلام نجاة ابنه أتاه الجواب ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾(٤) وقال إبراهيم عليه السلام ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ (٥).

٥ـ اجتناب المحرمات(٦) والذنوب سواء كانت من الكبائر وهي التي وعد الله عليها النار كالزنا واللواط وشرب الخمر وأكل مال اليتيم وشهادة

---

(١) كما هو موجود عند بعض الأديان حيث يعطون قومهم صكوك الغفران بالرغم من أعمالهم السيئة.

(٢) (صفات الشيعة ح٢٢).

(٣) (صفات الشيعة / ٨).

(٤) هود من الآية (٤٦).

(٥) إبراهيم من الآية (٣٦).

(٦) روي أنه (روح الإيمان يلازم الجسد ما لم يعمل كبيرة فإذا عمل بكبيرة فارق الروح).

الزور وأكل الربا وقتل النفس المحترمة(١) أو البخس في المكيال(٢)وحتى الصغائر وإن كان الوارد في الحديث الشريف(لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظر إلى من عصيت) فعن الصادقعليه السلام (من زنى خرج من الإيمان ومن شرب الخمر خرج من الإيمان ومن افطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان(٣)(٤) ومن الكبائر قذف المحصنة(٥) وعقوق الوالدين والتعّرب بعد الهجرة(٦) ومعونة الظالمين وحبس الحقوق من غير عسر والسحر واليمين الغموس بل ورد التحذير من كل الذنوب فعن الباقرعليه السلام(الذنوب كلها شديدة)(٧) ويقول الإمام الصادقعليه السلام: (اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر، قلت: وما المحقّرات قال: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى

---

(١) كما يحصل عند بعض العشائر فانهم يتقاتلون وتذهب نفوس محترمة من اجل أسباب تافهة.

(٢) كما يتفنن البعض اليوم بالبخس في الميزان بطرق عديدة كوضع المغناطيس في إحدى الكفتين او حفر جوف العيار او اللعب بإحدى العتلتين وغيرها ولا يعلمون ان هذا من الكبائر التي وعد الله تعالى عليها في كتابه العزيز اقصى العقاب فلماذا تلقون بانفسكم في هذه المهالك من اجل بضعة دنانير والتي لو اتقيتم الله تعالى لرزقكم أضعافها **﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾** (الطلاق:٢،٣).

(٣) كما يحدث ذلك وللأسف الشديد من قبل بعض شبابنا وتجده يتباهى بذلك ولا يعلم انه بعمله هذا قد خرج من الإيمان وأُلحقَ بالأعراب **﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** (الحجرات:١٤).

(٤) الوسائل ١١ / ٢٥٥.

(٥) وعشائرنا أيضا مبتلية بهذه الكبيرة فببساطة شديدة يقذفون المحصنة ويقتلونها غسلا للعار ولا يعلمون ان القذف وحده يعاقب عليه الشرع بالجلد ثمانين سوطا وهو من الكبائر ولا يحق لأحد ذلك إلا بعد حضور أربعة شهود فاتقوا الله ولا تسخطوه.

(٦) كما يحدث اليوم فبمجرد ما يحصل الشاب على فرصة للسفر غادر بلده المسلمة الى أي بلد كافر يضيع فيه دينه ولا يعلم ان هذا من مصاديق التعرب بعد الهجرة أي يصبح أعرابياً فالأعراب ليس الذين يسكنون البدو وإنما غير المتفقه في دين الله.

(٧) الوسائل ١١ / ٢٣٧.

لي إن لم يكن لي غير ذلك(١).. (٢) ويضرب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله مثالاً من الواقع فقد نزل صلى الله عليه وآله بأرض قرعاء فقال لأصحابه: (ائتوا بحطب) فقالوا يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال صلى الله عليه وآله (فليأتِ كل إنسان بما قدر عليه) فجاءوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض فقال رسول الله صلى الله عليه وآله (هكذا تجتمع الذنوب ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب فإن لكل شيء طالباً إلا وإن طالبها يكتبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ)(٣) ويحذرّون شيعتهم إن كل ما يحصل لهم من مصائب هو بسبب الذنوب فعن مفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (يا مفضّل إياك والذنوب وحذّرها شيعتنا فوالله ما هي إلى أحد أسرع منها إليكم، إن أحدكم لتصيبه المعرّة من السلطان وما ذلك إلا بذنوبه وإنه ليصيبه السقم وما ذلك إلا بذنوبه وإنه ليُحبس عنه الرزق وما هو إلا بذنوبه، وإنه ليُشدَّد عليه عند الموت وما ذاك إلا بذنوبه حتى يقول من حضره: لقد غم بالموت. فلما رأى ما قد دخلني(٤) قال: أتدري لم ذاك؟ قلت: لا قال: ذاك والله إنكم لا تؤاخذون بها في الآخرة وعُجّلت لكم في الدنيا(٥) فمن أراد أن يقي نفسه هذه الصعوبات فليجتنب الذنوب).

٦ـ التقوى والورع وأحد وجوه التفريق بينها ما قاله سيدنا الأستاذ قدس سره

(١)أي أن ذنوبي هينة ولا تساوي شيئاً او يقارن نفسه بالذي اقترف ذنوبا اكبر من ذنوبه فيقول (مهما فعلت فأنا لست كفلان) وهذا المسكين قد خدعه الشيطان بهذا العذر الذي سيعاقب عليه أقسى عقاب لاستهانته بالذنب المقترَف بحق الله مالك الملك الجبار المتعال !!!.

(٢) (١١ / ٢٤٥).

(٣) (١١ / ٢٤٥).

(٤) أي لماذا تسرع الذنوب إلى الموالين للأئمة والمفروض إنهم أقرب إلى الله تعالى من غيرهم.

(٥) (١١ / ٢٤١).

إن الورع اجتناب المحارم وفعل الواجبات أما التقوى فتضاف لها اجتناب الشبهات وعدم ترك المستحبات(١) فعن الصادق عليه السلام (إنما أصحابي من اشتد ورعه وعمل لخالقه ورجا ثوابه هؤلاء أصحابي)(٢) وفي وصية للإمام الصادق عليه السلام لأحد أصحابه (أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد واعلم إنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه)(٣) ووعظ عليه السلام شيعته فقال (عليكم بالورع فإنه لا يُنال ما عند الله إلا بالورع) (ليس منا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أورع منه) (كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير فإن ذلك داعية)(٤) (عليكم بالورع فإنه الدين الذي نلازمه وندين الله تعالى به ونريده ممن يوالينا) (٥) وفي التقوى كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: (لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل ما يُتقبل) إشارة إلى قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ (٦) وعن الإمام الصادق عليه السلام قال (من أخرجه الله عز وجل

---

(١) عدم ترك المستحبات كليا وليس بعضها فقد يترك بعضها أحيانا،بل ان استيعابها غير ممكن.

(٢) (١١ / ١٩٣)

(٣) (١١ / ١٩٢).

(٤)ولتقريب هذه الفكرة الى الذهن تصور ان رجلا عالما معروفا بالصلاح والتقوى قد مرَّ من أمامك الا تذكرك رؤيته بالله تعالى ويخفق قلبك له وإن لم يتحدث بكلمة؟ فهذا الرجل إذن داعية لله تعالى ولكن بغير لسانه،وقد جربنا ذلك فعندما توجد مجموعة يتحدثون بلهو باطل فانهم يسكتون اذا جاءهم مؤمن وكالمرأة السافرة تحاول ان تتستر اذا صار امامها شخص يرتدي الزي الروحاني.

(٥) (١١ / ١٩٢ ١٩٦).

(٦) المائدة من الآية (٢٧)، ويمكن فهم الرابطة بين التقوى وقبول العمل بعدة طرق منها: اذا نهتك صلاتك عن الفحشاء والمنكر فاعلم ان صلاتك مقبولة والا فلا وان من صفات المتقي انه لا يفعل الفحشاء والمنكر، اضافة الى ان صريح الروايات تؤكد بان الصلاة بلا خشوع غير مقبولة ولا يكون العبد خاشعا الا اذا كان متقيا ولا يكون متقيا الا اذا كان خاشعا قد اخرج من قلبه التعلق بما سوى الله تعالى.

من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال وأعزّه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء(١) ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل)(٢)، ولأمير المؤمنين عليه السلام خطبة في وصف المتقين صعق من سماعها صاحبه الوفي همام فمات من ساعته(٣).

٧ـ الموازنة بين الخوف والرجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان أبي عليه السلام يقول: (ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء لو وُزِن هذا لم يزد على هذا ولو وزِن هذا لم يزِد على هذا) ويقول عليه السلام: كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال: (يا بني خف الله خوفاً لو جئته ببّر الثقلين خفتَ أن يعذّبك الله وارجُ الله رجاءاَ لو جئته بذنوب الثقلين رجوتَ أن يغفر الله لك)(٤) ويقول بعض شيعته قلت له: قومٌ يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت فقال: (هؤلاء قوم يترجحون في الأماني كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف

(١) عندما تأملت كثيرا في هذه المعاني العظيمة حاولت ان افهمها من خلال ربطها بصفات الله تعالى فكلما اقترب الإنسان من الله تعالى تخلق بأخلاقه وصفاته كما في مضمون الرواية (تخلقوا بأخلاق الله) فالله تعالى العزيز وهو يهب العزة لمن يشاء ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً﴾ (فاطر:١٠) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون:٨) والله تعالى القوي ويهب القوة لمن يشاء وهكذا تستطيع فهم المعاني الأخرى (وكذلك تستطيع ان تربط ذلك بأهل البيت عليهم السلام فهم الأسماء الحسنى).

(٢) (١١ / ١٩٠ ١٩١).

(٣) راجع نهج البلاغة صفحة ٣٠٣.

(٤) نقل الإمام عليه السلام كلام لقمان لتوضيح الموازنة بين الخيفة والرجاء وهي معادلة دقيقة حيث لا ينبغي للخوف أن يزيد بحيث لا رجاء لرحمة الله بعده وهو المسمى بالقنوط الذي هو من الكبائر كما يقول البعض ان ذنوبي كثيرة ولا يغفرها الله لي.

من شيء هرب منه وقال عليه السلام عنهم: ليسوا لنا بموالٍ)، وهو عليه السلام به يستقي ذلك من قوله تعالى ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)،﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٢).

٨ ـ تقديم رضا الله تعالى على هوى النفس ورضا المخلوقين.

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:قال رسول الله صلى الله عليه وآله (يقول الله عز وجل: وعزّتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلّوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبدٌ هواه على هواي إلا شتّتُ عليه أمره ولبست عليه دنياه وشغلت قلبه بها ولم آتِه منها إلا ما قدّرتُ له، وعزّتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلّوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والأرضين رزقه وكنتُ له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة)(٣) وعن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله (من طلب مرضاة الناس بما يسخط الله عز وجل كان حامده من الناس ذاماً ومن آثر طاعة الله عز وجل بما يغضب الناس كفاه الله عز وجل عداوة كل عدو(٤) وحسد كل حاسد وبغي كل باغٍ وكان الله له ناصراً وظهيـراً)(٥).

---

(١) الأعراف من الآية (٥٦).
(٢) الأنبياء من الآية (٢٨).
(٣) (١١ / ٢٢١).
(٤) تأمل جيداً في هذه العبارة وما يشبهها واجعلها دوماً نصب عينيك ومنهاجاً لك في حياتك، فبعد هذا الضمان الالهي لا ينبغي للمرء أن تقف بوجهه كل الاعتبارات بل يؤدي ما فيه رضا الله تعالى ولا تاخذه في الله تعالى لومة لائم.
(٥) (١١ / ٤٢١).

وصفات أخرى لا يتسع المقام لذكرها كاليقين بالله في الرزق والعمر والنفع والضر فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطيه وأن ما اخطأه لم يكن ليصيبه وإن الضار النافع هو الله عز وجل)(١) والاعتصام بالله والتوكل على الله وقطع الأمل عن غير الله تعالى قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾(٢) والبكاء لله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كل عين باكية يوم القيامة إلا ثلاثة أعين عين بكت من خشية الله وعين غضّت عن محارم الله وعين باتت ساهرة في سبيل الله)(٣) ومن صفاتهم حسن الظن بالله تعالى فإن الله عند حسن ظن عبده.

المحور الثاني: صفاته في نفسه.

١ ـ أن يجعل أهوائه النفسية عدواً له لا يغفل عن مجاهدته للحديث (أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك) ولا يجعلها إلهاً يطيعه ويسير وفق رغبات نفسه قال تعالى ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا**

---

(١) (١١ / ١٥٧).
(٢) الطلاق من الآية.
(٣) (١١ / ١٧٧)ز

تَذَكَّرُونَ﴾(١) وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فلما رجعوا قال: (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر فقيل يا رسول الله ما الجهاد الأكبر قال جهاد النفس)(٢).

٢ـ أن يشتغل بإصلاح عيوب نفسه بدل التفتيش عن عيوب الناس قال رسول الله: صلى الله عليه وآله (ثلاث خصال من كُنَّ فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه: رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم ورجلٌ لم يقَدّم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم إن ذلك لله رضا ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب ينفي ذلك العيب عن نفسه فإنه لا ينفي منها عيباً إلا بدا له عيب وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس)(٣).

٣ـ وأن ينصف الناس من نفسه فيحب لهم ما يحب لها ويكره لهم ما يكره لها ويقول الحق ولو على نفسه قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ألا إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلا عزاً)(٤).

٤ـ أن لا يتعصب لنفسه أو لعشيرته أو قوميته أو أي شيء آخر سوى الله تبارك وتعالى قال الصادق عليه السلام (من تعصّب أو تُعصِبَ له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه)(٥).

---

(١) الجاثية (٢٣)، اذا تحققت معاني العبودي كـ (الطاعة او الانقياد او الذلة) فان العبد يكون عابدا لهواه وهذا تستطيع ان تكشفه من خلال الذنب الذي يرتكبه الانسان فانه بذلك سيكون قد اطاع وتذلل وانقاد لهواه وهذه هي العبودية.

(٢) (١١ / ١٢٢)(١١ / ٢٢٥).

(٣) فان العمر سينتهي لا محالة وأنت لم تنته من إصلاح عيوب نفسك فلا مجال إذن للاشتغال بعيوب الآخرين.

(٤) (١١ / ٢٦٩).

(٥) (١١/٢٩٦).

٥ـ وأن ينتهز فرص الخير قال تعالى ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾(١) وقال تعالى ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٢) وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: (يا علي بادر بأربع قبل أربع: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وحياتك قبل موتك)(٣) وأن يجعل حياته زيادة في كل خير قال الصادق عليه السلام: (من استوى يوماه فهو مغبون)(٤) ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون ومن لم يرَ الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان ومن كان إلى النقصان فالموت خير له من الحياة)(٥).

٦ـ وأن يحاسب نفسه عن موسى الكاظم عليه السلام قال (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فإن عمل حسناً استزاد الله وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب عليه) وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: (يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه اشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه أمن حلالٍ أو من

(١)البقرة من الآية (١٤٨).
(٢) آل عمران (١٣٣).
(٣) (١١ / ٣٦٦).
(٤) لأن الله تعالى لم يخلقنا لحياة لا تكامل فيها بل خلقنا من أجل أن نتكامل ونرتقي.والذي لا يرى الزيادة فانه بذلك لم يحقق الغاية التي خلقه الله لاجلها وهذه الغاية هي معرفة الله وهي تقتضي السير المتواصل وغير المنتهي فيكون الموت خير له من حياة الانعام كما وصفها القرآن.
(٥) (١١ / ٣٧٦).

حرام(١)؟ يا أبا ذر من لم يبالِ من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين ادخله النار)(٢).

٧- ويتحلى بالصدق ومطابقة قوله لفعله وسره لعلانيته قال الإمام الصــادق عليه السلام:(أبلغ شيعتنا أن اعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره(٣) (٤) وقال عليه السلام (ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا أولئك شيعتنا)(٥).

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر: (يا أبا ذر يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار وإنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم وتأديبكم فيقولون: إنّا كنّا نأمركم بالخير ولا نفعله)(٦) قال تعالى ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾(٧).

٨ ـ ويتصفون بالصبر فمن وصية الإمام الصادق عليه السلام: (اصبروا على الدنيا فإنما هي ساعة فإنَ ما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم

(١)البعض ممن وفقه الله تعالى لطاعته أعد لنفسه دفتراً صغيراً يضعه في جيبه يكتب فيه ما أقترفه من ذنوب في النهار وقبل أن ينام يفتح هذا الدفتر ليحاسب نفسه.

(٢) (١١ / ٣٧٩).

(٣) والوصية علينا نحن الحوزويون آكد.

(٤) (١١ / ٢٣٥).

(٥)١١ / ١٩٦.

(٦) ١١ / ٤٢٠.

(٧) الصف

يجيء فلا تدري ما هو وإنما هي ساعتك التي أنت فيها فاصبر فيها على طاعة الله واصبر فيها عن معصية الله).(١)

وقال الباقر عليه السلام (لما حضرت أبي الوفاة ضمني إلى صدره وقال يا بني اصبر على الحق وإن كان مراً تُوفَّ أجرك بغير حساب)(٢) وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أمرّ من الحنظل إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدّام محمد صلى الله عليه وآله).(٣)

٩- ويقدّمون الآخرة على الدنيا(٤) فمن خطبة النبي صلى الله عليه وآله: (ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا وترك الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقي الله يوم القيامة وهو عنه راضٍ)(٥)،فهم يحقرّون الدنيا لأنها تشغل عن الآخرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من احب دنياه أضرّ بآخرته)(٦) وقال الإمام الصادق عليه السلام: (حب الدنيا رأس كل خطيئة) (٧) وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي: (يا علي ان الله أوحى

(١) ١١ / ١٨٧.
(٢) ١١ / ١٨٨ .
(٣) ١١ / ٢٠٩ .
(٤) لا بد أن نعرف إن الدنيا الممقوته في الروايات ليست كل دنيا وإنما التي يجعلها الإنسان غاية وهدفاً له، أما إذا كانت الدنيا وسيلة وطريقاً للآخرة فلا تكون ممقوته لأنها ستكون رأس مال الإنسان يتاجر فيه مع الله تعالى.
١١(٥) / ٢٨٦ .
(٦) ١١ / ٣٠٩ .
(٧) ١١ / ٣٠٩ .

إلى الدنيا: اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك(١) يا علي إن الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة من ماء، يا علي ما أحدٌ من الأولين والآخرين إلا وهو يتمنى يوم القيامة إنه لم يُعطَ من الدنيا إلا قوتا)(٢) وشبّه الإمام الباقرعليه السلام (الحريص على الدنيا بدودة القز(٣) كلما ازدادت على نفسها لفاً كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً)(٤)لذلك رغّبوا شيعتهم في الزهد بالدنيا قال الإمام الصادقعليه السلام (من زهد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا داءها ودواءها وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام)(٥).

١٠ـ والشيعي لا يكون كلامه بذيئاً ولا فاحشاً ولا لعّاناً أو سبّاباً فقد بلغ الإمام الصادقعليه السلام إن أحد أصحابه قال مثل هذه الكلمات لرجل ظلمه فقالعليه السلام: (إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي استغفر ربك ولا تعد)(٦) قال رسول اللهصلى الله عليه وآله (إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك الشيطان)(٧) ولا يبغي الشيعي على أحد ففي وصية الإمام الصادقعليه السلام لأصحابه: (وإياكم أن يبغي بعضكم على بعض فإنها ليست

---

(١) فتجد أن طلاب الدنيا لا يجدون طعم الراحة فكلما ملكوا شيئاً أرادوا الآخر كما في مضمون الرواية (منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا).

(٢) ١١ / ٣١٦.

(٣) قال الشاعر:(كدودة القز ما تبنيه يهلكها وغيرها بالذي تبنيه ينتفع).

(٤) ١١ / ٣١٨.

(٥) ١١ / ٣١٠.

(٦) ١١ / ٣٢٨.

(٧) ١١ / ٣٢٩.

من خصال الصالحين فإنه من بغى صيّر الله بغيه على نفسه وصارت نصرة الله لمن بغى عليه ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من الله)(١) ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله(لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكاً اعجل الشر عقوبة البغي وأسرع الخير ثواباً البر).

١١ـ وإذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم أو مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا والتفتوا إلى خطأهم الكبير في حق ربهم الكريم فتداركوا أمرهم بالتوبة واستغفروا الله تعالى ففي حديث إن الله أعطى التائبين ثلاث خصال لو أعطي خصلة منها جميع أهل السماوات والأرض لنجوا بها قوله عز وجل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢) فمن احبّه الله لم يعذّبه وقوله﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾(٣) وذكر الآيات وقوله ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾(٤).

ويقول الإمام الباقر عليه السلام (إن الله تبارك وتعالى اشد فرحاً بتوبة عبده من رجل أضلّ راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها فالله اشد فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها)(٥)ويتخوفون الاستدراج والإملاء

---

(١) ١١ / ٣٣٣.
(٢) البقرة من الآية (٢٢٢).
(٣) غافر من الآية
(٤) الفرقان ٧٠.
(٥)١١ / ٣٥٨.

فقد سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الاستدراج فقال: (هو العبد يذنب الذنب فيُملى له ويجدد له عندها النعم فيلهيه عن الاستغفار فهو مستدرج من حيث لا يعلم)(١).

١٢ ـ وهو عفيف البطن عفيف الفرج(٢) قال الإمام الصادق عليه السلام (والله ما شيعة علي إلا من عفّ بطنه وفرجه وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابـــه)(٣) وروى إن قوماً تبعوا أمير المؤمنين عليه السلام فالتفت إليهم قال: ما أنتم عليه قالوا شيعتك يا أمير المؤمنين قال: مالي لا أرى عليكم سيماء الشيعة قالوا وما سيماء الشيعة قال عليه السلام: (صفر الوجوه من السهر خمص البطون من الصيام ذبل الشفاه من الدعاء عليهم غبرة الخاشعين).

١٣ـ التفقه في الدين ولا اقل من المسائل الإبتلائية كما يسميها الفقهاء أي تلك التي يتعرض لها كثيراً في عباداته أو في معاملاته سئل أبو الحسن عليه السلام هل يسع الناس ترك المسألة عما يحتاجون إليه فقال لا(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله (طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا وإن الله يحب بغاة العلم)(٥) وقال الإمام الصادق عليه السلام (لوددت أن أصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا)(٦) وخاطب عليه السلام أصحابه (عليكم بالتفقه في دين الله

---

(١) ١١ / ٣٦٥.

(٢) أي لا يدخل بطنه إلا الطعام الحلال ويحفظ فرجه إلا فيما أحل الله تعالى له.

(٣) صفات الشيعة ح١٢.

(٤) أصول الكافي كتاب فضل العلم، باب ١ ح٣.

(٥) نفس المصدر ح٥.

(٦) نفس المصدر ح٦.

ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر إليه يوم القيامة ولم يزكِ له عملاً) (١) وقال الإمام الصادقعليه السلام لبشير الدهان (لا خير فيمن لا يتفقه من أصحابنا، يا بشير: إن الرجل منهم إذا لم يستغنِ بفقهه احتاج إليهم فإذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلـم)(٢) ونقل الإمام الصادقعليه السلام عن جده رسول اللهصلى الله عليه وآله انزعاجه ممن لا يتفقه في دينه فقالصلى الله عليه وآله (أُفٍ لرجل لا يفرّغ نفسه في كل جمعة لأمر دينه فيتعاهده ويسأل عن دينه)(٣).

وتوجد صفات كثيرة أخرى وردت في النصوص ومنها إنه (ليّناً قوله، غائباً منكره، قريباً معروفه، صادقاً قوله، حسناً فعلُه مقبلاً خيره مدبراً شره فهو في الهزاهر وقور وفي المكروه صبور وفي الرخاء شكور لا يحيف على من يبغض ولا يأثم على من لا يحب لا يدّعي ما ليس له ولا يجحد حقاً هو عليه يعترف بالحق قبل أن يُشهد عليه ولا يضيع ما استحفظ ولا ينابز بالألقاب ولا يبغي على أحد ولا يهمّ بالحسد ولا يضرّ بالجار ولا يشمت بالمصائب)(٤).

---

(١) ح٧.
(٢) باب ٢ ح٦.
(٣)باب ٩ ح٦.
(٤) صفات الشيعة ح٣٥.

المحور الثالث: العلاقة مع الآخرين

١ـ يصنع المعروف إلى كل أحد فقد أوصى الإمام السجاد عليه السلام ولده الباقر عليه السلام (يا بني افعل الخير إلى كل من طلبه منك فإن كان من أهله فقد أصبت موضعه وإن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلى يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره)(١) وأصله في القرآن الكريم ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾.(٢)

٢ـ ويتجنبون الظلم والاعتداء على الآخرين بغير حق فأمير المؤمنين عليه السلام يعلم إن قاتله عبد الرحمن بن ملجم يريد به الشر فقيل له لِمَ تقتله أو تسجنه دفعاً لشره قال عليه السلام: (لا يجوز القصاص قبل الجناية) وفي المقابل ترى الولايات المتحدة نموذج الغرب المتحضر تتوعد البشرية بالدمار والويل والثبور تحت عنوان (الضربات الوقائية والاستباقية) دفعاً للأخطار المحتملة فأين هم من أدب الإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

وقد حذّر الأئمة عليهم السلام بشدة من الظلم مهما كان بسيطاً عن الصادق عليه السلام: (قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة) وفي حديث للإمام السجاد عليه السلام (ما يأخذ المظلوم من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم)(٣) وعدّ حديث للإمام الباقر عليه السلام ظلم الناس من الذنوب

---

(١) ١١ / ٥٢٨.

(٢) المؤمنون٩٦.

(٣) عقاب الأعمال ٢٧٢.

التي لا يدعها الله تبارك وتعالى: لذا فهم يأمرون بردّ المظالم إلى أهلها قبل أن يفاجئهم الموت وحذّروا من معونة الظالمين قال الإمام الصادق عليه السلام (العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم)(١) ويقول عليه السلام لعلي عليه السلام في هؤلاء: (يا علي شر الناس من باع آخرته بدنياه، وشرٌّ منه من باع آخرته بدنيا غيره) (٢).

٣ـ يوالون في الله ويعادون في الله وهو مبدأ قرآني مهم أكّد عليه الله تعالى كثيراً وإذا ضاع هذا المقياس مُحق الدين قال تعالى ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (٣).

فأين من هذه الحقيقة القرآنية هؤلاء الذين يلهثون وراء الغرب وقوى الاستكبار الذين آخر ما أمروهم به أن يغيروا مناهج التعليم الديني وعلى رأسها القرآن الكريم لأنها تشجّع على الإرهاب كما يزعمون قال الإمام الصادق عليه السلام (كذب من زعم إنه من شيعتنا وهو متمسك بعروة غيرنا) ويقول أبو الحسن الرضا عليه السلام (من والى أعداء الله فقد عادى أولياء الله ومن

---

(١) ١١ / ٣٤٥.

(٢) ١١ / ٣٤٥.

(٣) المجادلة (٢٢).

عادى أولياء الله فقد عادى الله تبارك وتعالى وحق على الله عز وجل أن يدخله في نار جهنم)(١) وعن الرضاعليه السلام أيضاً قال (إن ممن يتخذ مودتنا أهل البيت لمن هو اشد لعنة على شيعتنا من الدجال فقلتُ له يا ابن رسول الله بماذا؟ قال بموالاة أعدائنا ومعاداة أوليائنا إنه إذا كان كذلك اختلط الحق بالباطل واشتبه الأمر فلم يعرف مؤمن من منافق)(٢) وعن الباقرعليه السلام قال: (ودُ المؤمن للمؤمن في الله من اعظم شعب الإيمان ألا ومن احبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله)(٣).

٤ـ يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهي من أهم صفات خير أمة أخرجت للناس كما نطق القرآن الكريم روي عن النبيصلى الله عليه وآله إنه قال: (لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البر فإذا لم يفعلوا ذلك نزعت منهم البركات وسُلّط بعضهم على بعض ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء) (٤) وكتب الإمام الصادقعليه السلام إلى الشيعة (ليعطفنَّ ذووا السن منكم والنهى على ذوي الجهل وطلاب الرئاسة أو لتصيبنَّكم لعنتي أجمعين) (٥) واقل مراتبه الإنكار القلبي فعن عليعليه السلام قال: قال رسول اللهصلى الله عليه وآله (من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه ومن

(١) صفات الشيعة، ١١٢٤.
(٢) ح ١٤.
(٣) ١١ / ٤٣١.
(٤) ١١ / ٣٩٨.
(٥) ١١ / ٣٩٥.

غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده)(١) وقال علي عليه السلام: (أدنى الإنكار(٢) أن تلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة)(٣) وقال الصادق عليه السلام لأصحابه: (إنه قد حقَّ لي أن آخذ البريء منكم بالسقيم وكيف لا يحقُّ لي ذلك وأنتم يبلغكم عن الرجل منكم القبيح فلا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يترك) (٤) وقال الصادق عليه السلام: (ألا ينبغي للمؤمن أن يجلس مجلساً يُعصى الله فيه ولا يقدر على تغييره)(٥).

٥ـ ومن صفاتهم الاهتمام بأمور المسلمين في شرق الأرض وغربها قال الصادق عليه السلام (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم)(٦) وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام (إن المؤمن لترد عليه الحاجة لأخيه فلا تكون عنده فيهتّم بها قلبه فيدخله الله تبارك وتعالى بهمّه الجنة)(٧).

٦ـ وأمروهم بالتزاور بينهم وتكثير اللقاءات الهادفة الواعية التي يستغلونها للتذاكر بأمور مفيدة قال الإمام الصادق عليه السلام ﴿تزاوروا فإن في

---

(١) ١١ / ٤٠٩.

(٢) ولكن يجب فهم ذلك بشكل صحيح وليس كما يفعله بعض شبابنا سامحهم الله تعالى فإنهم أول ما يبدءون في وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يستعملون الغلظة والشدة والوجوه المكفهرة وهذا غير صحيح بل لا بد أن نبدأ بالحكمة والموعظة الحسنة ونقابلهم بأخلاق طيبة لكي يتأثروا بنا وبكلامنا وبالتدريج نحاول معهم بطرق الإصلاح المختلفة.

(٣) ١١ / ٤١٣.

(٤) ١١ / ٤١٥.

(٥) ١١ / ٥٠٣.

(٦) ١١ / ٥٥٩.

(٧) ١١ / ٥٦٠.

زيارتكم إحياءً لقلوبكم وذكراً لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فأن أخذتم بها رشدتم ونجوتم وإن تركتموها ضللتم وهلكتم فخذوا بها وأنا بنجاتكم زعيم)(١) ويقولعليه السلام (أما والله لوددتُ أني معكم في بعض تلك المواطن)(٢).

٧ـ وأعطى الأئمة أهمية كبرى لقضاء حوائج المؤمنين قال الإمام الصادق:عليه السلام (ما قضى مسلم لمسلم حاجة إلا ناداه الله تبارك وتعالى: عليَّ ثوابك ولا أرضى لك بدون الجنة)(٣) وقال أبو الحسنعليه السلام: (من أتاه أخوه المؤمن في حاجة فإنما هي رحمة من الله تبارك وتعالى ساقها إليه فإن قبل ذلك فقد وصله بولآيتنا وهو موصول بولاية الله وإن ردّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلّط الله عليه شجاعاً من نار ينهشه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً)(٤) وجعلوا هذه القضية افضل من سائر القربات كالحج والعمرة والاعتكاف والطواف المندوبات بحيث إن الإمامعليه السلام يقطع طوافه بالبيت الحرام ويخرج ليقضي حاجة المؤمن(٥) ويهددّون شيعتهم إن قصروا في ذلك أنواع التهديد يقول الإمام الصادقعليه السلام(أيّما رجل من شيعتنا أتى رجلاً من إخوانه فاستعان به في حاجته فلم يعنه وهو يقدر إلا ابتلاه الله بأن

---

(١) ١١ / ٥٦٧.
(٢) ٥٦٧.
(٣) ١١ / ٥٧٧.
(٤) ١١ / ٥٧٨.
(٥) ١١ / ٥٨٥.

يقضي حوائج عدة من أعدائنا يعذبّه الله عليها يوم القيامة)(١) وهي حالة مجرّبة.

٨ ـ ومن الحوائج التي اهتموا بها مساعدة الفقراء وإقراض المحتاجين وأنظار المعسرين فعن أبي بصير قال: ذكرنا عند أبي عبد الله عليه السلام الأغنياء من الشيعة فكأنّه كره ما سمع منّها فيهم فقال: (يا أبا محمد إذا كان المؤمن غنياً وصولاً رحيماً له معروف إلى أصحابه أعطاه الله اجر ما ينفق من البر مرتين ضعفين لأن الله يقول في كتابه: ﴿**وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ**﴾(٢)..(٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الإخوان بعشرين وصله الرحم بأربعة وعشرين)(٤).

٩ـ وأمور أخرى كثيرة كإدخال السرور على المؤمن حيث جعلوه إدخالاً للسرور على النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين(٥) والستر على المؤمن وحفظ كرامته وسمعته والمنع من تشويه صورته لدى الناس(٦) والنصيحة

(١) ١١ / ٥٩٨.
(٢) سبأ ٣٧.
(٣) ١١ / ٥٢٤.
(٤) ١١ / ٥٤٦.
(٥) ٥٦٩.
(٦) ٥٩٢.

للمؤمنين وعدم الغش(١) والرفق بالمؤمنين وعدم تحميلهم ما لا يطيقون(٢) واستشعار الرحمة لجميع الناس كما في عهد الإمام علي عليه السلام لمالك الاشتر (وأشعِرْ قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونّن عليهم سبُعاً ضارياً تغتنمُ أكلَهم فإنهم صنفان: إما أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبُّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه) فأين أدعياء حقوق الإنسان الذين تتبرأ حتى وحوش الغاب من أفعالهم من هذه التعاليم.

هذا غيض من فيض من ما أدبّ به الأئمة عليهم السلام شيعتهم وأرادوهم أن يكونوا كذلك لذلك أحبوهم ومنحوهم المقامات الرفيعة يقول الإمام الصادق عليه السلام لشيعته(أما والله إني لأحبُّ ريحكم وأرواحكم)(٣) ويقول الإمام الرضا عليه السلام (شيعتنا ينظرون بنور الله ويتقلبون في رحمة الله ويفوزون بكرامة الله ما من أحدٍ من شيعتنا يمرض إلا مرضنا لمرضه ولا اغتم إلا اغتممنا لغمّه ولا يفرح إلا فرحنا لفرحه ولا يغيب عنا أحدٌ من شيعتنا أين كان في شرق الأرض أوغربها) (٤) وقال شخص: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في زمن مروان (وهو الملقب بالحمار آخر ملوك بني أمية) فقال عليه السلام: (من

---

(١) ٥٩٤.

(٢) ٤٢٦.

(٣) ١١ / ٥٦٧.

(٤) صفات الشيعة ح٥.

انتم فقلنا من أهل الكوفة فقال: ما من بلدةٍ من البلدان اكثر محبةً لنا من أهل الكوفة ولاسيما هذه العصابة، إن الله جلّ ذكره هداكم لأمر جهله الناس وأحببتمونا وابغضنا الناس واتبعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس فأحياكم الله محيانا وأماتكم مماتنا فأشهد على أبي إنه كان يقول: ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقرّ الله به عينه وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقه)(١) وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (خرجت أنا وأبي حتى إذا كنّا بين القبر والمنبر إذا هو بأناس من الشيعة فسلّم عليهم ثم قال: أنتم شيعة الله وأنتم أنصار الله وأنتم السابقون الأولون والسابقون الآخرون والسابقون في الدنيا والسابقون في الآخرة إلى الجنة، قد ضمنّا لكم الجنة بضمان الله عز وجل وضمان رسول الله صلى الله عليه وآله) في حديث طويل لكنه عليه السلام قال: (واعلموا إن ولايتنا لا تُنال إلا بالورع والاجتهاد من أئتم منكم بعبدٍ فليعمل بعلمه) (٢).

اللهم أحينا حياة محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وأمتنا مماتهم واحشرنا معهم ولا تفرّق بيننا وبينّهم يا ارحم الراحمين وصلّى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

---

(١) روضة الكافي / ح٣٨.
(٢) الروضة ح٢٥٩.

الشكوى الثالثة

الاهتمام بالعلامات اكثر من الشروط

وفتنة المادية الغربية

الحمد لله كما يستحقه(١) حمداً كثيراً وصلى الله على النبي وآله وسلّم تسليماً.

الصحيح هو الاهتمام بالشروط لا بالعلامات

ولكن الذي أريد أن أنبه عليه هو إن الصحيح الاهتمام بشروط الظهور الميمون لا علاماته فحصول العكس من قبل شيعة الإمام(عليه السلام) هي الشكوى الأخرى التي أريد أن أرفعها بالنيابة عنه(عليه السلام) ويتضح هذا التنبيه من خلال معرفة معنى الشرط والعلامة والفرق بينهما، وتوجد في كتاب الغيبة الكبرى(٢) لسيدنا الأستاذ(قدس سره) أفكار نافعة في هذا المجال سيتضمن الكلام بعضها بإذن الله تعالى.

فانهما يشتركان في كونهما مما يجب تحققه قبل الظهور وإلا فان تحقق الظهور قبل اجتماع أسباب نجاحه في تحقيق التخطيط الإلهي وهو ما نسميه بشرط الظهور يستلزم تحقق المشروط قبل شرطه أو فشل الإمام(عليه السلام) في مهمته وتحققه قبل العلامة يعنى تكذيب إخبار المعصوم(عليه السلام) عنها

(١) وقد علق سماحة الشيخ (دام ظله) على البدء بهذا المقطع بأننا لا نستطيع أن نحمد الله تعالى حق حمده فان قلنا الحمد لله زنة السماوات والأرض فهو قليل وان قلنا الحمد لله بعدد قطرات الماء فهو قليل وأي شيء نقوله فهو قليل بحق الله تعالى فإذاً نقول الحمد لله كما يستحقه وكما هو أهله.

(٢) صفحة ٣٩٥ وما بعدها.

وكلها مستحيلة لكنهما يفترقان من عدة جهات يظهر من خلالها وجوب الاهتمام بالشرط أكثر من العلامة.

الفرق بين الشرط والعلامة

و أول واهم فرق يستفاد من تعريفهما فان الشرط ما كان له مدخلية في تحقيق المشروط على نحو العلّية فان وجود النار وحده غير كافٍ لإحراق الأشياء من دون شرط الإحراق وهي المماسة والمحاذاة ويستحيل وجود المشروط وهو الظهور من دون شرطه وإذا تحقق الظهور من دونه فانه يستلزم فشله، أما العلامة فليس لها دخل عِلّي وسببي في تحقق الشيء ولكنها تفيد الكشف والدلالة على حصوله كوجود الدخان الدال على النار فانه يمكن أن توجد النار بلا دخان ولكن وجود الدخان كاشف عن وجود النار فلا ضرورة لحصول العلامات من هذه الجهة وانما يجب تحققها قبل الظهور من جهة أخرى هي لكيلا يستلزم كذب إخبار الإمام عليه السلام والنتيجة إن ارتباط الظهور بالشرائط ارتباط واقعي لأنها تدخل ضمن العلة والسبب له أما ارتباطه بالعلامات فهو ارتباط ظاهري بمعنى الكشف والإعلام.

وقد ذُكِرت فروق أخرى ليست ذات قيمة، ومما يقلل أهمية العلامات:

ضعف الروايات الدالة عليها وإن أمكن قبول بعضها باعتبار تأييد بعضها لبعض(١).

اختلافها في التفاصيل.

قابليتها للانطباق على أمور كثيرة كمقتل السيد الحسني فان العشرات من ذرية الإمام الحسن عليه السلام ثاروا في أيام الدولة الأموية والعباسية وانتهوا إلى الشهادة وقتل كثير غيرهم من بني الحسن عليه السلام أو علامة نزول الترك الجزيرة (٢) وقد نزلوها كثيراً خصوصاً أيام الاحتلال العثماني وكذا خروج الرايات السود من الشرق التي طبقت على أحداث كثيرة عبر التاريخ.

إن العلامات غير اختيارية لنا إما الشروط ونقصد بالذات الشرط الرئيسي وهو إعداد النفس لتتأهل لنصرة الإمام عليه السلام فهي اختيارية، فالأولى غير واقعة ضمن التكليف عكس الثانية ونحن يهمنا معرفة تكليفنا وما يجب علينا فعله.

إن تحقيق العلامات(٣) بل الظهور نفسه لا ينفعنا إن لم نكن من أهل التقى والإيمان والإخلاص والعمل الصالح لنحظى بنصرة الإمام عليه السلام فعلينا أن نفكر في كيفية وصولنا إلى هذه المرتبة ولنساهم في تحقيق شرط

---

(١) إذا تجمعت وكثرت عدة روايات على علامة واحدة فانه يحصل الاطمئنان بها

(٢) أي ما بين النهرين من العراق

(٣) والخطاب إلى كل من يهتم بالعلامات اكثر من الشروط.

الظهور وإلا سيكون ظهور الإمام عليه السلام قاصماً لظهورنا فاستمعوا بتدبر لقوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ﴾(١) وقال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾(٢) فأحد مصاديق الفتح هو يوم الظهور المبارك وحينئذ لا ينتفع به إلا من هذّب نفسه وآمن وعمل صالحاً وهو المعنى الحقيقي للانتظار.

الأعور الدجال ليس إنسانا

التزامها أسلوب الكناية والرمزية وحينئذٍ تختلف التفسيرات ولا يمكن الجزم بأحدها ومنها أخبار الأعور الدّجال الذي هو من العلامات الرئيسية قبل الظهور وقد ذُكرت له أوصاف عديدة إذا حاولنا تطبيقها على إنسان واحد فانه سيكون معجزة فإما ان ننكر هذا الشيء ونقول إن المعصومين عليهم السلام كانوا يروون عن ما يشبه قصص ألف ليلة وليلة وهذا عمل البطالين والعابثين لا الهداة الى الله والأدلاء على طاعته والقوّامين بأمره وأما أن نفسرها بوجه معقول يستوعب هذه الأوصاف، وبمناسبة الصراع الذي بدأه الغرب مع

(١) السجدة :٢٨ ـ ٣٠.

(٢) الأنعام من الآية:١٥٨.

الإسلام وأهله أنقل هذا التفسير لسيدنا الأستاذقُدِّسَ سِرُّه(١) الذي ينسجم مع هذا الصراع مع شيء من التبصر والتلخيص والبيان والتطبيق على الواقع المعاصر حيث يمثل الدّجال الحركة او الحركات المعادية للإسلام في عصر الغيبة عصر الفتن والانحراف بادئاً بالأسباب الرئيسية وهي الحضارة الغربية بما فيها من بهارج و هيبة وهيمنة على الرأي العام العالمي ومخططات واسعة ومنتهياً الى النتائج وهو خروج عدد من المسلمين عن الإسلام عملياً وان تسموا بالإسلام(٢) واعتناقهم المذاهب المنحرفة وما يعم الأفراد والمجتمعات من ظلم وفساد وإليك أوصاف الأعور الدجال بحسب ما جاء في الروايات من كتب الشيعة والسنة مع تطبيقها على هذه الأطروحة فليس هناك ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة خلق منحرف أكبر من الدّجال(٣) باعتبار هيبة الحضارة الغربية وعظمتها المادية ومخترعاتها وأسلحتها الفتاكة وتطرفها الكبير نحو سيطرة الإنسان والإلحاد بالقدرة الإلهية بشكل لم يعهد له مثيل في التاريخ ولن يكون له مثيل في المستقبل أيضاً لأن المستقبل سيكون في مصلحة نصرة الحق والعدل. وهذا التفسير واضح على الرواية الأخرى(أمر أكبر من الدّجال) مما يعني انه ليس رجلاً بعينه وإنما هو اتجاه حضاري معادٍ للإسلام.

---

(١) صفحة ٥٣٢ ـ ٥٣٧.

(٢) في حركاتهم وطباعهم وتصرفاتهم وملابسهم و قصات شعرهم.

(٣) إشارة إلى ما في بعض الروايات أنه (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق ـ وفي حديث آخر أمرٌ ـ أكبر من الدجال) المصدر /٥١٦ عن صحيح مسلم.

(وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر وان يأمر الأرض أن تنبت فتنبت)(١) وكل هذا وغيره مما هو أهم منه من أنحاء السيطرة على المرافق الطبيعية مما أنتجته الحضارة الغربية ولا تخفى ما في ذلك من الفتنة فان أعداداً مهمة من أبناء الإسلام حين يجدون جمال المدنية الغربية فانهم سوف يتخيلون صدق عقائدها وأفكارها وتكوينها الحضاري بشكل عام وهذا من أعظم الفتن والأوهام التي يعيشها الأفراد في العصور الحاضرة وهي غير قائمة على أساس صحيح إذ لا ملازمة بين التقدم التكنولوجي المدني والتقدم العقائدي والفكري والأخلاقي يعنى لا ملازمة بين الجانب الحضاري والجانب المدني في المجتمع فقد يكون المجتمع متقدماً إلى درجة كبيرة في الجانب المدني ومتأخرة إلى درجة كبيرة في الجانب الحضاري وأوضح مصاديقه الكيان الصهيوني فانه في طليعة المجتمعات المتقدمة تكنولوجياً إلا انك تجد الهمجية والوحشية في سلوكهم المنافي لكل القيم بما فيها تلك التي اجمعوا هم وكل أمم العالم على الالتزام بها بما يسمونها بحقوق الإنسان وكذا الولايات المتحدة التي تمثل النموذج الأرقى لتقدم الغرب إلا إنها في الحضيض من الناحية الأخلاقية وجرائمها في العراق واليابان وفيتنام وفلسطين والبوسنة وأفغانستان شواهد على ذلك.

(وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت وإن من فتنته أن يمر في الحي فيصدقونه فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر

(١) هذا ما ورد في بعض الأخبار عن صفاته.

الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمى ما كانت وأعظم وأمدّه خواصراً وأدره ضروعاً) وهذا يعني إلى وجه التعيين أن المكذب للمد المادي الأوربي والواقف أمام تياره يُمنى بمصاعب وعقبات ويكون المال والقوة إلى جانب السائرين في ركابها المتملقين لها المتعاونين معها والتعبير بالحي يعني النظر إلى المجتمع على العموم، وهذا هو الصحيح بالنسبة إلى المجتمع المؤمن في التيار المادي، إذ لو نظرنا إلى المستوى الفردي فقد يكون في إمكان الفرد المعارض أن ينال تحت ظروف معينة قسطاً من القوة والمال.

الدجال ينادي أنا ربكم الأعلى

والدجال أيضاً يدعي الربوبية إذ ينادي بأعلى صوته يسمع ما بين الخافقين يقول (اليَّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوى وقدّر فهدى أنا ربكم الأعلى(١)..(٢) وكل ذلك واضح جداً من سير الحضارة الغربية وأسلوبها فإنها ملأت الخافقين من خلال وسائل الإعلام الحديثة بمادياتها وعزلت البشر عن المصدر الإلهي والعالم العلوي فخسرت بذلك العدل والأخلاق والفكر الذي يتكلفه هذا المصدر وأعلنت عوضاً عن ذلك ولايتها على

(١) وهو لسان حال الولايات المتحدة

(٢) المصدر /٥١٢ عن سنن أبن ماجة وإكمال الدين للصدوق.

البشرية وفرضت أيديولوجيتها على الأفكار وقوانينها على المجتمعات بدلاً عن ولاية الله وقوانينه وهذا يعني ادعائها الربوبية على البشر أي إنها المالكة لشؤونهم من دون الله تعالى وهذا ما تريد الولايات المتحدة تسيير العالم عليه بما يسمونه بالعولمة والنظام العالمي الجديد وسخرت آليات لتنفيذه كالبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية وحتى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة وتريد أن تفرض رؤيتها على جميع البشر ولا مكان في هذا العالم لمن لا يوافقها وقد سبقها إلى ذلك فرعون الذي ادعى الربوبية وقال﴿مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى﴾(١) وأمريكا تكرر نفس الكلمة.

وضوح عبودية وانقياد أولياء أمريكا

وأما دعوتها لأوليائها من أطراف الأرض فليتم تثقيفهم الفكري وتربيتهم الأخلاقية والسلوكية تحت إشرافها ولترتبط مصالحهم الاجتماعية والاقتصادية بها وهذا واضح حيث تجدهم يتسابقون بين الحين والآخر لتقديم فروض الولاء والطاعة وكل ما تقتضيه واجبات الربوبية ولا يعتذرون عن أية تكليف يفرض عليهم كموالاة صديقهم(٢) ومعاداة عدوهم وإن كان أخاً صادقاً في الله وتقديم التسهيلات العسكرية وترويج البضائع وفتح الأسواق وابتزاز الأموال تحت عناوين شتى.

---

(١) غافر من الآية :٢٩.

(٢) لاحظ تطبيع العلاقات مع الكيان الصهيوني الغاصب

علة استثناء مكة والمدينة

(ولا يبقى شيء من الأرض إلا وطأه وظهر عليه إلا مكة والمدينة)(١) وهو ما حدث فعلاً بالنسبة إلى انتشار الفكر الغربي والتأثر والانبهار به والتقليد الأعمى له في كل البسيطة فليس هناك دولة في العالم اليوم لا تعترف بالاتجاهات العامة للفكر والقانون الغربي(٢).

واما استثناء مكة والمدينة فهو يعني ان الفكرة الإلهية المتمثلة بمكة والفكرة الإسلامية المتمثلة بالمدينة المنورة لا تنحرف بتأثير المد الغربي بل تبقى صامدة محفوظة في أذهان أهلها وإيمانهم وهذا يدل على انحفاظ الحق في الجملة بين البشر وإن الانحراف لا يشمل البشر أجمعين وإن كانت نسبة أهل الحق إلى غيرهم كنسبة مكة والمدينة إلى سائر مدن العالم كله ﴿**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾(٣) وهذا مطابق لما يقتضيه التخطيط الإلهي لليوم الموعود من بقاء قلة من المخلصين الممحصين المندفعين في طريق الحق وأكثرية من المنحرفين والكافرين ويكون لأولئك القلة المناعة الكافية ضد التأثير بالأفكار المادية والشبهات المنحرفة بل ان هذه الشبهات لتزيدهم وعياً وإيماناً وإخلاصاً، ولا يزال الغربيون حريصين على انتهاء رموز الإسلام هذه،

---

(١) المصدر /٥١٦ عن سنن ابن ماجه.

(٢) فالفكر الغربي غزا مجتمعاتنا كلها فكل حركاتها وقوانينها على النمط الغربي.

(٣) التوبة(٣٢).

قال المبشر وليم جيفورد (متى توارى القرآن ومدينة مكة(١) من بلاد العرب يمكننا حينئذٍ أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه) فهدفهم إخراج المسلمين من قيمهم ودينهم وتفتيت الوحدة الإسلامية وتمزيقها(٢) وهذا هو معنى ما ورد في بعض أخبار الدجال من منعه عن مكة والمدينة بواسطة ملك بيده سيف مصلت يصده عنها(٣) وان على كل نقب ملائكة يحرسونها(٤). فإن تشبيه العقيدة الإسلامية بالملك ومناعتها بالسيف ما لا يخفى لطفه واما كون الملائكة على كل نقب فهو يعني الإدراك الواعي للمؤمن بأن في الإسلام حلاً لكل مشكلة وجواباً على كل شبهة فلا يمكن لشبهات الآخرين أن تغزو فكره او تؤثر على ذهنه ومن هنا تبرز المسؤولية العظيمة الملقاة على العلماء والفضلاء من أبناء الحوزة العلمية الشريفة في الوقوف بوجه الشبهات وردّها والدفاع عن الإسلام العظيم وسد الثغرات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية وحتى الاقتصادية التي يمكن أن ينفذ العدو من خلالها(٥)، أليسوا هم(حصون الإسلام) كما تصفهم الأحاديث؟. فما هو دور الحصن غير حفظ الكيان ومنع هجمات العدو و أليسوا هم (أمناء الرسل) فإذن قد ائتمنهم الرسل على

---

(١) يريد بالقرآن الفكر والوعي ويريد بمكة وحدة المسلمين وعقيدتهم

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر والعولمة/١٦٩

(٣) يعني في كل جيل يوجد خلف يحافظ على الدين ويمنع دخول الدجال مكة والمدينة.

(٤) إشارة الى حديث رواه مسلم في الصحيح يقول فيه الدجال (فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده سيف صلتاً يصدني عنها) المصدر /٤٨٤.

(٥) فإذا وجد الفرد ضالته في الحوزة فان ارتباطه بها سيكون وثيقا ولا يغادرها إلى غيرها.

كل المسؤوليات التي تحملها أولئك الكرام وبالمقابل على الأمة أن تلتف حول علمائها وتلجأ إليهم في كل صغيرة وكبيرة وإلا ضاعوا وضلوا ووقعوا في فتنة الدجال من حيث لا يشعرون.

الدجال باق من زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

والدجال طويل العمر باقٍ من زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حين لم يؤمن برسالته من ذلك الحين بل ادعى الرسالة دونه(١) ولا زال على هذه الحالة إلى الآن.

فان الدجال أو المادية تبدأ أسسها الأولى من زمن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حيث كان للمنافقين أثرهم الكبير في إذكاء أوارها ورفع شأنها فكانوا النواة الأولى التي حددت تدريجياً سير التاريخ على شكله الحاضر بانحسار الإسلام عن وجه المجتمع في العالم وسيطرة المادية والمصلحية عليه.

إذن فالمنافقون الذين لم يؤمنوا برسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أولئك الذين كان مسلك الدجل والخداع مسلكهم إذ يظهرون غير ما يبطنون، هم النواة

---

(١) كما في الخبر الذي أخرجه مسلم عن عبد الله قال: (كنّا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد ففَر الصبيان وجلس ابن صياد فكأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كره ذلك فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تربت يداك أتشهد أني رسول الله؟ فقال: لا بل تشهد أني رسول الله، فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتى أقتله. فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله) المصدر /٥١٥.

الأولى للمادية المخادعة التي تظهر غير ما تبطن وتبرقع قضاياها بمفاهيم العدل والمساواة فهذا هو الدجال بوجوده الطويل.

معنى ادعاء الدجال الرسالة

ومن هنا نفهم معنى ادعائه للرسالة فان المادية كانت ولا تزال تؤمن بفرض ولايتها على البشر غير انها كانت في المجتمع النبوي ضعيفة التأثير جداً لا تستطيع الارتباط بأي إنسان ولكن حين أُذن للدجال المادي بالخروج(١) بعد وفاته عليه السلام انطلقت النفوس الأمارة بالسوء من قمقمها وبلغت فتنته الذروة اليوم حين استطاعت المادية أن تفرض ولايتها وسلطتها على العالم.

ومن هذا المنطلق تفهم بكل وضوح معنى انه عند الدجال ماء ونار وماؤه في الحقيقة هي نار وناره هو الماء الزلال وقال النبي صلى الله عليه وآله في الحديث (فمن أدرك ذلك فليقع في الذي يراه ناراً فانه ماء عذب طيب)(٢) فإن ماء الدجال هي المغريات والمصالح الشخصية التي تتضمنها الحضارة المادية لمن تابعها وتعاون معها، وناره عبارة عن المصاعب والمتاعب والتضحيات الجسام التي يعانيها الفرد المؤمن الواقف بوجه تيار المادية الجارف وتلك

(١) إشارة الى الحديث في صحيح مسلم عن لسان الدجال (وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج) المصدر /٥١٤.

(٢) أخرجه بهذا التفصيل مسلم في صحيحه١٩٦/٨وروى صدره البخاري ٧٥/٩ في صحيحه/المصدر ٥١٥.

المصالح هي النار أو الظلم الحقيقي، وهذه المصاعب هي الماء العذب أو العدل الحقيقي ومن الطبيعي ان النبيﷺ بصفته الداعية الأكبر للإيمان الإلهي ينصح المسلم بأن لا ينخدع بماء الدجال وبهارج الحضارة ومزالق المادية وأن يلقي بنفسه فيما يراه ناراً ومصاعب فانه ينال بذلك طريق الحق والعدل. والرمزية والكناية واضحة لانه ليس المراد به الماء والنار على وجه الحقيقة وإلا لزم نسبة المعجزات إلى المبطلين.

ومن طريف ما نستطيع ان نلاحظ في المقام ان النبيﷺ لم يقل في الخبر: ان الناس جميعاً حين يقعون في الماء فانهم يجدونه ناراً أو حين يقعون في النار يجدونها ماءاً، بل يمكن أن نفهم إن بعض الناس وهم المؤمنون خاصة هم الذين يجدونه ذلك وإلا فان أكثر الناس حين يقعون في ماء الدجال أو بهارج المادية لا يجدون إلا اللذة وتوفير المصلحة كما انهم حين يقعون في المصاعب والمتاعب لا يجدون إلا الضيق والكمد.

لماذا الدجال اعور؟؟

والدجال أعور(١). وهو كذلك بكل تأكيد من حيث ان الحضارة المادية تنظر إلى الكون بعين واحدة، تنظر إلى مادته دون الروح والخلق

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٥/٩) عن أنس قال: قالﷺ (ما بُعِثَ نبي إلا أنذر أمته الأعور والكذاب، ألا أنه أعور وإن ربّكم ليس بأعور) وأخرج مسلم نحوه (١٩٥/٨).

الرفيع والمثل العليا ومن يكن أعور غير مدرك للحقائق فكيف يكون رباً صالحاً للولاية على البشرية - وانما تكون الولاية خاصة بمن ينظر إلى الكون بعينين سليمتين فتكون نظرته متوازنة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾(١) ويتعامل مع جميع مفرداته بما فيه من مادة وروح ويعطي لكل زاوية حقها الأصيل(وإن ربكم ليس بأعور) بل ان ربي على صراطٍ مستقيم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢)

والدجال كافر لأنه يعبد المادة والمصالح ولا يعبد الله ولا يطيعه ولا يلتفت إليه ويطيع شهوات النفس ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾(٣) وهذا بعينه ما يقوله الغرب فلا وجود ولا اعتبار للآخرة في حياتهم وانما خلقنا لنتمتع ولنعبَّ من الشهوات أكبر قدر ممكن ولو على حساب كل القيم والمثل التي تليق بالإنسان لذلك فهم يعادون الإسلام وبعيدون عن الحق والصواب لان الإسلام يحاسبهم ويمنع من ممارساتهم الخاطئة ويدعو إلى مواجهتهم.

---

(١) القمر:٤٩.

(٢) الأنعام:١٥٣.

(٣) الجاثية:٢٣-٢٤.

معرفة المؤمنين بكفر المنحرفين

(مكتوب بين عينيه كافر يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)(١) فان هذه الكتابة ليست من جنس الكتابة وانما هي تعبر عن معرفة المؤمنين بكفر المنحرفين ونفاقهم وهذا لا يتوقف عن كون الإنسان قارئاً وكاتباً أولم يكن، ومن المعلوم اختصاص هذه المعرفة بالمؤمنين(يقرأه كل مؤمن) لأنهم يعرفون الميزان الحقيقي العادل لتقييم الناس وأما المنحرفون فهم لا يقرءون هذه الكتابة وان كانوا على درجة كبيرة من الثقافة لانهم مماثلون لغيرهم في الكفر والانحراف،ومن الطبيعي أن لا يرى الفرد أخاه في العقيدة كافراً. وأنت تجد اليوم كل مؤمن بالله والمثل الإنسانية العليا وإن لم يكن مسلماً يشمئز ظلم أمريكا والكيان الصهيوني ويستهجن استعلائهم وعنجهيتهم واستهتارهم بهذه القيم حتى ان العشرات من مفكري ومثقفي أمريكا وقّعوا وثيقة أرسلوها إلى نظرائهم الأوربيين اعترضوا فيها على وصف الحرب التي أعلنتها أمريكا ضد ما يسمى بالإرهاب بالعادلة وان من يعادي الولايات المتحدة وهو محور الشر وطالبوهم بعدم الخشية من إعلان مثل هذا الرأي خوفاً من إلصاق تهمة الشر بهم(٢) وفي مقابل ذلك يوجد من أعمته المادة كالمفكر ـ حسب ما يصفونه ـ البريطاني كوفر الذي يُعد من أشد المساندين لسياسة بلير يقسّم في مقال بثّه عبر الإنترنت العالم المعاصر إلى متحضر

(١) البخاري (٧٦/٩) وصحيح مسلم (١٩٥/٨) راجع المصدر المذكور /٥١٢.

(٢) من أخبار يوم ٢٠٠٢/٤/١٠

ومتخلف ويدعو إلى تطبيق القانون على الأول فقط أما الثاني فتطبق بحقه شريعة الغاب والعنف والاستعباد لأنهم خطر على العالم المتحضر(١) فأين هذا من مبدأ الإسلام ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(٢) من دون استثناء.

الحوزة تحذر من الوقوع في فتنة الغرب الكافر

ومن أجل هذه الخصائص الخطيرة للدجال التي قلّ من ينجو من الوقوع في فخوخها حذّر النبيصلى الله عليه وآله أمته منه واستعاذ من فتنته لأجل أن يأخذ المسلمون حذرهم على مدى التأريخ من النفاق والانحراف والمادية بل قد حذر كل الأنبياءعليهم السلام أممهم من فتنة الدجال لما سبق أن فهمنا ان المادية السابقة على الظهور هي من أعقد واعمق الماديات على مدى التاريخ البشري (ما بين خلق آدم إلى يوم القيامة) وتشكل خطراً حقيقياً على كل الدعوات المخلصة للأنبياء أجمعينعليهم السلام ونحن بدورنا نحذّر من الوقوع في شراك الحضارة الزائفة التي يدعيها الغرب ويخفي في داخلها السم الزعاف وادعوا الذين انبهروا بهم فقلدوهم في أفكارهم وسلوكياتهم ونظرتهم للحياة حتى عادوا يتباهون بهذه التبعية ويتبجحون بها وأخص بالذكر أساتذة الجامعات والمثقفين والشباب وأطلب منهم ان لا ينخدعوا بالظاهر بل لينظروا بعين

(١) من أخبار يوم ٢٠٠٢/٤/١٠

(٢) الأنبياء:١٠٧.

البصيرة فانهم نخبة المجتمع والقادرون على توجيهه، وأنا لا أقول بالتقاطع التام مع الغرب لأن عندهم ما هو نافع كالعلم والتكنولوجيا ولكن لا يلزم من ذلك التبعية الفكرية والأخلاقية والاجتماعية والقانونية فان عندنا شريعة وضعها خالق البشر والعالم بما يصلحهم والقادر على إسعاد البشرية في كل زمان ومكان ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(١) وأذكر لكم مثالاً التقطته من الإذاعات قبل أشهر (الدكتور عبد الطيف المر استشاري الصحة العامة في دولة الكويت في برنامج ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٢) بمناسبة إعلان أمريكا حرباً عامة ضد السمنة وقد ظهرت الإحصائيات التالية (٩٠ مليون مصاب أي ثلث عدد السكان، ٣٠٠ ألف يموتون بسبب مرض القلب الناشئ من السمنة فقط، إن السمنة سبب لسرطان القولون وهو في النساء أكثر من الرجال، وانه سبب لمرض السكر وهكذا) وكانت نصائحهم: تقنين الغذاء كيفاً (بالاهتمام بالفواكه والخضراوات وتقليل الدهون) وكماً ـ زيادة الحركة ـ وهذه قد جاء بها القرآن منذ ١٤٠٠ عام بنصف سطر ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا﴾(٢) وفرض حركات رياضية تؤدى(١٧) مرة يومياً وموزعة بانتظام على الوقت وهي الصلاة وفرض صوم في السنة شهراً لتنظيم عمل المعدة وإصلاح أي خلل حصل في طول العام هذا غير النصائح الأخرى كـ (المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء) وقوله عليه السلام (فإن كان ولا بد فثلث لطعامك وثلث

---

(١) الأعراف:٩٦.

(٢) الأعراف من الآية:٣١.

لشرابك وثلث لنَفَسِكَ) وهكذا فلو اتبعنا تعاليم الإسلام لوفرنا الكثير من الجهد والمال والتجارب والإحصاءات.

الدجال حقير أمام الحق

وهو أي الأعور الدجال رمز الحضارة الغربية بالرغم من ذلك كله (أهون على الله من ذلك)(١) باعتباره حقيراً أمام الحق والعدل مهما كانت هيمنته الدنيوية وسعة سلطته وليس وجوده قدراً قهرياً أو أثراً تكوينياً اضطرارياً وإنما وجد من أجل التمحيص والاختبار بالتخطيط الإلهي العام وسوف يزول عندما يقتضي هذا التخطيط زواله، عند الظهور وتطبيق يوم العدل الموعود ومن هنا نفهم انه لا تعارض بين الخبر الدال على إن معه جبل خبز ونهر ماء والخبر الدال على انه أهون على الله من ذلك، فإن هوانه عند الله لاينافي حصوله على السلطة والإغراء أخذاً بقانون التمحيص والإمهال الإلهي طبقاً لقوله تعالى ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(٢) وقال تعالى ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا**

---

(١) إشارة إلى ما أخرجه الصحيحان (البخاري ١٧٤/٩، مسلم ٢٠٠/٨) عن المغيرة بن شعبة (ما سأل أحدٌ النبي ﷺ عن الدجال ما سألته وإنه قال لي: ما يضرّك منه؟ قلت: لأنهم يقولون أن معه جبل خبز ونهر ماء، قال ؟: هو أهون على الله من ذلك) المصدر ٤٩٠/
(٢) يونس من الآية:٢٤.

فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلاّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾(١) وقال تعالى ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾(٢).

أهمية العلامات

وأعود الآن إلى ما بدأنا منه وهو التقليل من أهمية العلامات ولا أريد أن يفهم من ذلك إلغاء دورها وإلا لماذا ركز عليها المعصومون عليهم السلام بهذه الكثرة من الأحاديث فتبقى لها أهميتها من عدد جهات:

إنها تشكل محطات لتجديد الأمل وبعث الروح في نفوس المظلومين والمستضعفين وكل من ينشد بسط العدل والحرية في جميع الأرض.

إنها تمثل جانباً إعجازياً للمعصومين عليهم السلام حيث إنها كانت في حين صدورها إخباراً عن الغيب فتحققها يثبت أن مصدرها من الله تعالى(٣).

(١) الأعراف:٩٤ ـ ٩٥.

(٢) آل عمران :١٧٨.

(٣) وكذلك هي من مصاديق قوله تعالى﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ البقرة:٣.

إنها تدفع المؤمنين بالإمامعليه السلام والساعين إلى نصرته أن يضاعفوا الهمة في الاستعداد للظهور سواء على صعيد بناء النفس أو إصلاح المجتمع وتشحذ من عزمهم في هذا الاتجاه فانه المعنى الحقيقي لانتظار الإمام وترقب ظهوره المبارك.

إن بعض العلامات تدخل في ضمن الشروط كفتنة الدجال فإنها مرحلة مهمة من مراحل التمحيص والغربلة التي وعدت بها الروايات كقول الإمام الصادقعليه السلام (إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد يأس ولا والله حتى تُمَيزوا ولا والله لا يأتيكم حتى تُمَحصوا، لا والله لا يأتيكم حتى يشقى من يشقى ويسعد من يسعد)(١).

الكثير من العلامات مرتبطة بالظلم

كما إن الكثير من العلامات مرتبطة بالظلم والانحراف الذي يسود البشرية قبل الظهور فكثرة الزلازل والفيضانات والكوارث الطبيعية هي بسبب سوء سلوك الناس ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢) لأن الكون خاضع لسنن الهية

(١) المصدر ٢٦٠/ ويمكن أن يضاف إن هذه العلامات تكون موضع بحث ودراسة ونقاش من قبل المهتمين بظهور الإمامعليه السلام مما يؤدي الى طرح نظريات كثيرة كلها تسهم بشكل أو بآخر في تسليط الضوء على الإمامعليه السلام ودوام ذكره.

(٢) الروم:٤١.

ثابتة قائمة على أساس التوحيد ويرتبط بعضها ببعض خيراً وشراً كما مرّ في الآية السابقة(ولو أن أهل القرى ...) وقد لا تقتنع بهذا الربط فانقل لك من الوقائع الحالية ما يثبت هذه العلاقة ففي شهر آب / ٢٠٠٢ اجتاحت موجة من الفيضانات بعض دول أوربا (ألمانيا، النمسا، جيكوسلفاكيا) واستمرت أيام وفي كل يوم كان يتوقع الأسوأ ففي شرق ألمانيا فقط(١) (١٥ قتيل، ٣٠ ألف مشرد، ارتفاع منسوب المياه في النهر في درسدن العاصمة الثقافية والتاريخية لشرق ألمانيا إلى (٩،٥) متراً في حين أن معدله عند الارتفاع ٥ ـ ٦ متراً) ولم تشهد أوربا مثل هذه الموجة منذ ١٥٠ عاماً ويلقون باللوم على أمريكا التي لم توقع على معاهدة كيوتو للمحافظة على البيئة لدرء خطر الاحتباس الحراري عند تشغيل المعامل كلها سوية وهذا الاحتباس زاد من درجة الحرارة فأدى إلى زيادة ذوبان الجليد وغزارة الأمطار فحدث ما حدث وهذا شاهد على اختلال التوازن الطبيعي بسوء تصرف الإنسان وقد وقفت أعتى تكنولوجيتهم عاجزة ـ كما يعترفون ـ أمام هذه الكوارث الطبيعية فيوجد إذن ارتباط وتسلسل علل ومعلولات، يبدأ الناس بعصيان أوامر الله والخروج عن شريعته ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر وإحدى نتائج ترك هذه الفريضة تسلّط الأشرار الذي لا يعرفون غير أنانيتهم ومصالحهم فيفسدون النظام الجاري في الطبيعة فتحصل الكوارث.

وعلى العكس فيما لو ساد البشرية العدل فسيؤدي كل عنصر في هذا

---

(١) أخبار يوم ٢٠٠٢/٨/١٧

الكون وظيفته على أتم ما يكون وتنعم الدنيا كلها بثماره الطيبة.

أما عدّها من العلامات دون الشروط فلوجهين:

إن الروايات نظرت إليها بهذا اللحاظ أي الكشف والدلالة عن الظهور.

إنها ليست واقعة في علل الظهور بل هي من نتائج ومعلولات بعض علل الظهور.

ولا استبعد أن تكون هذه الفتنة التي أطلّت على مجتمعاتنا الإسلامية وبلدنا بالذات هي التي قصدها الإمام المهدي عليه السلام في رسالته الأولى إلى الشيخ المفيد قدس سره(١) وبيّن خلالها تكليف شيعته إجمالاً فقد جاء فيها (فاتقوا الله جل جلاله وظاهرونا على إنتياشكم - أي إنقاذكم - من فتنة قد انافت - أي أطلت وارتفعت - عليكم يهلك فيها من حمّ اجله - أي قرب - ويُحمى عنها من أدرك أمله وهي إمارة لأزوف - أي اقتراب - حركتنا ومباثتكم بأمرنا ونهينا والله متم نوره ولو كره المشركون. اعتصموا بالتقية، من شب نار الجاهلية) إلى ان يقول عليه السلام (فليعمل كل امرئ منكم بما يقرب به من محبتنا ويتجنب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا فان أمرنا بغتة فجأة حين لا تنفعه توبة ولا ينجيه من عقابنا ندم على حوبة والله يلهمكم الرشد ويلطف لكم في التوفيق برحمته).

---

(١) الاحتجاج ٣٢٣/٢.

وصية الإمام عليه السلام إلى شيعته

وإذا أردنا أن نترجم هذه الرسالة إلى وصايا وتكاليف من الإمام عليه السلام إلى شيعته استخلصنا النقاط التالية:

تذكر الإمام عليه السلام دائماً(١) والدعاء له بالتأييد والنصرة والحفظ والتوسل به في طلب كل الحوائج(٢) وترقب ظهوره عليه السلام.

ان يكون المسلم على مستوى ما يريده الإمام عليه السلام منه من الالتزام بالشريعة والأخلاق الفاضلة والآداب السامية والعقائد الصحيحة في ضوء ما وردنا عن المعصومين عليهم السلام حتى يفخر بكم إمامكم ويقول هؤلاء شيعتنا المتأدبون بأدبنا وكما أوصاكم الإمام الصادق عليه السلام (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً) وقد خصصنا الشكوى الأولى(٣) لبيان صفات المسلم الحق التي هي صفات أنصار الإمام عليه السلام.

التمسك بالحوزة الشريفة ممثلة بعلمائها وفضلائها الواعين المخلصين الذين لا يصدونكم عن هدى ولا يوردونكم الردى فانهم ورثة الأنبياء

(١) هل فكرت أثناء زياراتك أن تصلي للإمام عليه السلام ركعتين أو تتصدق لحفظ الإمام عليه السلام؟ فنحن الذين غيبنا الإمام عن أفكارنا وأذهاننا مع العلم نحن نعيش بحفظه ودعائه.

(٢) وقد تعلمت انا شخصياً أني كلما استعصى عليّ أمر اندب الإمام بقول(يا أبا صالح المهدي أدركني) فيساعدني في قضائها بإذن الله تعالى.

(٣) محاضرة ١٣/رجب/١٤٢٣ هـ في ذكرى ميلاد أمير المؤمنين عليه السلام.

و أمناء الرسل عليهم السلام والإدلاء إلى طاعة الله تعالى وهم امتداد أهل بيت العصمة عليهم السلام الذين وصفهم الإمام السجاد عليه السلام بأنهم (المتقدم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق) فكونوا ملازمين لهم مطيعين ولا تعرضوا عنهم وتخلفونهم وراء ظهوركم فتهلكوا ولا تنساقوا وراء أهوائكم فتنشغلون بالتفتيش عن عيوبهم ونقائصهم مادام خطهم العام هو حفظ الدين وهداية الناس وإصلاحهم.

رفض التبعية للغرب والمحافظة على شخصيتنا الأصيلة بكل عناصرها سواء في المظهر أو في العقيدة أو في الفكر والثقافة والنظر إلى ما يأتينا منه بعين البصيرة والالتفات إلى قبائحه ومساوئه والأمراض النفسية والاجتماعية والأخلاقية التي تعصف بمجتمعاتهم وستأتي على بنيانهم من القواعد عما قريب ما لم يعودوا إلى طريق الصواب الذي بدأت الدعوات من مثقفيهم و مفكريهم تتصاعد بالمطالبة به إلا أنها لا تجد آذاناً صاغية بسبب طغيان المادة وإضلال المضلين واتباع الشهوات.

العمل على حفظ وحدة المجتمع(١) والوقوف في وجه من يشق عصا المسلمين ويلقي بينهم بذور الخلاف، قال تعالى ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

(١)بنبذ نقاط الاختلاف التي لا يخلو دين او مذهب منها والتركيز على نقاط الاشتراك فأعداؤنا بالرغم من وجود نقاط اختلاف كثيرة فيما بينهم إلا انهم قد اجتمعوا على محاربة الإسلام فلماذا إذن لا نجتمع نحن على محاربتهم؟!

فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

الغيرة على الدين وعلى حرمات الله وأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد آلمني ما سمعت من إن الإفطار كان علنياً وبوضوح داخل الجامعات في شهر رمضان المنقضي من دون أن يتصدى المؤمنون لردعهم ولو قاموا جميعاً بوظيفتهم هذه لأوجدوا زخماً اجتماعياً(٢) لا يستطيع أولئك الأشقياء أن ينتهكوا حرمات الله في هذا الشهر العظيم.

مسؤولية الحوزة

فهذه بعض وظائف المجتمع وهناك مسؤوليات على الحوزة الشريفة أيضاً منها:

أ- بيان عظمة الإسلام في عقائده وتشريعاته وآدابه وإبراز نقاط القوة فيه ونفي الشبهات والدفاع عنه وكونوا من أهل هذا الحديث الذي مضمونه (إن لهذا الدين في كل خلف رجال ينفون عنه شبهات المبطلين).

ب -العمل على تربية الأمة وتهذيبها وتثقيفها وتوجيهها نحو طاعة الله

---

(١) آل عمران:١٠٣.

(٢) فكم هو جميل أن تتظافر الجهود وتتحد القوى في القضاء على المعصية وكم سيكون صوت الحق قويا وكم سيكون الباطل ضعيفا منبوذا، وتستطيع ان تلمس ذلك من خلال المواقف التي مرت بك عندما تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ويوجد من هو بجانبك ويضم صوته إلى صوتك وعلى العكس فيما لو كان صوتك وحيدا بين عدد كبير من الناس.

بتكثير فرص الطاعة أمامهم وتقليل فرص المعصية واتخاذ شتى الأساليب والوسائل في هذا السبيل.

ج ـ تجسيد واقع الإسلام في حياتهم حتى يكونوا أسوة حسنة تقتدي الناس بأفعالهم قبل أقوالهم.

ونقاط كثيرة قد أشرت إلى بعضها في محاضرات سابقة وربما سنحت الفرصة لغيرها في المستقبل بإذن الله تعالى.

أسأل الله جلت آلاءه أن يفيض علينا من الطاقة ما يبلّغنا بها غاية رضاه وأن يسدّد خطانا جميعاً ببركة سيدنا ومولانا صاحب العصر أرواحنا له الفداء إنه ولي النعم والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الشكوى الرابعة

حبس الحقوق الشرعية

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين، الشكوى الرابعة بحسب ترتيب هذا الكتاب للإمام عليه السلام(١) ما جاء في الرسالة الثانية التي وجّهها الإمام المهدي عليه السلام إلى الشيخ المفيد رحمه الله والمؤرخة غرة شوّال سنة اثني عشر وأربعمائة(٢) أي قبل أكثر من ألف عام (ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين(٣)، أيّدك الله بنصره الذي أيّدَ به السلف من أوليائك الصالحين إنه من اتقى ربَّه من إخوانك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحقيه كان آمناً من الفتنة المبطلة ومحنها المظلمة المضلّة ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وأخرته، و لو أن أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليُمن بلقائنا ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل).

(١) بعدما كانت الشكوى الأولى التي هي بمناسبة ولادة أمير المؤمنين عليه السلام والتي دار موضوعها حول صفات المؤمن وصفات الشيعة.

(٢) تجدها في كتاب الاحتجاج للطبرسي ج٢/ ٣٢٤. والذي يظهر من تاريخ التوقيع الثاني انه وصل الى الشيخ قبل وفاته بثمانية اشهر تقريبا حيث كانت وفاته في يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر رمضان المبارك سنة ٤١٣هـ وعمره الشريف ٧٥سنة او ٧٧سنة وقبره اليوم في الرواق الكاظمي. وجاء في طرائف المقالات ج٢ عن الشيخ يحيى ابن بطريق الحلي (إن الإمام الحجة عليه السلام كتب إلى الشيخ المفيد رحمه الله ثلاث كتب في كل سنة كتابا).

(٣) لم يجاهد بسيف بل دفع الكثير من الشبهات عن مذهب أهل البيت عليهم السلام.

أسباب حرمان البشرية من لقاء الحجة عليه السلام

فالإمام عليه السلام يبينُ في هذا المقطع من الرسالة الشريفة أسباب حرمان البشرية وخصوصاً شيعته من طلعته المباركة وألطاف لقائه السنية ويخصُ شيعته بالتأسف لأنهم مستحقون للفوز بلقائه بما يحملون من ولاء ونصرةً واعتقاد راسخ بهـم عليه السلام إلا إنه يمنعهم من ذلك بعض الموانع أما غيرهم فهم غير مستحقين أصلاً للتشرف بلقائه، وقد جعل من أهم تلك الأسباب امتناعهم عن أداء الحقوق الشرعية التي فرضها الله تبارك وتعالى في أموالهم وإيصالها إلى مستحقيها

الأمور المترتبة على عدم دفع الحقوق

وقد رتب عليه السلام على ذلك أمرين:

١ـ تأخير ظهوره عليه السلام وبما يعني استمرار معاناة البشرية من الظلم والاضطهاد والتعسف والانحراف والضلال وكثرة مستحقي النار من البشر.

٢ـ عدم الأمان من الفتن المضلة لأن رايات ضلال عديدة تخرج قبل ظهور القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وتخلط الأوراق على الناس فيتيهون ولا يستطيعون التمييز بين راية الحق وراية الباطل وقد عبّر أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام عن

مخاوفه من مثل تلك الفتنة وسأل عن كيفية النجاة والإصابة في التمييز بين هذه الدعوات المختلطة فقال عليه السلام: (والله إن أمرنا لأبين من الشمس)(١) ومن مقومات هذا الوضوح بحسب ما أفادته الرسالة الشريفة أداء الحقوق الشرعية

كيف يبخل الناس على الله بما رزقهم؟

كما تشير الرسالة ضمناً إلى أن كل ما بأيدي الناس من أموال إنما هو شيء رزقهم الله تعالى إياه ولو شاء منعهم فكيف يبخلون عليه تبارك وتعالى بطاعته وتنفيذ أمره في إنفاق البعض اليسير مما رزقهم(٢) لقضاء حوائج المحتاجين الذين ابتلاهم الله بالمنع والفقر كما ابتلى هؤلاء بالعطاء والغنى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ هود.

---

(١) إلا إن هذه الأضاليل تمرر على الذين لم يعدوا أنفسهم الإعداد المطلوب لتحمل أمر الإمام عليه السلام (إن امرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب او نبي مرسل او عبد امتحن الله قلبه للإيمان) أما المؤمن المخلص لله تعالى فسيكون أمر الإمام عليه السلام له أوضح من الشمس وشواهد ذلك في واقعنا المعاصر كثيرة فكم ممن لهم مكانة علمية مرموقة تخفى عليهم أوضح الواضحات وتمرر عليهم الأباطيل وكم من البسطاء ذوي القلوب النقية تعرف الحقيقة وتهتدي لها بيسر والمعيار في ذلك كله التقوى جاء في نهج البلاغة (واعلموا انه من يتق الله يجعل له مخرجا من الفتن ونورا من الظلم).

(٢)قال تعالى ﴿قُلْ لِعِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرًّا وعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ ولا خِلالٌ﴾ و ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ ولا خُلَّةٌ ولا شَفاعَةٌ والْكافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ و ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ويُقِيمُونَ الصَّلاةَ ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾.

لماذا نركز حديثنا على الخمس؟

وتندرج تحت عنوان الحقوق الشرعية مصاديق عديدة كالزكاة والخمس والكفارات والنذور وردود المظالم أما الإنفاق المستحب فمجالاته واسعة جداً، ونحن نركّز في حديثنا هذا عن الخمس لأمرين:ـ

١ـ إنه من أهم الفرائض المالية ويشكل اليوم عنصراً مهماً لحفظ التوازن الاقتصادي في المجتمع بعد أن قلّ دور الزكاة عمّا كانت عليه في صدر الإسلام بسبب تغيّر الحياة الاقتصادية فبعد أن كانت عُمدَة واردات الناس مستندة إلى الزراعة وتربية الحيوانات التي هي موارد وجوب الزكاة أصبحت اليوم مستندة إلى التجارة والصناعة والحرف مما يخرجها عن دائرة وجوب الزكاة فيشملها الخمس فيكون تشريعه إلى جنب تشريع الزكاة دليلاً على خلود هذه الرسالة وصلاحيتها لتنظيم حياة البشرية إلى النهاية حيث خطط الشارع المقدس لكل تغيرات الحياة.

٢ـ توالي هجمات التشكيك في وجوب الخمس وصدّ الناس عن أداء هذه الفريضة بأساليب مختلفة تأتي الإشارة إليها بإذن الله تعالى.

مانع الخمس يستحق النار

والخمس فريضة واجبة كوجوب الصلاة والصوم والزكاة والحج في الموارد التي ذكرها الفقهاء قدس سرهم استناداً إلى القرآن الكريم وسنة النبي العظيم صلى الله تعالى عليه وعلى وآله الطاهرين الذين هم عدلُ الكتاب(١) فمن أخلَّ بشيء منها فقد ارتكب كبيرة يستحق عليها **﴿ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ والْحِجارَةُ عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ ويَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ﴾** التحريم، **﴿يَوْمَ تَرَوْنَها تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَها وتَرَى النَّاسَ سُكارى وما هُمْ بِسُكارى ولكِنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾** الحج، وقد عدّت بعض الروايات الشريفة بصراحة حبس الحقوق الشرعية من غير عسر من الكبائر. وقرنها الإمام الرضا عليه السلام(٢) إلى الزنا وشرب الخمر واللواط والفرار من الزحف وأكل مال اليتيم والربا. وكذا في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام(٣).

ما هو الدليل على وجوب الخمس؟

وقد نصّ القرآن على وجوب الخمس بقوله تعالى **﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ولِلرَّسُولِ ولِذِي الْقُرْبى والْيَتامى والْمَساكِينِ**

---

(١) راجع كتاب (شكوى القرآن).

(٢) الوسائل، ح١١، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس وما يناسبه، باب ٤٦ ح ٣٣.

(٣) نفس المصدر ح٣٦.

وابْنِ السَّبِيلِ﴾ الأنفال(٤١)، ويراد بالغنيمة مطلق ما يستفيده الإنسان ولا تختص بغنائم الحرب، قاله الراغب(١) وأكدته موثقة سماعة قال سألت أبا الحسن عليه السلام عن الخمس فقال: (في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير)(٢) وغيرها وقد اجمع علماء الفريقين على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعمل بها فيخصّ قرباه من بني هاشم بالخمس حتى وفاته صلى الله عليه وآله وسلم ثم منعه القوم على مستحقيه من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجعلوهم كغيرهم (راجع الكشاف في تفسير هذه الآية ومسند أحمد وغيرها من الصحاح)(٣) وقد عبّر الأئمة عليهم السلام عن لوعتهم لهذه المخالفة الصريحة للكتاب والسنة فعن أبي جعفر الأحول قال قال أبو عبد الله عليه السلام (ما تقول قريش في الخمس قال: قلت تزعم إنه لها قال ما انصفونا والله لو كان مباهلة لتباهُلنّ بنا ولئن كان مبارزة لتبارُزن بنا ثم يكون هم وعلي سواء)(٤).

هل يُسقط الأئمة عليهم السلام حقهم بسبب الظروف؟

نعم قد يُسقط الأئمة عليهم السلام حقّهم في فترةٍ ما بسبب الظروف التي يمرّون بها كما في رواية يونس بن يعقوب قال: (كنت عند أبي عبد

(١) المفردات في غريب القرآن مادة (غنم). حيث يقول «والغنم بالضم فالسكون، إصابته والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به من جهة العدى وغيرهم ومن ذلك يظهر، أن المقصود بالغنيمة في اللغة، هو كل ما يكسبه الإنسان ويربحه من أي طريق كان. بمشقة أو غير مشقة، في حرب أو في سلم، من دون تقييد.
(٢) الوسائل، كتاب الخمس، أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ٨ ح٦.
(٣) النص والاجتهاد لشرف الدين / ٥٠.
(٤) كتاب الخمس، أبواب قسمة الخمس، باب ١ ح١٤ / ١٥.

الله عليه السلام فدخل عليه رجل من القماطين فقال: جعلت فداك تقع في أيدينا الأموال والأرباح وتجارات نعلم إن حقّك فيها ثابت، وإنا عن ذلك مقصرون، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما أنصفناكم إن كلفناكم ذلك اليوم)(١) فالسائل كان يعلم بثبوت حق الإمام عليه السلام في ماله لكن الإمام عليه السلام أكّد له إنه قد أسقطه عنه اليوم لا مطلقاً لكن بعد ثلاثة أجيال يجد الإمام الجواد عليه السلام فرصة مناسبة لبيان بعض تشريعات الخمس فكتب إلى بعض أصحابه:(إن الذي أوجبتُ في سنتي هذه وهذه سنة عشرين ومائتين لمعنى من المعاني أكره تفسير المعنى كله خوفاً من الانتشار وسأفسّر لك بعضه إن شاء الله: إن مواليَّ أسأل الله صلاحهم أو بعضهم قصّروا فيما يجب عليهم فعلمتُ ذلك فأحببتُ أن أطهرهم وأزكّيهم بما فعلت من أمر الخمس في عامي هذا قال الله تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِها وصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ويَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ورَسُولُهُ والْمُؤْمِنُونَ وسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ والشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ التوبة (١٠٣ – ١٠٥) إلى أن قال عليه السلام (فأما الغنائم والفوائد فهي واجبةٌ عليهم في كل عام قال الله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ...﴾(٢) ويأمر شيعته في نهاية الكتاب بإيصال الحقوق إلى وكلائه. وحرّموا عليهم السلام التصرف قبل دفع الحقوق الشرعية فعن أبي جعفر عليه السلام (لا يحلّ لأحد أن

---

(١) الوسائل، كتاب الخمس، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام عليه السلام، باب ٤ / ح٦.

(٢) الوسائل، كتاب الخمس، أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ٨ ح٥.

يشتري من الخمس شيئاً حتى يصل إلينا حقّنا)(١) وكتب رجل من تجار فارس من موالي الإمام أبي الحسن الرضاعليه السلام يسأله الإذن في الخمس فكان مما قال في جوابه إن (الخمس عوننا على ديننا وعلى عيالنا وعلى موالينا فلا تزووه عنا ولا تحرموا أنفسكم دعانا ما قدرتم عليه فإن إخراجه مفتاح رزقكم وتمحيص ذنوبكم وما تمهّدون لأنفسكم ليوم فاقتكم، والمسلم من يفي الله بما عهد إليه)(٢) وسألهُ جماعة أن يجعلهم في حلٍّ من الخمس فقال عليه السلام: (ما أمحل هذا! تمحضونا المودة بألسنتكم وتزوون عنا حقاً جعله الله لنا وجعلنا له وهو الخمس، لا نجعل لا نجعل لا نجعل لأحد منكم في حل)(٣) وفي مكاتبة الإمام صاحب العصرعليه السلام إلى سفيره محمد بن عثمان العمري رحمه الله لعنة الله والملائكة والناس أجمعين على من استحلّ من مالنا درهماً)(٤).

الوعيد بحق مانع الزكاة يشمل الخمس أيضا

وجميع ما ورد من التهديد والوعيد لتارك الزكاة ينطبق على تارك الخمس بوجهين.

١ـ إن كليهما فريضتان ماليتان والغرض منهما واحد بل إن أمر الخمس اخطر لتعلق حق أهل البيت عليهم السلام وذرياتهم فيه بعد أن حُرّمت عليهم

(١) أبواب ما يجب فيه الخمس، باب ١ ح٤.
(٢) الوسائل، كتاب الخمس، أبواب الأنفال وما يختص بالإمامعليه السلام، باب ٣ ح٢.
(٣) الوسائل، كتاب الخمس، أبواب الأنفال وما يختص بالإمام ح٣.
(٤) نفس الباب ح٧.

الزكاة قال الصادق عليه السلام (إن الله لا إله إلا هو لما حرّم علينا الصدقة أبدل لنا الخمس فالصدقة علينا حرام والخمس لنا فريضة)(١) وإنما صار الاهتمام بالزكاة في صدر الإسلام لما قلناه من أنّ طبيعة الحياة الاقتصادية يومئذٍ كانت مورداً لوجوب الزكاة.

٢ـ إن كثيراً من موارد ذكر الزكاة أريد بها معناها الأعم أي مطلق الإنفاق الواجب في سبيل الله تعالى أي عموم الحقوق الشرعية لا خصوص الزكاة المصطلحة(٢) كما قد يعبّر عن الزكاة الواجبة بالصدقة(٣) في مثل قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقاتُ لِلْفُقَراءِ والْمَساكِينِ والْعامِلِينَ عَلَيْها...**﴾ (التوبة - ٦٠)، ومما جاء في مانع الزكاة الشاملة لمانع الخمس بالتقريب المتقدم ما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: (ما من عبدٍ منع من زكاة ماله شيئاً إلا جعل الله ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار مطوّقاً في عنقه ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب وهو قول الله عز وجل ﴿**سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيامَةِ**﴾ آل عمران(١٨٠)، (يعني ما بخلوا به من الزكاة)(٤) ويتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إجراءاً في حق مانعي الزكاة بإخراجهم من المسجد كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام قال:بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد إذ قال: قم يا فلان قم يا فلان، حتى اخرج خمسة نفر فقال: (اخرجوا من مسجدنا لا

(١) الوسائل، كتاب الزكاة، أبواب المستحقين للزكاة، باب ٢٩ ح٧.

(٢) كما انه قد يعبر عن الصدقة بالزكاة كما عبر الله تعالى عن تصدق أمير المؤمنين عليه السلام بخاتمه بقوله ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ وهُمْ راكِعُونَ**﴾.

(٣) قال تعالى ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِها وصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾

(٤) . الوسائل، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٣ ح٣.

تصلّوا فيه وانتم لا تزكّون) (١) وعن أبي عبد الله عليه السلام: (من منع قيراطاً من الزكاة فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً)(٢) وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام قال: يا علي كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة وعدَّ منهم مانع الزكاة، ثم قال: يا علي ثمانية لا يقبل الله منهم الصلاة وعدَّ منهم مانع الزكاة، ثم قال: يا علي من منع قيراطاً من زكاة ماله فليس بمؤمن ولا بمسلم ولا كرامه، يا علي تارك الزكاة يسأل الله الرجعة إلى الدنيا وذلك قوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾(٣) المؤمنون (٩٩).(٤)

لعدم دفع الخمس آثارٌ وضعية

وتكون المشكلة اعظم عندما نعلم إن لعدم دفع الخمس آثاراً وضعية فإن اللقمة غير المُخمّسة تكون حراماً فتترك آثاراً سيئة في الذرية(٥) التي

---

(١) نفس الباب ح٧.

(٢) أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٤ ح٥.

(٣) وتفهم ذلك من خلال قوله تعالى ﴿وَ أَنْفِقُوا مِنْ ما رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لا أَخَّرْتَنِي إِلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إذا تمعنت جيدا في هذه الآية الكريمة تدرك ما للصدقة من أهمية بالغة فأول شيء يأتي على ذهن العبد بعد الموت هو (الصدقة).

(٤) أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٤ ح٧.

(٥) يروى أن أحد العلماء أمر زوجته أن لا تأكل شيئا من خارج البيت مادامت حاملا وبعد أن وضعت غلاما أمرها ان لا تأكل شيئا من خارج البيت مادامت ترضعه فصادف ان مرضت هذه الام مرضا شديدا أدى الى جفاف حليبها فاخذ الطفل يبكي بكاءً شديدا من شدة الجوع مما دعى جارتهم الى إرضاعه شفقة به فلما علم هذا العالم ما حدث اخذ الطفل وجعله يتقيء حتى افرغ ما في جوفه من حليب وعندما كبر الغلام وحضر الدرس عند والده كانت تصيبه بعض الغفلات، يقول العالم ان هذا بسبب بقايا الحليب التي

تتكون منها والملبس غير المخمس لا يكون مباحاً فلا تصح الصلاة فيه، والماء إذا لم يكن مباحاً فالوضوء به باطل وبذلك تتراكم هذه الذنوب والمشاكل على مانع الحقوق الشرعية.

علاج مشكلة عدم دفع الناس للخمس

ولما كان العلم بالشيء والاقتناع به هي الركيزة الأساسية للاندفاع نحو العمل والتطبيق وطالما قلنا(١) إن علاج أي مشكلة يجب أن يتوجه أصلاً إلى علل المشكلة وأسبابها ومناشئها لا معلولاتها وآثارها الظاهرية ونتائجها فإنه عمل غير حكيم(٢).

فالعلاج يكون على مستويين:

الأول: عام بمعنى كيف نحفّز الناس على طاعة الله تبارك وتعالى

بقت في بطنه من تلك الجارة هكذا كان السلف دقيقين فيما يدخل في بطون أبنائهم.

(١) راجع كتاب (شكوى القرآن) فصل: ما هي الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح البشرية.

(٢) فأكثر مناهج علم الأخلاق تجدها تركز على جانب المعلولات ولا تعالج العلة او السبب لهذه الرذائل فمثلا عندما يتكلم عن رذيلة من الرذائل فانه يتناولها من جميع الجهات من حيث معنى الرذيلة وذمها في الأخبار وعلاجها الا انه لا يتطرق الى بيان مناشيء هذه الرذيلة في النفس الإنسانية والنوازع التي تؤدي الى ظهورها وكيفية إزالة هذه العلل والأسباب واجتناب المرض من اصله (فقد تجد ان سبب الغيبة مثلا اما الحسد او الأنانية او الاستعلاء وكذلك تجد ان الغفلة وراء جميع المعاصي وهكذا) لذا ينبغي عدم الاكتفاء بمعالجة الأعراض الظاهرية للمرض كما أشير إليه بوضوح في كتاب (شكوى القرآن).

عموماً وليس في الخمس فقط ونثير فيهم الاستجابة لداعي الله تبارك وتعالى ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال، ﴿يا قَوْمَنا أَجِيبُوا داعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لا يُجِبْ داعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءُ أُولئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾(١) . وقد فصّلنا القول في ذلك في فصل(ما هي الدروس المستفادة من طريقة القرآن في إصلاح البشرية) من كتاب(شكوى القرآن) وفي محاضرات(فلنرجع إلى الله) وخطبة يوم عيد الأضحى للعام الماضي / ١٤٢٢ المنشورة في الجزء الأول من كتاب (من وحي المناسبات) وقلنا هناك إن من الفروق بين الشريعة الإلهية والقوانين الوضعية إن الشرائع الإلهية تربي الإنسان من الداخل أولاً وتبني ذاته أو قل يربيّ لذا يندفع إلى التطبيق بلا رقابة من الخارج ولا يحتاج إلى أي ضغط للطاعة والامتثال بينما القوانين الوضعية تحتاج إلى فرض عقوبات وأجهزة مراقبة وردع ومع ذلك يحاول الشخص بكل وسيلة التحايل والالتفات عليها خذ مثلاً الخمس فإن المؤمن هو وحده يحاسب نفسه ويخرج ما عليه من حقوق ويأتي بكل سرور ليسلمها إلى الحوزة الشريفة أو يصرفها في مواردها بينما يتهرب بكل الوسائل من الضرائب التي يفرضها عليه القانون فهذا هو فرق أساسي بين الإسلام والحضارة المادية

(١)الأحقاف: (٣١ ٣٢)

المحفزات التي تدفع المكلف نحو التطبيق

وألخصُ لكم بعض هذه المحفزات التي يستثيرها الدين ليدفع المكلف نحو الاستجابة مع تطبيقها على ما نحن فيه وقد قسمتها هناك إلى ثلاث محاور نفسية وعقلية وقلبية باعتبارها مداخل الإنسان المتعددة ومنها:

١ـ إن نعم الله علينا كثيرة ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها﴾ النحل (١٨)، سواء في أبداننا أو حياتنا والطبيعة التي من حولنا عموماً ومن شأن كل عاقل أن يرد الجميل بالجميل ﴿هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ﴾ الرحمن(٦٠)، ﴿وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(١)، ولما كان الله غنياً عن عباده فيكون رد الجميل إليه بطاعته واستعمال نعمه فيما يرضيه تبارك وتعالى ومن غير الإنصاف والمروءة أن نعصيه بالنعم التي منّ بها علينا ونبخل عليه بحقه عن أبي جعفر عليه السلام (أن الله تعالى يبعث يوم القيامة ناساً من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنملة معهم ملائكة يعيّرونهم تعييراً شديداً يقولون هؤلاء الذين منعوا خيراً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم)(٢).

٢ـ إن كل واحدٍ منا يحب أن تزيد النعم عليه وهي بيد الله سبحانه المنعم الحقيقي وقد وعدنا سبحانه ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ إبراهيم،وفي

---

(١) القصص(٧٧)

(٢) الوسائل، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه الزكاة، باب ٦ ح٤.

الحديث(بالشكر تدوم النعم) ومن أشكال شكر النعمة أن تؤدي حق الله فيها ليزيدها الله تبارك وتعالى وقال الإمام الصادق(عليه السلام) في حديث (واستنزلوا الرزق بالصدقة)(١) وعموماً فإن طاعة الله تبارك وتعالى سبب لإفاضة البركات ﴿وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ والأَرْضِ﴾(٢).

٣ـ إنه إذا أخبرنا إنسان ثقة بأن حيواناً مفترساً في هذه الجهة فإننا نهرب بلا تردد في الاتجاه المعاكس ونحذر منه ونتخذ الإجراءات الواقية من الوقوع في الخطر فإذا أكّد هذا الخبر ثقة آخر ازداد استعدادنا لذلك وكنّا أكثر حزماً، وقد أخبرنا مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ومثلهم من الأوصياء والعلماء وكلهم ثقاة إنه سيكون هناك يوم قيامة يثاب فيه المطيع على طاعته ويعاقب العاصي على عصيانه بنارٍ وقودها الناس والحجارة أفلا يوجب هذا البيان المؤكد الحذر والابتعاد عن كل ما يورّطنا في هذه النار المتأججة ولو احتمالاً وقد وصفها الله تعالى بمشاهد مرعبة وأخبرنا أنّ معصية الله سبحانه توقعنا فيها وأن طاعته تورثنا جنةٌ عرضها السماوات والأرض فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٣).

---

(١) كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٣ ح١.

(٢) الأعراف:٩٦.

(٣) السجدة(١٧)

٤ـ أن نسأل أنفسنا سؤالاً: ماذا يخسر الإنسان لو أطاع الله سبحانه واستقام على الشريعة؟ إنه لا يخسر شيئاً بل على العكس فإنه يعيش ويتمتع بالحياة كما يفعل البعيد عن الله سبحانه وفوق ذلك له المكاسب الدنيوية والأخروية التي يحققها له الإيمان بالله سبحانه والسير على شريعته قال تعالى ﴿وَ تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ﴾(١) ،وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ و الطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ كَذلِكَ نُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(٢) وقد اتبع هذا الأسلوب الإمام الصادق عليه السلام حيث قال لأحدهم(يا هذا إن كان ما تقول أنت بأنه لا جنة ولا نار ولا حساب حقاً فنحن وانتم سواء فإننا نأكل كما تأكلون وننكح كما تنكحون وإن كان الأمر كما نقول وهو كما نقول، هلكتم ونجونا)(٣) وهو أسلوب لا يستطيع أن يرفضه أي عاقل وقد جرّب الكثير ممن بدءوا بإخراج الخمس من أموالهم إن ثروتهم ازدادت حتى إن بعضاً من غير الملتزمين بطاعة الله يخمّسون من اجل زيادة الثروة. فأين الخسارة إذن؟ !

٥ـ أن نلتفت إلى أنّ الله تعالى مطّلع علينا ولا تخفى عليه خافية في السماوات والأرض وهو اقرب إلينا من حبل الوريد وقد جعل على كل واحدٍ منا ملائكة يحصون الأعمال في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة

---

(١) النساء(١٠٤).

(٢) الأعراف(٣٢).

(٣) قال تعالى ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ وكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

وجعل الشهود على ذلك من أعضائنا التي نمارس بها حياتنا ﴿حَتَّى إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وأَبْصارُهُمْ وجُلُودُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ وقالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنا قالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وما كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصارُكُمْ ولا جُلُودُكُمْ ولكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ وذلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْداكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخاسِرِينَ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ وإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَما هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾(١) فإذا التفتنا إلى هذه الحقائق فسنكون دقيقين في تصرفاتنا وسنحسب ألف حساب قبل أن نورط أنفسنا في المعصية ومخالفة الشريعة ومنها حبس الحقوق الشرعية وعدم إخراجها من المال.

٦ـ إن الإنسان الذي يمتنع عن إعطاء شيء من نفسه أو ماله لطاعة الله تعالى فإنه سيدفع أكثر منها في معصية الله وهو راغم وستكون عليه حسرة يوم القيامة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ والَّذِينَ كَفَرُوا إِلى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾(٢) وانقل لكم الحديث التالي عن الإمام الصادق عليه السلام وهو حجة دامغة في وجه كل من يمتنع عن أداء الحقوق الشرعية قال عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ﴾(٣)، قال عليه السلام: (هو الرجل يدع ماله لا ينفقه في طاعة الله عز وجل بخلاً وقد عرفت البخيل قبل قليل ثم يموت فيدعه

---

(١) فصلت(٢٠ ٢٤)

(٢) الأنفال(٣٦).

(٣) البقرة(١٦٧)

لمن يعمل فيه بطاعة الله أو بمعصية الله فإن عمل فيه بطاعة الله رآه في ميزان غيره فرآه حسرةً وقد كان المال له، وإن كان عمل به في معصية الله قوّاه بذلك المال حتى عمل به في معصية الله عز وجل)(١) وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام مثل هذا الرجل بقوله (إن اعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل جمع مالاً بمعصية الله فمات فورثه رجل دخل به الجنة)(٢) وهذا الحديث كافٍ ﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وهُوَ شَهِيدٌ﴾ ق (٣٧)، ﴿وَ تَعِيَها أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ الحاقة(١٢)، عن الصادق عليه السلام قال: ما من رجل يمنع درهماً في حقه إلا انفق اثنين في غير حقه وما من رجل يمنع حقاً في ماله إلا طوّقه الله به حية من نار يوم القيامة)(٣) وعنه عليه السلام (من منع حقاً لله عز وجل أنفق في باطل مثليه)(٤).

٧ـ إن من يطيع الله سبحانه ويتجنب معصيته يعيش لذة الانتصار على اعدى أعدائه وهي نفسه التي بين جنبيه الأمارة بالسوء وكلّما كانت شهوة النفس واندفاعها للفعل قوياً كلما كان الترك اشد لذة وكلما كانت رغبة النفس في الترك قوية كان الفعل اكثر لذة مثلاً تعرض أمامك امرأة متبرجة قد أظهرت مفاتنها أو طالبة جامعية أو زميلة في دائرة تبرعت بإنشاء علاقة عاطفية غير مشروعة معك فتنتصر أنت على نفسك الطموحة إلى ذلك

(١) الوسائل، كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٥ ح٥.
(٢) نهج البلاغة، باب الحكيم، رقم ٤٢٩.
(٣) المصدر السابق، باب ٦ ح١.
(٤) المصدر ح٢.

فتعيش لذة الانتصار(١) بشكل لا يوصف وهو ما أشار إليه الحديث (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها لله تعالى أبدله الله نوراً وإيماناً يجد حلاوته في قلبه) والمال من أقوى ما تتعلق به النفس قال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ آل عمران (١٤) وقال تعالى ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الكهف(٤٦)، وقال الإمام الصادق عليه السلام (ما بلى الله عز وجل العباد بشيء اشد عليهم من إخراج الدرهم)(٢) لذا كانت لذة الانتصار على هذا العدو عظيمة تستحق أن يبذل المال بازائها بلطف الله تعالى عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من خزّان الجنة فيمسح صدره ويسخى نفسه بالزكاة)(٣).

المستوى الثاني: خاص وذلك بدراسة وتحليل الأسباب التي تؤدي بالناس إلى الامتناع عن دفع الحقوق الشرعية ومن ثمّ وضع العلاج لها.

---

(١) قال تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وبناءً على القول بتجسم الأعمال فان هذا العبد الذي نهى نفسه عن الهوى سيعيش في جنة فأي لذة أفضل من هذه.

(٢) كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٢ ح١٤.

(٣) المصدر ح١٦.

أسباب عدم دفع الناس الخمس

ومن تلك الأسباب ما يلي:

١ـ الجهل بوجوب الخمس فبعضهم لا يعلم بوجوبه أصلاً وبعضهم يظن وجوبه على خصوص الموسرين، وقد رسّخت هذا الجهل الأجيال المتعاقبة من المسلمين بإعراضهم عن امتثال هذه الوظيفة وترفّع العلماء عن المطالبة بها خشية سوء الظن بهم(١).

٢ـ حملات التشكيك التي يمارسها أعداء الدين والمذهب ويروّج لها المرتزقة والجهلة السذّج بكل القنوات المتاحة كالكتب والنشرات والصحف والمجلات وغيرها فتارة يقولون بعدم وجوبه أصلاً وإنه لم يذكر في القرآن وإنه خاص بغنائم الحرب(٢) أو إنه خاص بزمان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم. وهم قبل غيرهم يعلمون زيف هذه الدعاوى لكنهم يبتغون بذلك تقويض إحدى الركائز المهمة للدين والمذهب.

---

(١) أضف الى عدم وضوح لغة الرسائل العملية بحيث يصعب على المكلف فهم ما يجب عليه وما لا يجب.

(٢) إن الذهاب إلى قصر وجوب إخراج الخمس، على خصوص غنائم دار الحرب، لا ينسجم مع خلود الإسلام وبقائه من ناحية عملية، واستمرار الدولة الإسلامية زمن قيامها، في تحمل الأعباء الضخمة، التي تترتب عليها تجاه الأمة وذلك من وجوه عدة أهمها؟

أ. إن الحروب قد أغلقت أكثر أبوابها وانحصرت، وانحسر ظلها، فانحسر بذلك ما قد يترتب عليها، في حال انتصار المسلمين من غنائم.

ب. إن نتائج هذه الحروب، ليست مضمونة إلى جانب المسلمين في كثير من الأحيان. بل بالعكس فقد تكون نتائجها في غير صالحهم، فتكون الغنائم من نصيب أعداء الإسلام.

٣ـ سوء تصرف بعض الوسطاء والوكلاء في نقل الحقوق الشرعية مما يقلّل من الثقة بالدفع إليهم أما لتوسّعهم في أمور المعيشة وترفهم أو لعدم إيصالها إلى المرجعية المقصودة أو لعدم نزاهتهم.

٤ـ النفس الأمّارة بالسوء التي تشحّ بإنفاق المال ومطلق عمل الخير فالكثير من الناس يؤدي الفرائض التي لا تكلفه مالاً أما التي تحتاج إلى بذل المال فيتردد فيها.

٥ـ الغفلة عن موارد صرف هذا الحق الشرعي ولو عَلم إنها تصرف في قضاء حوائج المؤمنين وتزويج شبابهم لتحصينهم من الحرام ومعالجة مرضاهم وشؤون الحوزة العلمية الشريفة وحفظ كيانها ومدارسها الدينية التي أنجبت عبر التاريخ آلاف العلماء والمفكرين والكتّاب والخطباء الذين ساهموا في نشر الوعي الديني وحفظ المذهب الشريف والإسلام العظيم طيلة ألف وأربعمائة عام وكأنَّ الدين نزل اليوم ولو علم الإنسان ذلك لأدّى ما عليه من حقوق بكل سرور إن كان غيوراً على دينه ومجتمعه ومخلصاً في التزامه.

٦ـ قلة الثقة بما عند الله مما يجعله متمسكاً بما عنده من متاع زائل(١).

هذه بعض الأسباب مما خطر في ذهني القاصر.

(١) قال تعالى ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ و ﴿قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً﴾ و ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾

علاج عدم دفع الناس الخمس

وإذا عرفت السبب أمكن التفكير في علاجه من خلال نقاط.

١. تصدي الحوزة الشريفة لبيان الأدلة الكافية على وجوب هذه الفريضة العظيمة وشمولها لكل ما يستفيده المرء من مكسب فيجعل له يوماً في السنة يحاسب فيه نفسه فيستثني مئونته الشخصية من مسكن وملبس ومأكل وأثاث لائق بشأنه وواسطة نقل ثم يخمّس الزائد إن وجد وتوجد تفاصيله في الرسائل العملية للفقهاء(١).

٢. الرد على الشبهات والشكوك التي يُلقيها المضلّون في أذهان البسطاء والسذج وألفات الناس إلى المقصود الأساسي لهؤلاء والذي يموّهون عليه بهذه الشبهات.

٣. أن ينتصر المسلم على نفسه الأمّارة بالسوء فإن اتباع الهوى والانسياق وراء النفس من المرديات فإنها أعدى أعدائك بميلها لاتباع الشهوات وتمردها على الطاعة فالمؤمن الشجاع من ملك زمام نفسه ليقودها إلى ما فيه النجاة ويستعين على قهر نفسه بما ذكرناه آنفاً من المحفزات.

٤. الالتفات إلى موارد صرف الخمس التي ذكرناها قبل قليل وتسليمه

---

(١) التي ينبغي تبسيطها للمكلفين ليسهل فهمها ومعرفة التكليف الشرعي.

إلى الثقاة الذين يضعون الحقوق في مواضعها وإطلاع المكلف بنفسه أو مباشرته الصرف على المحتاجين بإذن الحوزة الشريفة وسيرى نفسه مسروراً بمساهمته في هذه المصارف الجليلة التي وعد الله تعالى من ينفق ماله فيها الأجر الجزيل والله يضاعف لمن يشاء.

٥. أن يعلم المكلف أنّ كل ما عنده هو مما رزقه الله تبارك وتعالى والله غني عن العالمين وإنما يريد بفرض هذه الواجبات المالية ليبتلي المؤمنين منه بلاءً حسناً فيثيب المحسن ويعاقب المسيء وليطّهرهم ويزكيهم ويحررّهم من اسر الشهوات والأهواء حتى يخلصوا الانقياد والطاعة له تبارك وتعالى قال عز من قائل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزَكِّيهِمْ بِها وصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ واللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ التوبة(١٠٣)، قال الإمام الصادق عليه السلام (إني لآخذ من أحدكم الدرهم وإني لمن اكثر أهل المدينة مالاً، ما أريد بذلك إلا أن تطهروا)(١) وقال عليه السلام (إنما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ولو أنَّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ولاستغنى بما فرض الله له)(٢) ومما يحسن الالتفات إليه أن من العوامل المهمة التي حفظت توازن مجتمعنا رغم الحصار والضيق الذي يمر به منذ اكثر من عشر سنين هو ما يصرف على المحتاجين من مليارات الدنانير من الحقوق الشرعية.

---

(١) الوسائل، كتاب الخمس، أبواب ما يجب فيه الخمس باب ١، ح٣.
(٢) كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ١ ح٦.

٦. أن تتحلى الحوزة الشريفة والوكلاء والوسطاء بالورع والتقوى والثقة والأمانة وحسن مواساة الناس في الملبس والمأكل ومستوى المعيشة خصوصاً في زمان العوز والفاقة كالذي نعيش فيه ويتأسوا بأمير المؤمنين عليه السلام الذي رقَّع مدرعته حتى استحيا من راقعها فقيل له في ذلك وهو رئيس دولة مترامية الأطراف قال عليه السلام (لكي لا يتبيغ بالفقير فقره) أي تضغط عليه الحاجة ولا يجد من يواسيه فيتمرد ويخرج عن طاعة الله تبارك وتعالى.

٧. أن يحسن العبد الظن بالله تبارك وتعالى فقد وعده أن يخلف عليه قال رسول الله صلى الله عليه وآله (من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة) وقال أمير المؤمنين عليه السلام (من أيقن بالخَلَف جادَ بالعطيّة)(١) وقال الله عز وجل **﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾**(٢) سبأ(٣٩).

وقال الصادق عليه السلام: (من يضمن لي أربعة بأربعة أبيات في الجنة: انفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً)(٣).

الآثار الايجابية المترتبة على دفع الحقوق

ويضاف إلى كل ذلك ما ذكر من آثار إيجابية في الدنيا والآخرة تترتب على الإنفاق ودفع الحقوق الشرعية ومن نتائج سلبية تترتب على

(١) نهج البلاغة، باب الحكم رقم ١٣٨

(٢) كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه، باب ٢ ح٩.

(٣) نفس الباب، ح٨

الترك. وأي أجر ذكر للتصدق فهو شامل بالأولوية لدافع الخمس والزكاة لأن التقرب إلى الله بالفرائض اكثر بما لا يقاس من التقرب بالنوافل والمستحبات ففي الحديث(ما عبد الله بشيء كالفرائض) كما إننا ذكرنا إن الصدقة بمعناها العام تشمل الزكاة والخمس وكل إنفاق في سبيل الله ومن هذه الآثار الإيجابية قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ واللَّهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ واللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة (٢٦١)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله (داووا مرضاكم بالصدقة وحصّنوا أموالكم بالزكاة)(١) وعن الإمام الصادق عليه السلام (ما تلف مال في بر ولا بحر إلا بمنع الزكاة)(٢) وقال الإمام الصادق عليه السلام (إن الشحيح من منع حق الله وانفق في غير حق الله)(٣) وتمّمها بحديث آخر(حرام على الجنة أن يدخلها شحيح)(٤) وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبدٍ أبـداً)(٥) وشكى شخص إلى الإمام عليه السلام إنه يرى أحلاماً مفزعة في المنام فقال عليه السلام (إنك لا تؤدي الزكاة قال بلى أؤديها قال إذن لا تضعها في محلها) (٦)، وقال الصادق عليه السلام (استنزلوا الرزق بالصدقة)(٧) وقال عليه السلام (داووا مرضاكم بالصدقة وما على أحدكم أن يتصدق بقوت يومه، إن

---

(١) كتاب الزكاة، أبواب ما تجب فيه باب ١ ح١٤.

(٢) باب ٣ ح٩ من أبواب ما تجب فيه الزكاة.

(٣) أبواب ما تجب فيه، باب ٥ ح١٢.

(٤) نفس الباب ح١.

(٥) نفس الباب ح١٥.

(٦) كتاب الزكاة، أبواب المستحقين للزكاة باب ٤ ح١، ٦.

(٧) كتاب الزكاة، أبواب الصدقة، باب ٣ ح١.

ملك الموت يدفع إليه الصك بقبض روح العبد فيتصدق فيقال له: رد عليه الصك)(١).وقال عليه السلام: (الصدقة باليد تقي ميتة السوء وتدفع سبعين نوعاً من أنواع البلاء)(٢) وعن رسول الله صلى الله عليه وآله (إن الله ليربّي لأحدكم الصدقة كما يربّي أحدكم ولده حتى يلقاه يوم القيامة وهو مثل أُحد)(٣) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله (صدقة السر تطفئ غضب الرب)(٤) وعن أبي جعفر عليه السلام قال(البر وصدقة السر ينفيان الفقر ويزيدان في العمر ويدفعان سبعين ميتة سوء)(٥).

كيف نفهم فلسفة هذه الأحاديث؟

ويمكن فهم فلسفة هذه الأحاديث من ناحية اقتصادية واجتماعية ونفسية فحينما يقول عليه السلام(استنزلوا الرزق بالصدقة) لأن انتشار الفقر يؤدي إلى ضعف القدرة الشرائية وتوقف عجلة الاقتصاد فبدفع الحقوق الشرعية تتولد قدرة شرائية عند الناس فتتحرك عجلة الاقتصاد وتنمو الثروة. وحينما يقول عليه السلام (حصّنوا أموالكم بالزكاة) لأن الحاجة تدفع إلى السرقة وارتكاب الجرائم وابتزاز الأموال فإذا قضينا على الفقر بدفع الحقوق الشرعية فسنسدّ بابا عظيماً للجريمة وحينما يقول عليه السلام(داووا مرضاكم بالصدقة) لأن

---

(١) نفس الباب، ح٢.

(٢) نفس المصدر، باب ٥ ح١.

(٣) أبواب الصدقة، باب ٧، ح٨

(٤) أبواب الصدقة باب ١٣ ح١

(٥) أبواب الصدقة، باب ١٣ ح٩.

الأمراض والعقد النفسية والاضطراب وفقدان السعادة هي من أهم أسباب الأمراض ومنشأها الرذائل النفسية كالطمع والحسد والاستئثار وحب الدنيا والحقد والجشع والكبر فإذا طهّر نفسه منها فإنه سيعيش في صحة وسلامة وسيكسب الاطمئنان النفسي الذي هو علاج مهم للأمراض.

كيف يتعامل الوكلاء مع الحقوق؟

وأريد أن استغل هذه المناسبة لإيضاح فكرة أسيء فهمها وأسيء تطبيقها ذلك إن المرجعيات المتأخرة دأبت على إعطاء مقدار من الحق الشرعي الذي يجلبه وكيل المرجعية الشريفة إليه لغرضين: -

الأول: سد احتياجات هذا الوكيل لكونه قد كرّس نفسه لتحصيل العلم والقيام على مصالح الدين والمجتمع ولم تبقَ لديه فرصة للكسب وتحصيل الرزق.

الثاني: قضاء حوائج المؤمنين في المنطقة التي فيها الوكيل لأن المرجعية لا تصل إلى كل فقير في المجتمع فيكون هؤلاء الوكلاء عينها التي تراقب وتلاحظ ويدها التي تعطي وتمنح فالمال الذي يعطى إلى الناقل إنما هو تخويل له وتفويض في أن يقضي به حاجاته الخاصة بالمعروف والحاجات العامة وليست هي ملكاً شخصياً له كما توهم بعضهم باعتبار إنهم

من العاملين عليها فيستحقون جزءاً منها رغم إن مصارف الخمس محدّدة بوضوح ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ وهذه تذهب للإمام عليه السلام أو لنائبه بالحق - والْيَتامى والْمَساكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ من بني هاشم خاصة وهو المعروف بحق السادة) وليس منها عنوان العاملين عليها كما إن حق السادة ليس لكل سيد وإن لم يكن محتاجاً(١) بل هو للمحتاجين منهم يصرفونه على أنفسهم بالمعروف. كرامة لهم عن الأخذ من الزكاة التي عُبّر عنها في بعض الأحاديث إنها(أوساخ الناس) فيُفهم اشتراط الحاجة في السيد المنتسب الى هاشم إما من نص الآية المتقدمة أو من مقتضى البدلية عن الزكاة.

أما عنوان(العاملين عليها) فقد ورد في الزكاة والمقصود بهم المخمنون وجباة الضرائب الذين كانوا يجوبون البلدان ويحسبون الأراضي والأنعام ليستخرجوا مقدار الزكاة المتعلق بها ثم يعودون بالزكاة التي جمعوها إلى بيت المال وناقل الحقوق الشرعية لا يقوم بمثل هذا العمل حتى يعطى مثلهم.

إن سوء فهم هذه الفقرة أدّى إلى الظن بأن هذه الحصة خالصة للوكيل يفعل بها ما يشاء ويتصرف تصرّف الملاك ويتوسع في الإنفاق على حساب حاجات المجتمع ومصالحه وقد أدى ذلك إلى تضييع حقوق الفقراء وعدم

---

(١)كما هو المتعارف لدى الناس وكذلك يدعي بعضهم ان السيد لا يجب عليه دفع الخمس فهو يأخذ فقط ولا يعطي وهذا القول باطل فالآية الكريمة لم تستثني أحداً في وجوب الخمس.

رعايتهم وإهمالهم وتنافس بعض طلاّب الدنيا على جمع الحقوق وقد أثبتت التجارب أن من يتوسع في صرف الحقوق الشرعية ويهتم بأنانيته لا بالناس ذاق ذلاً وهواناً في الدنيا أما في الآخرة فحسابه عند ربه أما من ترفّع عنها ولم يأخذ منها إلا بالمعروف أو بمقدار الضرورة فقد كرّمه الله سبحانه وأعلى ذكره وهو في مقعد صدق عن مليك مقتدر.

فقدان الثقة بالوكيل لا يسوغ عدم دفع الحقوق

وبسبب هذا التوسع الذي يكون سريعاً أحياناً فقد الناس الثقة بعدد من وكلاء الحوزة الشريفة وربما استخدمها بعض العصاة ذريعة للامتناع عن دفع الحقوق الشرعية وهو ليس معذوراً بذلك إذ لا يمكن أن يكون خطأ الآخرين مبرراً لخطأي إذ يمكن للمكلف أن يوصل الحقوق الشرعية إلى المرجع مباشرة أو إلى الوكلاء الذين ثبت إخلاصهم وورعهم وحرصهم على المصالح الاجتماعية أو يستأذن بصرف حقوقه مباشرة إلى المحتاجين لما في ذلك من إيجابيات كثيرة لأنه احرص على وضع حقوقه في موضعها ولما ورد من الثواب في تسليم المال إلى الفقير يداً بيد وأن يقّبل المعطي يده بعد العطاء لما ورد من إنها تقع في يد الله تبارك وتعالى قبل أن تقع في يد الفقير وهو قوله تعالى ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ ويَأْخُذُ الصَّدَقاتِ وأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾(١)، وفيه روايات عديدة(٢)

(١)التوبة ١٠٤

(٢) كتاب الزكاة أبواب الصدقة، باب ٢٩.

ولاستحباب مواساة المؤمنين وقضاء حوائجهم وإدخال السرور عليهم وإغاثة ملهوفهم(١) عن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلّم فسأله كيف من خلفت من إخوانك، قال: (فأحسن الثناء وزكى و أطرأ فقال له: كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم فقال: قليلة، قال: فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟ قال: قليلة، قال فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟ قال: إنك لتذكر أخلاقاً قلّما هي فيمن عندنا، قال: فقال: فكيف يزعم هؤلاء أنهم شيعة)(٢) وعن سعيد بن الحسن قال: قال أبو جعفر عليه السلام: أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟ فقلت: ما اعرف ذلك فينا، فقال أبو جعفر عليه السلام: فلا شيء إذاً)(٣).

دور الحوزة في توعية المجتمع

وتقع على الحوزة الشريفة مسؤولية عظيمة بأن تكون أهدافهم سامية وهو نيل رضا الله سبحانه والقربى منه والزلفى لديه والعمل بكل ما يقرب الناس إلى الطاعة ويبعدهم عن المعصية وأن يكونوا قدوةً حسنة للناس بأخلاقهم وأعمالهم وإن لم يتحدثوا بألسنتهم تطبيقاً للحديث الشريف (كونوا لنا دعاة

(١) راجع محاضرة ١٣ رجب ١٤٢٣ بعنوان (صفات المسلم في منظار أهل البيت عليهم السلام).
(٢) أبواب الصدقة، باب ٢٧، ح٣.
(٣) نفس الباب ح٥.

صامتين) وفي حديث آخر (كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً) فهم ورثة الأنبياء وأولى من يتأسى برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الذي يتأوه ويتضرع إلى الله سبحانه من أي تقصير محتمل في أدائه للمسؤولية ويقول (أ أقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين و لا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقمهما)(١) ويأمر أصحابه بمراقبة أفعاله ومحاسبته على تصرفاته وإن كان على رأس دولة واسعة ويقول لهم (إن خرجت منكم بغير هذه القطيفة التي جئتكم بها من المدينة فأنا خائن) وهكذا مضى عليه السلام طاهراً نقياً فإذا أردنا الفوز بلقائه وصحبته فلابد من التأسي به ولا تخدعنا العناوين البرّاقة والمواقع الاجتماعية الزاهية فإنها دنيا زائلة لا تسوى عند أمير المؤمنين عليه السلام شسع نعلٍ بالٍ ولا نكون شيعته حقاً إلا إذا شاركنا الناس في معاناتهم وبذلنا الوسع في قضاء حوائجهم وتفهّم مشاكلهم خصوصاً في هذا الظرف العصيب ولنتذكر دائماً أن هذه المواقع التي نحن فيها أمانة في أعناقنا فهل أديناها إلى أهلها وهو الإمام المهدي عليه السلام ولا يعتبر أحدٌ أن هذه الأموال غنيمة فاز من استكثر منها بل هي مسؤولية يجب الخروج من عهدتها ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ﴾ الصافات:٢٤،وحينئذٍ يكون في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب فأي هذه النتائج الثلاث تتحملها في ذلك العصيب يوم القيامة وأي تقصير في أداء هذه الأمانة يكون خيانة لله والله لا يحب الخائنين قال تعالى ﴿هذا يَوْمُ

---

(١)بحار الانوار٣٤١ - ٤٠ باب ٩٨- زهده و تقواه و ورعه عليه السلام.

يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ ذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المائدة(١١٩)، وماذا يضرّنا لو كنّا صادقين في أقوالنا وأفعالنا وتخلينا عن كل ما لا يليق بنا حتى من المباحات التي ليس فيها حرمة شرعية إلا إن فيها منقصة أخلاقية.

نسأل الله جلّت آلاءه العصمة والتسديد في القول والعمل وأن يعيننا على طاعته ويجنبنا معصيته إنه ولي النعم.

الشكوى الخامسة

عدم اجتماع قلوب شيعته

الحمد لله كما هو أهله، وكما يستحقه، حمداً كثيراً،والصلاة والسلام على سادة الخلق محمد وآله الطيبين الطاهرين..

كنا قد حررنا أربع شكاوى للإمام المهدي المنتظر (أرواحنا له الفداء)، والآن نشير الى شكوى اخرى(١).

فقد ورد في رسالته الشريفة الى الشيخ المفيد قدس سره:(ولو أن أشياعنا،وفقهم الله لطاعته، على إجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم، لما تأخر عنهم اليُمْنُ بلقائنا، ولتعجَّلت لهم السعادة بمشاهدتنا، على حق المعرفة وصدقها منهم بنا، فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلاته على سيدنا البشير محمد وآله الطاهرين وسلم)(٢). فهل يعلم أتباع الحق، المنتظِرون لظهور امامهم، والتواقعون لرؤية طلعته المباركة، والذين يتضرعون ليل نهار الى الله تبارك وتعالى، ليقرَب يومه الموعود، حتى يعيد البسمة الى المظلومين والمحرومين، ويقيم دولة الحق والعدل، ويقصم ظهر الطغاة والمستكبرين والمجرمين.

---

(١) وقبل الدخول في مضمون هذه الشكوى الجديدة، تجدر الاشارة الى ان هذه الشكاوى الصادرة من قبل الامام عليه السلام لا تعني ان شيعته اسوأ الناس، وانه عليه السلام لا يشتكي من غيرهم، بل السبب يعود الى رعايته الخاصة لهم، وانه عليه السلام يريد لهم تربية ناضجة تجعلهم مؤهلين لمشاهدته، ولأن غيرهم لم يلتفت الى هذه النعمة العظيمة، بل لم يلتفت الى وجوده عليه السلام المقدس، فلذلك اهملهم الامام من خطابه. فالإمام عليه السلام كالاب الذي يوبخ ولده، وأحياناً يضربه، ولا يفعل ذلك مع اولاد الآخرين، والسبب لأن الاب يريد لولده ان يكون أحسن الاولاد واعظمهم منزلة في المجتمع.

(٢) الاحتجاج: ج٢ / ٣٢٥.

أقول هل يعلمون إنهم يؤخرون كل تلك البركات، وإن اللقاء الذي ينتظرونه هم أحد أسباب تأخيره، بما يعيشون بينهم من حالة التنافر والشحناء والتقاطع والعلاقات المتشنجة، التي برزت بشكل واضح خلال السنوات الاخيرة حين وُجدَتْ فرصُ الوصول الى المواقع السياسية، أي المناصب على اختلاف مراتبها، والدينية، كإمامة المساجد والجمعات، أو، الوكالة عن المرجعية في مدينة ما، والاجتماع كزعامة العشائر،أو، الوجاهة لدى الناس.

فأَشعل التنافس غير الشريف، والتزاحم على هذه المواقع، نار الحسد والبغضاء، مما يدفع صاحبها الى الكيد للأخر، وتسقيطه في المجتمع، وتشويه صورته، وتنفير الناس منه(١).

الحب في الله والبغض في الله

ومهما حاول البعض تبرير هذه الامراض بأسباب قد يراها مقنعة، كوجود مصلحة دينية ونحوها، فانه يغالط نفسه، لأن الحديث الشريف

(١)وقد دأب اهل عليهم السلام على تشجيع اصحابهم للوصول الى اعلى المواقع القيادية للدولة، وبرز بين أصحابهم من حقق هذه الغاية، كعلي بن يقطين،بتوجيه من الامام الكاظم عليه السلام، بعدما اشترطوا عليهم لا يصدوا محتاجاً من ابوابهم، فان المؤمنين اولى بهذه المواقع من غيرهم، ولو تركوها فانها لن تبقى شاغرة طويلاً، بل تمُلأ بالفاسقين والمنافقين.
وكان يفترض بالاسلاميين اليوم ان يحذوا حذو اولئك المخلصين في تجردهم من الانانية والتعالي على الذات، وما يصدر منها من مشاعر ليست نظيفة ولا تليق بالمؤمن الرسالي.

يقول (أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله)(١) فأي عروة هذه التي يتمسك بها هؤلاء المغالطون لأنفسهم، لكي يغصموا بها هذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها.

ان هؤلاء مشمولون بقوله تعالى: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾ وقوله تعالى ﴿**بَلْ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ**﴾.

وقد قَرَّبَ أحد العلماء ذلك ﷺبمثال، فقال: لو أن الانبياء كلهم، وهم مئة وأربعة وعشرون ألف نبي، إجتمعوا في زمان واحد، هل تراهم يختلفون على شيء، أم، تراهم متحابين متآلفين متوحدين؟!، لماذا؟ لأنهم مخلصون، لا يبتغون إلا رضا الله تبارك وتعالى، فيتوحدون على هذه الهدف المشترك(٢). فمنذ ان هبط آدم الى الارض، تصارع ولداه، حين تقبل قربانُ أحدهما، ولم يَتَقَّبل من الآخر، فقال الاول، الذي انساق وراء نوازعه النفسية واهوائه فتغلبتا على عقله(لأقتلنك).قال الآخر، الذي هذب نفسه، وضبط شهواته، وألجمها بلجام عقله: ﴿**لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾.

---

(١) الوسائل: ج ٦ / ٤٣٣

(٢) وايضا، يعود السبب الى الصلابة النفسية التي جعلت الانبياء يصمدون على طول الطريق الرسالي، فما وهنوا أمام الإغراءات والمعوقات. ولم تكن تلك الاغراءات بيتاً فارها أو حفنة من الاموال، أو منصباً سياساً، بل عُرضت عليهم الدنيا كاملة وجبال الذهب، ولكن سخت نفوسهم الأبية عن كل ذلك،وتجردوا لرسالتهم وهدفهم المشترك، وكأن الانبياء في توادهم وتراحمهم أسرة واحدة على امتداد التاريخ، برغم الفوارق الزمانية بينهم.

وحينئذ سقط الأول في هاوية جنهم ﴿فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين﴾(١).

حب الدنيا

فمرجع كل ذلك الى حب الدنيا، الذي تجلى بصور عديدة، ولا يكاد ينجو انسان من شكل من اشكاله، كالثراء والإزدياد من المال، او، فتنه النساء، او، حب الجاه والزعامة، حتى يسقط في داء آخر، لذا يشبه الأخلاقيون الدنيا بالتنين، الذي كلما قُطع رأس له ظهرت له عدة رؤوس.

وانا لا أزعم ان هذا الداء قد إبتلي به هذا الجيل دون غيره، بل إنه جزء من الصراع الطويل بين الخير والشر في النفس الانسانية، والصراع المتأصل بين جند الرحمة وجند الشيطان في هذا العالم الأكبر الذي ينطوي عليه الانسان.

أتزعم أنك جرم صغير وفيك أنْطوى العالم الكبير

لكن الفرق بيننا وبين الاجيال القديمة، أننا نعيش في ظل الاسلام، وتعاليم أهل بيت النبوة الذين لم يتركوا شاردة ولا واردة إلا بينوا أوجه

---

(١) والقرآن عندما يقص علينا قصة ابني آدم عليه السلام لا يريد بذلك الموعظة لنا فحسب، بل التعمق في مسارب النفس الانسانية وسبر إغوارها، والكشف عن خبايا هذه النفس لا يضبطها المنطق، ولا تخضع لقوانين العقل.وهذه القصة مرآة نبصر من خلالها أعماق نفوسنا، لكي نرى تلك المنطقة اللاشعورية التي تعمل بالخفاء دون أن تكشف عن نفسها حتى لصاحبها، والتي تفاجؤه باشياء لم تخطر على بال.
فان ابن آدم كان يتوقع الصلاح من نفسه، ولكن الإختبار فضحه وكشف حقيقته.ولم يتمالك نفسه من الثورة على أخيه، فقتله دون مبرر لذلك إلا الحسد والحقد.

الحق فيها، ثم واصلت المرجعية دورهم في هداية الامة وارشادها الى طريق الصلاح، ولا زالت تؤدي نفس الدور، فتحصل عندنا رصيد عظيم من الاحاديث الشريفة والتعاليم الإنسانية السامية.

تعاليم اهل البيت في علاقة المؤمنين بعضهم ببعض

١ـ إدخال السرور على المؤمنين

ومن تلك الروايات في استحباب ادخال السرور على المؤمنين قول النبي صلى الله عليه وآله: (من سر مؤمناً فقد سرني، ومن سرني فقد سر الله عز وجل)(١).

وعن الامام الباقر عليه السلام قال: تبسمُ الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرفهُ القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحب الى الله من إدخال السرور على المؤمن(٢).

ولا أدري ما يضر المؤمن لو تبسم بوجه أخيه، وهو يعلم إنه بهذا الفعل البسيط يدخل السرور على قلب النبي صلى الله عليه وآله، بل يدخل السرور على المولى عز وجل، ولكن مما يؤسف له نجد المؤمنين اليوم غير ملتفتين الى

(١) وسائل الشيعة: ج٦ / ٥٦٩.
(٢) وسائل الشيعة: ج٦/٥٦٩- ٥٧٠.

ذلك،فأحدهم يواجه الآخر بوجه عبوس، والآخر يشيح بوجهه، وهم بذلك يحرمون أنفسهم هذه الحسنات والبركات.

وعن الامام الصادقعليه السلام: من أدخل على مؤمن سروراً خلق الله من ذلك السرور خلقاً فيلقاه عند موته، فيقول له: إبشر ياولي الله بكرامة من الله ورضوان،ثم لا يزال معه حتى يدخله قبره، فيقول له مثل ذلك، فاذا بُعث تلقاه فيقول له مثل ذلك، ثم لا يزال معه عند كل هول، ويبشره ويقول مثل ذلك، فيقول له: من أنت يرحمك الله؟ فيقول: أنا السرور الذي ادخلته على فلان)(١).

وما أحوج المؤمن الى هذا السرور، وهو يواجه ذلك العالم الرهيب وحيداً لا صاحب معه الا عمله.

٢ـ قضاء حوائج المؤمنين

وورد في الاهتمام بقضاء حوائج المؤمنين قُضيتْ،أو، لم تقض، وسيأتي أن المؤمنُ يثاب على مجرد الهَم القلبي بحوائج المؤمنين.

عن الصادق على قال(ان الله عز وجل خلق خلقاً انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا، ليثيبهم على ذلك الجنة، فان استطعت أن تكون منهم فكن)(٢).

(١) المصدر السابق: ص٥٧١

(٢) المصدر: ص٥٧٦

وعن الباقر عليه السلام: (إن المؤمن لتردُ عليه الحاجة لاخيه فلا تكون عنده، يهتم بها قلبه، فيدخله الله بها الجنة)(١).

وقد أصبح اليوم الكثير من المؤمنين الذين يسمعون هذه التعاليم في مواقع هامة في الدولة، وفي مجالس المحافظات، وهم يستطيعون قضاء حوائج اخوانهم المؤمنين، فلا يجوز لهم التقصير في اداء هذا الواجب. وليلاحظ المؤمنون سمو تربية أهل البيت عليهم السلام وتعاليمهم، فان الجنة جزاء ليس فقط من قضى حاجة أخيه المؤمن، بل هي جزاء من إمتلأ قلبه هماً وغماً، لانه تفاعل وتعاطف مع همَ أخيه المؤمن، وإن عجز عن قضاء حاجته. وعن الامام الصادق عليه السلام: (تنافسوا بالمعروف لاخوانكم، وكونوا من أهله، فان للجنة باباً يقال له (المعروف) لا يدخله إلا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا، وإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكِّل الله عز وجل به ملكين، واحد عن يمينه وآخر عن شماله، يستغفران له ربه، ويدعوان له بقضاء حاجته، ثم قال: والله لرسول الله اسر بحاجة المؤمن اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة)(٢).

٣ـ تفريج كرب المؤمن

وورد في تفريج كرب المؤمن، وما أكثر المكروبين اليوم، قول الامام الصادق عليه السلام: (ومن نَفس عن مؤمن كربة، نفس الله عنه سبعين كربة من

---

(١) المصدر: ص٥٧٦.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٧-٥٧٨.

كرب الآخرة، وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد، ومن أطعمه من جوع، أطعمه الله من ثمار الجنة. ومن سقاه شربة، سقاه الله من الرحيق المختوم)(١).

وعندما يسأل العبد ربه أن يفرج عنه كرب الآخرة، لا بد ان يبحث كذلك عن الأسباب المؤدية الى ذلك، والحديث السابق يوضح احدهما تماماً كما ورد في دعاء كميل: اللهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، فاذن هناك أسباب تحبس الدعاء، ولا بد من البحث عنها لاجتنابها.

٤. استحباب ملاحظة المؤمنين والترحيب بهم

وورد في حسن العلاقة مع الآخرين قول الصادق عليه السلام: مَنْ قال لأخيه: مرحباً، كتب الله له مرحباً الى يوم القيامة (٢).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكرم اخاه المؤمن بكلمة يلاطفه بها، وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود عليه من الرحمة، ما كان في ذلك(٣).

٥ـ وجوب ستر عيوب الآخرين

وفي وجوب ستر عيوب الآخرين، ورد عن الامام الباقر عليه السلام يجب للمؤمن على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة(٤).

---

(١) المدصر السابق: ٥٨٧.

(٢) المصدر السابق: صلى الله عليه وآله ٥٨٩.

(٣) المصدر السابق: ص٥٩١.

(٤) المصدر السابق: ص٥٩٣.

وان الخلاف اليوم بين المؤمنين لم يصل الى حد الكبيرة، فان احدهم لم يزنِ ولم يشرب الخمر، بل نجد الخلاف لا يتجاوز الاختلاف في الرأي، فهل يوجب ذلك القطعية والحقد والتشهير والتسقيط عن المنابر؟!.

٦ـ التعاضد بين المؤمنين

عن الامام الصادق عليه السلام (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحرمه)(١). وحذروا في التقصير في ذلك:

فعن الامام الباقر عليه السلام من بخل بمعونة أخيه، والقيام له في حاجته، إلا إبتلي بمعونة من يؤثم عليه ولا يؤجر(٢).

فان الذي يقبض يده ويبخل عن مساعدة أخيه في مبلغ من المال فانه سوف يخسره في معصية الله.

٧ـ الإكثار من الاصدقاء

وورد في الاحاديث إستحباب الإكثار من الأصدقاء والأخوة في الله تعالى، فعن الامام الرضا عليه السلام: (من استفاد أخا في الله استفاد بيتا في الجنة(٣).

---

(١) المصدر السابق: ص٥٩٧.
(٢) المصدر السابق: ص٥٩٧.
(٣) بحار الانوار: ج١٧/ ٢٧٦.

وعن الامام الصادق عليه السلام: (استكثروا من الاخوان،فان لكل مؤمن دعوة مستجابة)(١).

وقال: استكثروا من الاخوان فإن لكل مؤمن شفاعة(٢).

وقال: (أكثروا من مؤاخاة المؤمنين فأن لهم عند الله يداً يكافئهم بها يوم القيامة)(٣).

٨ـ ما يؤلف بين قلوب المؤمنين

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثلاثة؟ ودّالمرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء اليه(٤).

وَحثّوا عليهم السلام على إفشاء السلام،وعدُّوا أبخل الناس من بخل بالسلام(٥).

عن ابي عبد الله عليه السلام قال: (ان الله عز وجل قال: إن النجل من نجل بالسلام).

---

(١)وسائل الشيعة: ج١٢/١٧ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق: ص٥٣.
(٥) اصول الكافي: ج٢ ص٦٥٥ باب العشرين

وعن الامام الرضا عليه السلام: من شرب من سؤر أخيه المؤمن يريد به التواضع، أدخله الله الجنة البتة، ومن تبسَّم في وجه أخيه المؤمن كتب الله له حسنة، ومن كتب الله له حسنة لم يعذبه(١).

وعن درجة حسن الخلق والتعامل مع الناس:

قال الامام الصادق عليه السلام: ما يقدم المؤمن على الله عز وجل بشيء بعد الفرائض أحب الى الله تعالى من أنْ يسع الناس بخلقه(٢).

وعن الامام الصادق عليه السلام: المؤمن مألوف، ولا خير فيما يألف ولا يؤلف(٣).

٩ـ العفو عن إساءة الآخرين:

وردت أحاديث كثيرة في استحباب العفو عن الاخرين والإغضاء عن أخطائهم. والتغافل عن سقطاتهم.

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: عليكم بالعفو، فأن العفو لا يزيد العبد إلا عزذاً، فتعافوا يعزّكم الله(٤).

وعن علي بن الحسين عليه السلام في قول عز وجل: ﴿فَاصْفَحْ الصَّفْحَ

(١) وسائل الشيعة: ج٨/ ٤٨٣

(٢) اصول الكافي: ج٢ / ٣٨٦ باب حسن الخلق

(٣) بحار الانوار: ج ٦٨ / ٣٨١

(٤) اصول الكافي: ج ٢ / ٣٩٠. باب العفو

الْجَمِيلَ﴾ قال: العفو من غير عتاب(١).

وعن امير المؤمنين عليه السلام قال ﴿اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراُ للقدرة عليه(٢)

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألا أخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان الى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك)(٣).

١٠ـ التراحم بين المؤمنين:

وعن التراحم والتعاطف بين المؤمنين، ورد قول الامام الصادق عليه السلام لأصحابه: (إتقوا الله،وكونوا أخوة بررة، متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا، وتذاكروا أمرنا وأحيوه)(٤).

وعن الامام الباقر عليه السلام، رحم الله امراءاً ألف بين ولبين لنا، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا(٥).

وفي استحباب مصافحة المؤمنين، ورد عن الامام الباقر عليه السلام: (إن

---

(١) ميزان الحكمة: ٢٦٦٧، عن املي الصد وق:٢٧٦ /١٤

(٢) ميزان الحكمة: ٢٦٦٨، عن نهج البلاغة: الحكمة: ١١

(٣) اصول الكافي: ج٢ / ٣٩٠ باب العفو.

(٤) اصول الكافي: ج٢/ ٣٩٠ باب العفو.

(٥) بحار الانوار: ج٧٢ / ١٨٧.

المؤمنين إذا التقيا فتصافحا، أدخل الله يده بين أيدهما، وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه، فإذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر)(١).

وعن حرمة اهانة المؤمن ورد عن الامام الباقر عليه السلام قال: لما أسرى بالنبي صلى الله عليه وآله قال: يارب ما حال المؤمن عندك؟،قال: يا محمد، من اهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة: وأنا اسرع شيء إلى نصرة اوليائي.

إن الدخول في هذا العالم الرحيب لأهل البيت عليهم السلام، المبلغين رسالات ربهم بأمانة وصدق وإخلاص، ينقل الانسان الى عوالم قدسية تجلو بها القلوب، وتطهر بها النفوس. شعائر أريد منها وحدة المسلمين وألفتهم:

ولم يكتف المشترع الأقدس تبليغ هذه التعاليم والوصايا، وانما وضع على الأمة شعائر وطقوس تعزز هذه الألفة والمودة والتواصل، كالإجتماع لأداء الفرائض اليومية، وهي خمسة في اليوم، وكصلاة الجمعة الاسبوعية،التي يجب على كل أهل المدينة القدوم اليها، وكفريضة الحج التي يجتمع اليها ملايين المسلمين من كل بقاع العالم.

ومن تلك الشعائر: الأعياد وما تتضمنه برامجها من إستحباب إلاجتماع والتزاور والمعانقة والتهاني،مما يعيد الصفاء الى القلوب ويزيل الاضغان منها(٢).

---

(١) اصول الكافي: ج٤٢٩/٢ باب المصافحة.

(٢) ان هذه التعاليم السامية لتنظيم العلاقات الانسانية مما يفخر بها المسلمون واتباع أهل البيت، وعليهم

أفبعد كل هذا نشهد هذه الحالات المؤلمة من التقاطع والتباغض،والمهاترات الكلامية بين من ينتسبون الى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ويدَّعون أنهم مخلصون، عجباً عجباً !!، وقد شملت هذه الظاهرة المقرحة للقلوب كل ساحات العمل فالتناحرات السياسية والتسقيط في ساحة العمل الديني، والإنقسامات الإجتماعية، أدخلت الامة في دوامة ونفق مظلم، دفعت ثمنها غالياً من دماء بريئة، وتشويش فكري، وتمزق اجتماعي للثروات القدرات.

ان هذه الحالة المنكرة تتسبب في عدة كبائر وخسائر:

١ـ انها تضعف الأمة، وتبدد قواها،وتشغلها بأمور وهمية، وتضيع وقتها الثمين الذي نحتاج كل دقيقة منه. قال تعالى﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾.

٢ـ توقع صاحبها في معاصي تستلزمها: كالغيبة، والبهتان،واهانة المؤمن،وتشويه صورته، وتسقيط سمعته.

٣ـ انها تنغص حياة الشخص، وتسلبه صفو معيشته وسعادته، كما ورد في مناجاة الامام السجاد عليه السلام (فان الشكوك والظنون لواقع الفتن، ومكدرة

تطبيقها ونقلها الى الحضارات الاخرى ليروا الصورة الحضارية المشرقة للأسلام، وان بعضاً منها كتاب ديل كارنيجي (كيف نكسب الاصدقاء)، الذي يعدونه الكتاب الاكثر تداولا في العالم بعد القران الكريم، ودفعهم الى تأسيس (معهد كارنيجي) لتنظيم العلاقات الانسانية، فلماذا يكون اكثر المسلمون كالحمار الذي يحمل اسفاراً ولا يستفيد منها، او كالعيس في البداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول.

لصفوة المنائح والمنن) لذا كذا كان أهم النعم التي يتفضل بها الله تبارك وتعالى على أهل النعيم إزالة هذه المنغصات من القلب ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

٤ـ انما تمكن الاعداء من الامة وتفتح ثغرات في جسدها يخترقها العدو، وها نحن نشهد كيف إننا اكثرية في هذا البلد الا اننا اصحبنا لأنُهاب من الاعداء.

٥ـ انها تعيق تقدم حركة المشروع الاسلامي وتؤخر عملية التمهيد لليوم الموعود.

أرأيتم ان الانسياق وراء الأهواء والأنانية، وعدم الالتزام بتعاليم أهل البيت عليهم السلام في التحابب والتآلف والعفو والصفح وصفاء القلوب، كيف توصل الى هذه النتائج الوخيمة، أجارنا الله وإياكم منها، وعصمنا من كل ما يسخط امامنا المهدي الموعود ويحرمنا من اليُمن بلقائه، والتنعم بالنظر الى طلعته المباركة، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم..

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد

وآله الطيبين الطاهرين..

الملاحق



الملحق الأول

رسالة الإمام الصادق عليه السلام لشيعته

الحمد لله كما هو اهله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وبعد.

هناك عدة نقاط مهمة تتعلق بصفات المسلم الشيعي وقد نصح العلماء بمراجعة بعض المصادر النافعة لمعرفة هذه الصفات منها رسالة مهمة ـ رغم ان الكثير غافل عنها ـ وطويلة وجهّها الإمام الصادق عليه السلام إلى شيعته وأمرهم بمدارستها والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها فكانوا ـ السلف الصالح ـ يضعونها في مساجد بيوتهم فإذا فرغوا من الصلاة نظروا فيها. فوددت ان انقلها نصا من كتاب روضة الكافي ص ٣٢٥ ـ ٣٣٦ إتماما للفائدة، اسأل الله تعالى أن يجعلنا من العاملين بها.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَّا بَعْدُ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمُ الْعَافِيَةَ وعَلَيْكُمْ بِالدَّعَةِ والْوَقَارِ والسَّكِينَةِ وعَلَيْكُمْ بِالْحَيَاءِ والتَّنَزُّهِ عَمَّا تَنَزَّهَ عَنْهُ الصَّالِحُونَ قَبْلَكُمْ وعَلَيْكُمْ بِمُجَامَلَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ تَحَمَّلُوا الضَّيْمَ مِنْهُمْ وإِيَّاكُمْ ومُمَاظَّتَهُمْ دِينُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ إِذَا أَنْتُمْ جَالَسْتُمُوهُمْ وخَالَطْتُمُوهُمْ ونَازَعْتُمُوهُمُ الْكَلَامَ فَإِنَّهُ لا بُدَّ

لَكُمْ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ ومُخَالَطَتِهِمْ ومُنَازَعَتِهِمُ الْكَلامَ بِالتَّقِيَّةِ الَّتِي أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذُوا بِهَا فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ بِذَلِكَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ سَيُؤْذُونَكُمْ وتَعْرِفُونَ فِي وُجُوهِهِمُ الْمُنْكَرَ ولَوْ لا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْفَعُهُمْ عَنْكُمْ لَسَطَوْا بِكُمْ ومَا فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ والْبَغْضَاءِ أَكْثَرُ مِمَّا يُبْدُونَ لَكُمْ مَجَالِسُكُمْ ومَجَالِسُهُمْ وَاحِدَةٌ وأَرْوَاحُكُمْ وأَرْوَاحُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ لا تَأْتَلِفُ لا تُحِبُّونَهُمْ أَبَداً ولا يُحِبُّونَكُمْ غَيْرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَكُمْ بِالْحَقِّ وبَصَّرَكُمُوهُ ولَمْ يَجْعَلْهُمْ مِنْ أَهْلِهِ فَتُجَامِلُونَهُمْ وتَصْبِرُونَ عَلَيْهِمْ وهُمْ لا مُجَامَلَةَ لَهُمْ ولا صَبْرَ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ وحِيَلُهُمْ وَسْوَاسُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ فَإِنَّ أَعْدَاءَ اللَّهِ إِنِ اسْتَطَاعُوا صَدُّوكُمْ عَنِ الْحَقِّ فَيَعْصِمُكُمُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وكُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ إِلا مِنْ خَيْرٍ وإِيَّاكُمْ أَنْ تُزْلِقُوا أَلْسِنَتَكُمْ بِقَوْلِ الزُّورِ والْبُهْتَانِ والاثْمِ والْعُدْوَانِ فَإِنَّكُمْ إِنْ كَفَفْتُمْ أَلْسِنَتَكُمْ عَمَّا يَكْرَهُهُ اللَّهُ مِمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ كَانَ خَيْراً لَكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ مِنْ أَنْ تُزْلِقُوا أَلْسِنَتَكُمْ بِهِ فَإِنَّ زَلَقَ اللِّسَانِ فِيمَا يَكْرَهُ اللَّهُ ومَا يَنْهَى عَنْهُ مَرْدَاةٌ لِلْعَبْدِ عِنْدَ اللَّهِ ومَقْتٌ مِنَ اللَّهِ وصَمٌّ وعَمًى وبَكَمٌ يُورِثُهُ اللَّهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَصِيرُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ يَعْنِي لا يَنْطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وإِيَّاكُمْ ومَا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ تَرْكَبُوهُ وعَلَيْكُمْ بِالصَّمْتِ إِلا فِيمَا يَنْفَعُكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِكُمْ ويَأْجُرُكُمْ عَلَيْهِ وأَكْثِرُوا مِنَ التَّهْلِيلِ والتَّقْدِيسِ والتَّسْبِيحِ والثَّنَاءِ عَلَى اللَّهِ والتَّضَرُّعِ إِلَيْهِ والرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَهُ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي لا يَقْدِرُ قَدْرَهُ ولا يَبْلُغُ كُنْهَهُ أَحَدٌ فَاشْغَلُوا أَلْسِنَتَكُمْ بِذَلِكَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَقَاوِيلِ الْبَاطِلِ الَّتِي تُعْقِبُ أَهْلَهَا خُلُوداً فِي النَّارِ مَنْ مَاتَ عَلَيْهَا ولَمْ يَتُبْ إِلَى اللَّهِ ولَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا وعَلَيْكُمْ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُدْرِكُوا نَجَاحَ الْحَوَائِجِ عِنْدَ رَبِّهِمْ بِأَفْضَلَ مِنَ الدُّعَاءِ والرَّغْبَةِ إِلَيْهِ والتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ والْمَسْأَلَةِ لَهُ فَارْغَبُوا فِيمَا رَغَّبَكُمُ اللَّهُ

فِيهِ وأَجِيبُوا اللَّهَ إِلَى مَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ لِتُفْلِحُوا وتَنْجُوا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وإِيَّاكُمْ أَنْ تَشْرَهَ أَنْفُسُكُمْ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ هَاهُنَا فِي الدُّنْيَا حَالَ اللَّهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ الْجَنَّةِ ونَعِيمِهَا ولَذَّتِهَا وكَرَامَتِهَا الْقَائِمَةِ الدَّائِمَةِ لاهْلِ الْجَنَّةِ أَبَدَ الآبدين واعْلَمُوا أَنَّهُ بِئْسَ الْحَظُّ الْخَطَرُ لِمَنْ خَاطَرَ اللَّهَ بِتَرْكِ طَاعَةِ اللَّهِ ورُكُوبِ مَعْصِيَتِهِ فَاخْتَارَ أَنْ يَنْتَهِكَ مَحَارِمَ اللَّهِ فِي لَذَّاتِ دُنْيَا مُنْقَطِعَةٍ زَائِلَةٍ عَنْ أَهْلِهَا عَلَى خُلُودِ نَعِيمٍ فِي الْجَنَّةِ ولَذَّاتِهَا وكَرَامَةِ أَهْلِهَا وَيْلٌ لأولئك مَا أَخْيَبَ حَظَّهُمْ وأَخْسَرَ كَرَّتَهُمْ وأَسْوَأَ حَالَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اسْتَجِيرُوا اللَّهَ أَنْ يُجِيرَكُمْ فِي مِثَالِهِمْ أَبداً وأَنْ يَبْتَلِيَكُمْ بِمَا ابْتَلاهُمْ بِهِ ولا قُوَّةَ لَنَا ولَكُمْ إِلا بِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ النَّاجِيَةُ إِنْ أَتَمَّ اللَّهُ لَكُمْ مَا أَعْطَاكُمْ بِهِ فَإِنَّهُ لا يَتِمُّ الامْرُ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْكُمْ مِثْلُ الَّذِي دَخَلَ عَلَى الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ وحَتَّى تُبْتَلَوْا فِي أَنْفُسِكُمْ وأَمْوَالِكُمْ وحَتَّى تَسْمَعُوا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ أَذًى كَثِيراً فَتَصْبِرُوا وتَعْرُكُوا بِجُنُوبِكُمْ وحَتَّى يَسْتَذِلُّوكُمْ ويُبْغِضُوكُمْ وحَتَّى يُحَمِّلُوا عَلَيْكُمُ الضَّيْمَ فَتَحَمَّلُوا مِنْهُمْ تَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ والدَّارَ الاخِرَةَ وحَتَّى تَكْظِمُوا الْغَيْظَ الشَّدِيدَ فِي الاذَى فِي اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ يَجْتَرِمُونَهُ إِلَيْكُمْ وحَتَّى يُكَذِّبُوكُمْ بِالْحَقِّ ويُعَادُوكُمْ فِيهِ ويُبْغِضُوكُمْ عَلَيْهِ فَتَصْبِرُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ ومِصْدَاقُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى نَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله سَمِعْتُمْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ لِنَبِيِّكُمْ صلى الله عليه وآله فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ولا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ثُمَّ قَالَ وإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وأُوذُوا فَقَدْ كُذِّبَ نَبِيُّ اللَّهِ والرُّسُلُ مِنْ قَبْلِهِ وأُوذُوا مَعَ التَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ فَإِنْ سَرَّكُمْ أَمْرُ اللَّهِ فِيهِمُ الَّذِي خَلَقَهُمْ لَهُ فِي الاصْلِ]أَصْلِ الْخَلْقِ[مِنَ الْكُفْرِ الَّذِي سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقَهُمْ لَهُ فِي الاصْلِ ومِنَ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي قَوْلِهِ

وجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَتَدَبَّرُوا هَذَا واعْقِلُوهُ ولا تَجْهَلُوهُ فَإِنَّهُ مَنْ يَجْهَلْ هَذَا وأَشْبَاهَهُ مِمَّا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ونَهَى عَنْهُ تَرَكَ دِينَ اللَّهِ ورَكِبَ مَعَاصِيَهُ فَاسْتَوْجَبَ سَخَطَ اللَّهِ فَأَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ وقَالَ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ الْمُفْلِحَةُ إِنَّ اللَّهَ أَتَمَّ لَكُمْ مَا آتَاكُمْ مِنَ الْخَيْرِ واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ ولا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ يَأْخُذَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ فِي دِينِهِ بِهَوًى ولا رَأْيٍ ولا مَقَايِيسَ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ وجَعَلَ فِيهِ تِبْيَانَ كُلِّ شَيْءٍ وجَعَلَ لِلْقُرْآنِ ولِتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ أَهْلاً لا يَسَعُ أَهْلَ عِلْمِ الْقُرْآنِ الَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ عِلْمَهُ أَنْ يَأْخُذُوا فِيهِ بِهَوًى ولا رَأْيٍ ولا مَقَايِيسَ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ بِمَا آتَاهُمْ مِنْ عِلْمِهِ وخَصَّهُمْ بِهِ ووَضَعَهُ عِنْدَهُمْ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ أَكْرَمَهُمْ بِهَا وهُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ هَذِهِ الامَّةَ بِسُؤَالِهِمْ وهُمُ الَّذِينَ مَنْ سَأَلَهُمْ وقَدْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ ويَتَّبِعَ أَثَرَهُمْ أَرْشَدُوهُ وأَعْطَوْهُ مِنْ عِلْمِ الْقُرْآنِ مَا يَهْتَدِي بِهِ إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وإِلَى جَمِيعِ سُبُلِ الْحَقِّ وهُمُ الَّذِينَ لا يَرْغَبُ عَنْهُمْ وعَنْ مَسْأَلَتِهِمْ وعَنْ عِلْمِهِمُ الَّذِي أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ وجَعَلَهُ عِنْدَهُمْ إِلا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ فِي عِلْمِ اللَّهِ الشَّقَاءُ فِي أَصْلِ الْخَلْقِ تَحْتَ الاظِلَّةِ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَرْغَبُونَ عَنْ سُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ والَّذِينَ آتَاهُمُ اللَّهُ عِلْمَ الْقُرْآنِ ووَضَعَهُ عِنْدَهُمْ وأَمَرَ بِسُؤَالِهِمْ وأُولَئِكَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ بِأَهْوَائِهِمْ وآرَائِهِمْ ومَقَايِيسِهِمْ حَتَّى دَخَلَهُمُ الشَّيْطَانُ لانَّهُمْ جَعَلُوا أَهْلَ الايمَانِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللَّهِ كَافِرِينَ وجَعَلُوا أَهْلَ الضَّلالَةِ فِي عِلْمِ الْقُرْآنِ عِنْدَ اللَّهِ مُؤْمِنِينَ وحَتَّى جَعَلُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الامْرِ حَرَاماً وجَعَلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الامْرِ حَلالا فَذَلِكَ أَصْلُ ثَمَرَةِ أَهْوَائِهِمْ وقَدْ عَهِدَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وآلِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ فَقَالُوا نَحْنُ بَعْدَ مَا قَبَضَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ رَسُولَهُ يَسَعُنَا أَنْ نَأْخُذَ بِمَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ رَأْيُ النَّاسِ بَعْدَ مَا قَبَضَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ

رَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وبَعْدَ عَهْدِهِ الَّذِي عَهِدَهُ إِلَيْنَا وأَمَرَنَا بِهِ مُخَالِفاً لِلَّهِ ولِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله فَمَا أَحَدٌ أَجْرَأَ عَلَى اللَّهِ ولا أَبْيَنَ ضَلالَةً مِمَّنْ أَخَذَ بِذَلِكَ وزَعَمَ أَنَّ ذَلِكَ يَسَعُهُ واللَّهِ إِنَّ لِلَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَنْ يُطِيعُوهُ ويَتَّبِعُوا أَمْرَهُ فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبَعْدَ مَوْتِهِ هَلْ يَسْتَطِيعُ أُولَئِكَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّ أَحَداً مِمَّنْ أَسْلَمَ مَعَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَخَذَ بِقَوْلِهِ ورَأْيِهِ ومَقَايِيسِهِ فَإِنْ قَالَ نَعَمْ فَقَدْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وضَلَّ ضَلالا بَعِيداً وإِنْ قَالَ لا لَمْ يَكُنْ لاحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْيِهِ وهَوَاهُ ومَقَايِيسِهِ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ وهُوَ مِمَّنْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يُطَاعُ ويُتَّبَعُ أَمْرُهُ بَعْدَ قَبْضِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وقَدْ قَالَ اللَّهُ وقَوْلُهُ الْحَقُّ وما مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ ومَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ وذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُطَاعُ ويُتَّبَعُ أَمْرُهُ فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وبَعْدَ قَبْضِ اللَّهِ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله وكَمَا لَمْ يَكُنْ لاحَدٍ مِنَ النَّاسِ مَعَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنْ يَأْخُذَ بِهَوَاهُ ولا رَأْيِهِ ولا مَقَايِيسِهِ خِلافاً لامْرِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله فَكَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لاحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أَنْ يَأْخُذَ بِهَوَاهُ ولا رَأْيِهِ ولا مَقَايِيسِهِ وقَالَ دَعُوا رَفْعَ أَيْدِيكُمْ فِي الصَّلاةِ إِلا مَرَّةً وَاحِدَةً حِينَ تُفْتَتَحُ الصَّلاةُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ شَهَرُوكُمْ بِذَلِكَ واللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ وقَالَ أَكْثِرُوا مِنْ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَدْعُوهُ وقَدْ وَعَدَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالاسْتِجَابَةِ واللَّهُ مُصَيِّرٌ دُعَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُمْ عَمَلا يَزِيدُهُمْ بِهِ فِي الْجَنَّةِ فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ اللَّيْلِ والنَّهَارِ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ لَهُ واللَّهُ ذَاكِرٌ لِمَنْ ذَكَرَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ إِلا ذَكَرَهُ بِخَيْرٍ فَأَعْطُوا اللَّهَ مِنْ أَنْفُسِكُمُ الاجْتِهَادَ فِي طَاعَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ لا

يُدْرَكُ شَيْءُ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ إلا بِطَاعَتِهِ واجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ فِي ظَاهِرِ الْقُرْآنِ وبَاطِنِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ وقَوْلُهُ الْحَقُّ وذَرُوا ظاهِرَ الاثْمِ وباطِنَهُ واعْلَمُوا أَنَّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ تَجْتَنِبُوهُ فَقَدْ حَرَّمَهُ واتَّبِعُوا آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وسُنَّتَهُ فَخُذُوا بِهَا ولا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَكُمْ وآرَاءَكُمْ فَتَضِلُّوا فَإِنَّ أَضَلَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ ورَأْيَهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ وأَحْسِنُوا إِلَى أَنْفُسِكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ فإِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لانْفُسِكُمْ وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا وجَامِلُوا النَّاسَ ولا تَحْمِلُوهُمْ عَلَى رِقَابِكُمْ تَجْمَعُوا مَعَ ذَلِكَ طَاعَةَ رَبِّكُمْ وإِيَّاكُمْ وسَبَّ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَيْثُ يَسْمَعُونَكُمْ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ وقَدْ يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا حَدَّ سَبِّهِمْ لِلَّهِ كَيْفَ هُوَ إِنَّهُ مَنْ سَبَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَقَدِ انْتَهَكَ سَبَّ اللَّهِ ومَنْ أَظْلَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِمَّنِ اسْتَسَبَّ لِلَّهِ ولاوْلِيَاءِ اللَّهِ فَمَهْلا مَهْلا فَاتَّبِعُوا أَمْرَ اللَّهِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ وقَالَ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ الْحَافِظُ اللَّهُ لَهُمْ أَمْرَهُمْ عَلَيْكُمْ بِآثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وسُنَّتِهِ وآثَارِ الائِمَّةِ الْهُدَاةِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ بَعْدِهِ وسُنَّتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ أَخَذَ بِذَلِكَ فَقَدِ اهْتَدَى ومَنْ تَرَكَ ذَلِكَ ورَغِبَ عَنْهُ ضَلَّ لانَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِمْ ووَلايَتِهِمْ وقَدْ قَالَ أَبُونَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُدَاوَمَةُ عَلَى الْعَمَلِ فِي اتِّبَاعِ الآثَارِ والسُّنَنِ وإِنْ قَلَّ أَرْضَى لِلَّهِ وأَنْفَعُ عِنْدَهُ فِي الْعَاقِبَةِ مِنَ الاجْتِهَادِ فِي الْبِدَعِ واتِّبَاعِ الاهْوَاءِ أَلا إِنَّ اتِّبَاعَ الاهْوَاءِ واتِّبَاعَ الْبِدَعِ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ضَلالٌ وكُلُّ ضَلالَةٍ بِدْعَةٌ وكُلُّ بِدْعَةٍ فِي النَّارِ ولَنْ يُنَالَ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ إلا بِطَاعَتِهِ والصَّبْرِ والرِّضَا لانَّ الصَّبْرَ والرِّضَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ واعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِهِ حَتَّى يَرْضَى عَنِ اللَّهِ فِيمَا صَنَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ وصَنَعَ بِهِ عَلَى مَا أَحَبَّ وكَرِهَ ولَنْ يَصْنَعَ اللَّهُ بِمَنْ صَبَرَ ورَضِيَ عَنِ اللَّهِ إلا مَا هُوَ أَهْلُهُ وهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا أَحَبَّ وكَرِهَ وعَلَيْكُمْ

بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الْوُسْطَى وقُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي كِتَابِهِ مِنْ قَبْلِكُمْ وإِيَّاكُمْ وعَلَيْكُمْ بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ مَنْ حَقَّرَهُمْ وتَكَبَّرَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ زَلَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ واللَّهُ لَهُ حَاقِرٌ مَاقِتٌ وقَدْ قَالَ أَبُونَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَمَرَنِي رَبِّي بِحُبِّ الْمَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ مِنْهُمْ واعْلَمُوا أَنَّ مَنْ حَقَّرَ أَحَداً مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَقْتَ مِنْهُ والْمَحْقَرَةَ حَتَّى يَمْقُتَهُ النَّاسُ واللَّهُ لَهُ أَشَدُّ مَقْتاً فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ الْمَسَاكِينِ فَإِنَّ لَهُمْ عَلَيْكُمْ حَقّاً أَنْ تُحِبُّوهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ رَسُولَهُ صلى الله عليه وآله بِحُبِّهِمْ فَمَنْ لَمْ يُحِبَّ مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِحُبِّهِ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ورَسُولَهُ ومَنْ عَصَى اللَّهَ ورَسُولَهُ ومَاتَ عَلَى ذَلِكَ مَاتَ وهُوَ مِنَ الْغَاوِينَ وإِيَّاكُمْ والْعَظَمَةَ والْكِبْرَ فَإِنَّ الْكِبْرَ رِدَاءُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ فَمَنْ نَازَعَ اللَّهَ رِدَاءَهُ خَصَمَهُ اللَّهُ وأَذَلَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وإِيَّاكُمْ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ خِصَالِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّهُ مَنْ بَغَى صَيَّرَ اللَّهُ بَغْيَهُ عَلَى نَفْسِهِ وصَارَتْ نُصْرَةُ اللَّهِ لِمَنْ بُغِيَ عَلَيْهِ ومَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ غَلَبَ وأَصَابَ الظَّفَرَ مِنَ اللَّهِ وإِيَّاكُمْ أَنْ يَحْسُدَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَإِنَّ الْكُفْرَ أَصْلُهُ الْحَسَدُ وإِيَّاكُمْ أَنْ تُعِينُوا عَلَى مُسْلِمٍ مَظْلُومٍ فَيَدْعُوَ اللَّهَ عَلَيْكُمْ ويُسْتَجَابَ لَهُ فِيكُمْ فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَقُولُ إِنَّ دَعْوَةَ الْمُسْلِمِ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ولْيُعِنْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ إِنَّ مَعُونَةَ الْمُسْلِمِ خَيْرٌ وأَعْظَمُ أَجْراً مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ واعْتِكَافِهِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وإِيَّاكُمْ وإِعْسَارَ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِينَ أَنْ تُعْسِرُوهُ بِالشَّيْءِ يَكُونُ لَكُمْ قِبَلَهُ وهُوَ مُعْسِرٌ فَإِنَّ أَبَانَا رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ لَيْسَ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُعْسِرَ مُسْلِماً ومَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً أَظَلَّهُ اللَّهُ بِظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلُّهُ وإِيَّاكُمْ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ الْمَرْحُومَةُ الْمُفَضَّلَةُ عَلَى مَنْ سِوَاهَا وحَبْسَ حُقُوقِ اللَّهِ قِبَلَكُمْ يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ وسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ

فَإِنَّهُ مَنْ عَجَّلَ حُقُوقَ اللَّهِ قِبَلَهُ كَانَ اللَّهُ أَقْدَرَ عَلَى التَّعْجِيلِ لَهُ إِلَى مُضَاعَفَةِ الْخَيْرِ فِي الْعَاجِلِ والاجِلِ وإِنَّهُ مَنْ أَخَّرَ حُقُوقَ اللَّهِ قِبَلَهُ كَانَ اللَّهُ أَقْدَرَ عَلَى تَأْخِيرِ رِزْقِهِ ومَنْ حَبَسَ اللَّهُ رِزْقَهُ لَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْزُقَ نَفْسَهُ فَأَدُّوا إِلَى اللَّهِ حَقَّ مَا رَزَقَكُمْ يُطَيِّبِ اللَّهُ لَكُمْ بَقِيَّتَهُ ويُنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنْ مُضَاعَفَتِهِ لَكُمُ الاضْعَافَ الْكَثِيرَةَ الَّتِي لا يَعْلَمُ عَدَدَهَا ولا كُنْهَ فَضْلِهَا إِلا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وقَالَ اتَّقُوا اللَّهَ أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ وإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا يَكُونَ مِنْكُمْ مُحْرِجُ الامَامِ فَإِنَّ مُحْرِجَ الامَامِ هُوَ الَّذِي يَسْعَى بِأَهْلِ الصَّلاحِ مِنْ أَتْبَاعِ الامَامِ الْمُسَلِّمِينَ لِفَضْلِهِ الصَّابِرِينَ عَلَى أَدَاءِ حَقِّهِ الْعَارِفِينَ لِحُرْمَتِهِ واعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ نَزَلَ بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ عِنْدَ الامَامِ فَهُوَ مُحْرِجُ الامَامِ فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ عِنْدَ الامَامِ أَحْرَجَ الامَامَ إِلَى أَنْ يَلْعَنَ أَهْلَ الصَّلاحِ مِنْ أَتْبَاعِهِ الْمُسَلِّمِينَ لِفَضْلِهِ الصَّابِرِينَ عَلَى أَدَاءِ حَقِّهِ الْعَارِفِينَ بِحُرْمَتِهِ فَإِذَا لَعَنَهُمْ لاحْرَاجِ أَعْدَاءِ اللَّهِ الامَامَ صَارَتْ لَعْنَتُهُ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وصَارَتِ اللَّعْنَةُ مِنَ اللَّهِ ومِنَ الْمَلائِكَةِ ورُسُلِهِ عَلَى أُولَئِكَ واعْلَمُوا أَيَّتُهَا الْعِصَابَةُ أَنَّ السُّنَّةَ مِنَ اللَّهِ قَدْ جَرَتْ فِي الصَّالِحِينَ قَبْلُ وقَالَ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ وهُوَ مُؤْمِنٌ حَقّاً حَقّاً فَلْيَتَوَلَّ اللَّهَ ورَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا ولْيَبْرَأْ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ ويُسَلِّمُ لِمَا انْتَهَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِمْ لانَّ فَضْلَهُمْ لا يَبْلُغُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولا مَنْ دُونَ ذَلِكَ أَ لَمْ تَسْمَعُوا مَا ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِ أَتْبَاعِ الائِمَّةِ الْهُدَاةِ وهُمُ الْمُؤْمِنُونَ قَالَ فَأُولئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدِّيقِينَ والشُّهَداءِ والصَّالِحِينَ وحَسُنَ أُولئِكَ رَفِيقاً فَهَذَا وَجْهٌ مِنْ وُجُوهِ فَضْلِ أَتْبَاعِ الائِمَّةِ فَكَيْفَ بِهِمْ وفَضْلِهِمْ ومَنْ سَرَّهُ أَنْ يُتِمَّ اللَّهُ لَهُ إِيمَانَهُ حَتَّى يَكُونَ مُؤْمِناً حَقّاً حَقّاً فَلْيَفِ لِلَّهِ بِشُرُوطِهِ الَّتِي اشْتَرَطَهَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ قَدِ اشْتَرَطَ مَعَ وَلايَتِهِ ووَلايَةِ رَسُولِهِ ووَلايَةِ أَئِمَّةِ الْمُؤْمِنِينَ إِقَامَ الصَّلاةِ وإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وإِقْرَاضَ

اللَّهِ قَرْضاً حَسَناً واجْتِنَابَ الْفَوَاحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا فُسِّرَ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ إلا وقَدْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ قَوْلِهِ فَمَنْ دَانَ اللَّهَ فِيمَا بَيْنَهُ وبَيْنَ اللَّهِ مُخْلِصاً لِلَّهِ ولَمْ يُرَخِّصْ لِنَفْسِهِ فِي تَرْكِ شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ فِي حِزْبِهِ الْغَالِبِينَ وهُوَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ حَقّاً وإِيَّاكُمْ والاصْرَارَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ فِي ظَهْرِ الْقُرْآنِ وبَطْنِهِ وقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ولَمْ يُصِرُّوا على ما فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ إِلَى هَاهُنَا رِوَايَةُ الْقَاسِمِ بْنِ رَبِيعٍ يَعْنِي الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ إِذَا نَسُوا شَيْئاً مِمَّا اشْتَرَطَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ عَرَفُوا أَنَّهُمْ قَدْ عَصَوُا اللَّهَ فِي تَرْكِهِمْ ذَلِكَ الشَّيْءَ فَاسْتَغْفَرُوا ولَمْ يَعُودُوا إِلَى تَرْكِهِ فَذَلِكَ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ ولَمْ يُصِرُّوا عَلى ما فَعَلُوا وهُمْ يَعْلَمُونَ واعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَ ونَهَى لِيُطَاعَ فِيمَا أَمَرَ بِهِ ولِيُنْتَهَى عَمَّا نَهَى عَنْهُ فَمَنِ اتَّبَعَ أَمْرَهُ فَقَدْ أَطَاعَهُ وقَدْ أَدْرَكَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ عِنْدَهُ ومَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ فَقَدْ عَصَاهُ فَإِنْ مَاتَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ أَكَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولا مَنْ دُونَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقِهِ كُلِّهِمْ إلا طَاعَتُهُمْ لَهُ فَاجْتَهِدُوا فِي طَاعَةِ اللَّهِ إِنْ سَرَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ حَقّاً حَقّاً ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ وقَالَ وعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ الاسْلامَ هُوَ التَّسْلِيمُ والتَّسْلِيمَ هُوَ الاسْلامُ فَمَنْ سَلَّمَ فَقَدْ أَسْلَمَ ومَنْ لَمْ يُسَلِّمْ فَلا إِسْلامَ لَهُ ومَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْلِغَ إِلَى نَفْسِهِ فِي الاحْسَانِ فَلْيُطِعِ اللَّهَ فَإِنَّهُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ فَقَدْ أَبْلَغَ إِلَى نَفْسِهِ فِي الاحْسَانِ وإِيَّاكُمْ ومَعَاصِيَ اللَّهِ أَنْ تَرْكَبُوهَا فَإِنَّهُ مَنِ انْتَهَكَ مَعَاصِيَ اللَّهِ فَرَكِبَهَا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الاسَاءَةِ إِلَى نَفْسِهِ ولَيْسَ بَيْنَ الاحْسَانِ والاسَاءَةِ مَنْزِلَةٌ فَلاهْلِ الاحْسَانِ عِنْدَ رَبِّهِمُ الْجَنَّةُ ولاهْلِ الاسَاءَةِ عِنْدَ رَبِّهِمُ النَّارُ فَاعْمَلُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ واجْتَنِبُوا مَعَاصِيَهُ واعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ يُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ شَيْئاً لا

مَلَكٌ مُقَرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ولا مَنْ دُونَ ذَلِكَ فَمَنْ سَرَّهُ أَنْ تَنْفَعَهُ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَطْلُبْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ واعْلَمُوا أَنَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَمْ يُصِبْ رِضَا اللَّهِ إلا بِطَاعَتِهِ وطَاعَةِ رَسُولِهِ وطَاعَةِ وُلاةِ أَمْرِهِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍﷺ ومَعْصِيَتُهُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ولَمْ يُنْكِرْ لَهُمْ فَضْلا عَظُمَ أَوْ صَغُرَ واعْلَمُوا أَنَّ الْمُنْكِرِينَ هُمُ الْمُكَذِّبُونَ وأَنَّ الْمُكَذِّبِينَ هُمُ الْمُنَافِقُونَ وأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ قَالَ لِلْمُنَافِقِينَ وقَوْلُهُ الْحَقُّ إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الاسْفَلِ مِنَ النَّارِ ولَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ولا يَفْرَقَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ أَلْزَمَ اللَّهُ قَلْبَهُ طَاعَتَهُ وخَشْيَتَهُ مِنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مِمَّنْ أَخْرَجَهُ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ الْحَقِّ ولَمْ يَجْعَلْهُ مِنْ أَهْلِهَا فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ صِفَةِ الْحَقِّ فَأُولَئِكَ هُمْ شَيَاطِينُ الانْسِ والْجِنِّ وإِنَّ لِشَيَاطِينِ الانْسِ حِيلَةً ومَكْراً وخَدَائِعَ ووَسْوَسَةً بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ يُرِيدُونَ إِنِ اسْتَطَاعُوا أَنْ يَرُدُّوا أَهْلَ الْحَقِّ عَمَّا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنَ النَّظَرِ فِي دِينِ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ شَيَاطِينَ الانْسِ مِنْ أَهْلِهِ إِرَادَةَ أَنْ يَسْتَوِيَ أَعْدَاءُ اللَّهِ وأَهْلُ الْحَقِّ فِي الشَّكِّ والانْكَارِ والتَّكْذِيبِ فَيَكُونُونَ سَوَاءً كَمَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ مِنْ قَوْلِهِ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً ثُمَّ نَهَى اللَّهُ أَهْلَ النَّصْرِ بِالْحَقِّ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ وَلِيّاً ولا نَصِيراً فَلا يُهَوِّلَنَّكُمْ ولا يَرُدَّنَّكُمْ عَنِ النَّصْرِ بِالْحَقِّ الَّذِي خَصَّكُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ حِيلَةِ شَيَاطِينِ الانْسِ ومَكْرِهِمْ مِنْ أُمُورِكُمْ تَدْفَعُونَ أَنْتُمُ السَّيِّئَةَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ تَلْتَمِسُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّكُمْ بِطَاعَتِهِ وهُمْ لا خَيْرَ عِنْدَهُمْ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تُظْهِرُوهُمْ عَلَى أُصُولِ دِينِ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ إِنْ سَمِعُوا مِنْكُمْ فِيهِ شَيْئاً عَادَوْكُمْ عَلَيْهِ ورَفَعُوهُ عَلَيْكُمْ وجَهَدُوا عَلَى هَلاكِكُمْ واسْتَقْبَلُوكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ ولَمْ يَكُنْ لَكُمُ النَّصَفَةُ مِنْهُمْ فِي دُوَلِ الْفُجَّارِ فَاعْرِفُوا مَنْزِلَتَكُمْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ أَهْلِ الْبَاطِلِ فَإِنَّهُ لا

يَنْبَغِي لاهْلِ الْحَقِّ أَنْ يُنْزِلُوا أَنْفُسَهُمْ مَنْزِلَةَ أَهْلِ الْبَاطِلِ لانَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ أَهْلَ الْحَقِّ عِنْدَهُ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ أَ لَمْ يَعْرِفُوا وَجْهَ قَوْلِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الارْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ أَكْرِمُوا أَنْفُسَكُمْ عَنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ ولا تَجْعَلُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى ولَهُ الْمَثَلُ الاعْلَى وإِمَامَكُمْ ودِينَكُمُ الَّذِي تَدِينُونَ بِهِ عُرْضَةً لاهْلِ الْبَاطِلِ فَتُغْضِبُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ فَتَهْلِكُوا فَمَهْلًا مَهْلًا يَا أَهْلَ الصَّلاحِ لا تَتْرُكُوا أَمْرَ اللَّهِ وأَمْرَ مَنْ أَمَرَكُمْ بِطَاعَتِهِ فَيُغَيِّرَ اللَّهُ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَحِبُّوا فِي اللَّهِ مَنْ وَصَفَ صِفَتَكُمْ وأَبْغِضُوا فِي اللَّهِ مَنْ خَالَفَكُمْ وابْذُلُوا مَوَدَّتَكُمْ ونَصِيحَتَكُمْ (لِمَنْ وَصَفَ صِفَتَكُم) ولا تَبْتَذِلُوهَا لِمَنْ رَغِبَ عَنْ صِفَتِكُمْ وعَادَاكُمْ عَلَيْهَا وبَغَى لَكُمُ الْغَوَائِلَ هَذَا أَدَبُنَا أَدَبُ اللَّهِ فَخُذُوا بِهِ وتَفَهَّمُوهُ واعْقِلُوهُ ولا تَنْبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ مَا وَافَقَ هُدَاكُمْ أَخَذْتُمْ بِهِ ومَا وَافَقَ هَوَاكُمْ طَرَحْتُمُوهُ ولَمْ تَأْخُذُوا بِهِ وإِيَّاكُمْ والتَّجَبُّرَ عَلَى اللَّهِ واعْلَمُوا أَنَّ عَبْداً لَمْ يُبْتَلَ بِالتَّجَبُّرِ عَلَى اللَّهِ إِلا تَجَبَّرَ عَلَى دِينِ اللَّهِ فَاسْتَقِيمُوا لِلَّهِ ولا تَرْتَدُّوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ أَجَارَنَا اللَّهُ وإِيَّاكُمْ مِنَ التَّجَبُّرِ عَلَى اللَّهِ ولا قُوَّةَ لَنَا ولَكُمْ إِلا بِاللَّهِ وقَالَ عليه السلام إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ خَلَقَهُ اللَّهُ فِي الاصْلِ أَصْلِ الْخَلْقِ مُؤْمِناً لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُكَرِّهَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّرَّ ويُبَاعِدَهُ عَنْهُ ومَنْ كَرَّهَ اللَّهُ إِلَيْهِ الشَّرَّ وبَاعَدَهُ عَنْهُ عَافَاهُ اللَّهُ مِنَ الْكِبْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ والْجَبْرِيَّةِ فَلانَتْ عَرِيكَتُهُ وحَسُنَ خُلُقُهُ وطَلُقَ وَجْهُهُ وصَارَ عَلَيْهِ وَقَارُ الاسْلامِ وسَكِينَتُهُ وتَخَشُّعُهُ ووَرِعَ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ واجْتَنَبَ مَسَاخِطَهُ ورَزَقَهُ اللَّهُ مَوَدَّةَ النَّاسِ ومُجَامَلَتَهُمْ وتَرْكَ مُقَاطَعَةِ النَّاسِ والْخُصُومَاتِ ولَمْ يَكُنْ مِنْهَا ولا مِنْ أَهْلِهَا فِي شَيْءٍ وإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا كَانَ اللَّهُ خَلَقَهُ فِي الاصْلِ (أَصْلِ الْخَلْقِ) كَافِراً لَمْ يَمُتْ حَتَّى يُحَبِّبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ ويُقَرِّبَهُ مِنْهُ فَإِذَا حَبَّبَ إِلَيْهِ الشَّرَّ وقَرَّبَهُ مِنْهُ

ابْتُلِيَ بِالْكِبْرِ والْجَبْرِيَّةِ فَقَسَا قَلْبُهُ وسَاءَ خُلُقُهُ وغَلُظَ وَجْهُهُ وظَهَرَ فُحْشُهُ وقَلَّ حَيَاؤُهُ وكَشَفَ اللَّهُ سِتْرَهُ ورَكِبَ الْمَحَارِمَ فَلَمْ يَنْزِعْ عَنْهَا ورَكِبَ مَعَاصِيَ اللَّهِ وأَبْغَضَ طَاعَتَهُ وأَهْلَهَا فَبُعْدُ مَا بَيْنَ حَالِ الْمُؤْمِنِ وحَالِ الْكَافِرِ سَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ واطْلُبُوهَا إِلَيْهِ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللَّهِ صَبِّرُوا النَّفْسَ عَلَى الْبَلاءِ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ تَتَابُعَ الْبَلاءِ فِيهَا والشِّدَّةَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ووَلايَتِهِ ووَلايَةِ مَنْ أَمَرَ بِوَلايَتِهِ خَيْرٌ عَاقِبَةً عِنْدَ اللَّهِ فِي الاخِرَةِ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا وإِنْ طَالَ تَتَابُعُ نَعِيمِهَا وزَهْرَتِهَا وغَضَارَةُ عَيْشِهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ ووَلايَةِ مَنْ نَهَى اللَّهُ عَنْ وَلايَتِهِ وطَاعَتِهِ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِوَلايَةِ الائِمَّةِ الَّذِينَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ فِي قَوْلِهِ وجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وهُمُ الَّذِينَ أَمَرَ اللَّهُ بِوَلايَتِهِمْ وطَاعَتِهِمْ والَّذِينَ نَهَى اللَّهُ عَنْ وَلايَتِهِمْ وطَاعَتِهِمْ وهُمْ أَئِمَّةُ الضَّلالَةِ الَّذِينَ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ دُوَلٌ فِي الدُّنْيَا عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ الائِمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يَعْمَلُونَ فِي دُولَتِهِمْ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ ومَعْصِيَةِ رَسُولِهِ ﷺ لِيَحِقَّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ولِيَتِمَّ أَنْ تَكُونُوا مَعَ نَبِيِّ اللَّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ والرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ فَتَدَبَّرُوا مَا قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي كِتَابِهِ مِمَّا ابْتَلَى بِهِ أَنْبِيَاءَهُ وأَتْبَاعَهُمُ الْمُؤْمِنِينَ ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلاءِ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والشِّدَّةِ والرَّخَاءِ مِثْلَ الَّذِي أَعْطَاهُمْ وإِيَّاكُمْ ومُمَاظَّةَ أَهْلِ الْبَاطِلِ وعَلَيْكُمْ بِهُدَى الصَّالِحِينَ ووَقَارِهِمْ وسَكِينَتِهِمْ وحِلْمِهِمْ وتَخَشُّعِهِمْ ووَرَعِهِمْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ وصِدْقِهِمْ ووَفَائِهِمْ واجْتِهَادِهِمْ لِلَّهِ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ فَإِنَّكُمْ إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا ذَلِكَ لَمْ تُنْزَلُوا عِنْدَ رَبِّكُمْ مَنْزِلَةَ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ واعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْراً شَرَحَ صَدْرَهُ لِلاسْلامِ فَإِذَا أَعْطَاهُ ذَلِكَ أَنْطَقَ لِسَانَهُ بِالْحَقِّ وعَقَدَ قَلْبَهُ عَلَيْهِ فَعَمِلَ بِهِ فَإِذَا جَمَعَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ تَمَّ لَهُ إِسْلامُهُ وكَانَ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ حَقّاً وإِذَا لَمْ يُرِدِ اللَّهُ بِعَبْدٍ خَيْراً وَكَلَهُ إِلَى

نَفْسِهِ وكَانَ صَدْرُهُ ضَيِّقاً حَرَجاً فَإِنْ جَرَى عَلَى لِسَانِهِ حَقٌّ لَمْ يُعْقَدْ قَلْبُهُ عَلَيْهِ وإِذَا لَمْ يُعْقَدْ قَلْبُهُ عَلَيْهِ لَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ الْعَمَلَ بِهِ فَإِذَا اجْتَمَعَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى يَمُوتَ وهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وصَارَ مَا جَرَى عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ اللَّهُ أَنْ يُعْقَدَ قَلْبُهُ عَلَيْهِ ولَمْ يُعْطِهِ الْعَمَلَ بِهِ حُجَّةً عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وسَلُوهُ أَنْ يَشْرَحَ صُدُورَكُمْ لِلاسْلامِ وأَنْ يَجْعَلَ أَلْسِنَتَكُمْ تَنْطِقُ بِالْحَقِّ حَتَّى يَتَوَفَّيكُمْ وأَنْتُمْ عَلَى ذَلِكَ وأَنْ يَجْعَلَ مُنْقَلَبَكُمْ مُنْقَلَبَ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ ولا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ومَنْ سَرَّهُ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ فَلْيَعْمَلْ بِطَاعَةِ اللَّهِ ولْيَتَّبِعْنَا أَ لَمْ يَسْمَعْ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهِ لا يُطِيعُ اللَّهَ عَبْدٌ أَبَداً إِلا أَدْخَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي طَاعَتِهِ اتِّبَاعَنَا ولا واللَّهِ لا يَتَّبِعُنَا عَبْدٌ أَبَداً إِلا أَحَبَّهُ اللَّهُ ولا واللَّهِ لا يَدَعُ أَحَدٌ اتِّبَاعَنَا أَبَداً إِلا أَبْغَضَنَا ولا واللَّهِ لا يُبْغِضُنَا أَحَدٌ أَبَداً إِلا عَصَى اللَّهَ ومَنْ مَاتَ عَاصِياً لِلَّهِ أَخْزَاهُ اللَّهُ وأَكَبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ والْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

الملحق الثاني

وصية الرسول الأكرمﷺ لأبى ذر (رض)

الحمد لله كما هو أهله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين وبعد.

قال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) تجد ان الله تعالى يؤكد كثيرا على التقوى في كتابه الكريم وقد يصل عدد مرات ذكر التقوى الى ما يقارب الـ ٢٥٠ مرة ولما كان من مقتضى حكمة الباري عز وجل ان يا مر عبده بما فيه صلاحه وينهاه عن ما فيه فساده اذن فامره بالتقوى وتاكيده عليها بهذه الكثرة فيه اسرار وانوار كثيرة تجعل العبد يعيش في جنة اينما كان ولكي تسرح في جنان التقوى فعليك بوصية الرسول الاعظمﷺ لابي ذر الغفاري وحاول ان تطبق(عمليا) ما جاء فيها ومن الله التوفيق.

(عن أبي الأسود قال قدمت الربذة فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه فحدثني أبو ذر قال دخلت ذات يوم في صدر نهاره

على رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجده فلم أر في المسجد أحدا من الناس إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام إلى جانبه جالس فاغتنمت خلوة المسجد فقلت يا رسول الله بأبي أنت و أمي أوصني بوصية ينفعني الله بها فقال نعم و أكرم بك يا أبا ذر إنك منا أهل البيت و إني موصيك بوصية فاحفظها فإنها جامعة لطرق الخير و سبله فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يراك و اعلم أن أول عبادة الله المعرفة به فهو الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله و الفرد فلا ثاني له و الباقي لا إلى غاية فاطر السموات و الأرض و ما فيهما و ما بينهما من شيء و هو الله اللطيف الخبير و هو على كل شيء قدير ثم الإيمان بي و الإقرار بأن الله تعالى أرسلني إلى كافة الناس بشيرا و نذيرا و داعيا إلى الله بإذنه و سراجا منيرا ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و اعلم يا أبا ذر أن الله عز و جل جعل أهل بيتي في أمتي كسفينة نوح من ركبها نجا و من رغب عنها غرق و مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمنا يا أبا ذر احفظ ما أوصيك به تكن سعيدا في الدنيا و الآخرة يا أبا ذر نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة و الفراغ يا أبا ذر اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك و غناك قبل فقرك و فراغك قبل شغلك و حياتك قبل موتك يا أبا ذر إياك و التسويف بعملك فإنك بيومك و لست بما بعده فإن يكن غد لك فكن في الغد كما كنت في اليوم و إن لم يكن غدا لم تندم على ما فرطت في اليوم يا أبا ذر كم من مستقبل يوما لا يستكمله و منتظر غدا لا يبلغه يا أبا ذر لو

نظرت إلى الأجل و مسيره لأبغضت الأمل و غروره يا أبا ذر كن كأنك في الدنيا غريب أو كعابر سبيل و عد نفسك من أصحاب القبور يا أبا ذر إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء و إذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح و خذ من صحتك قبل سقمك و من حياتك قبل موتك فإنك لا تدري ما اسمك غدا يا أبا ذر إياك أن تدركك الصرعة عند العثرة فلا تقال العثرة و لا تمكن من الرجعة و لا يحمدك من خلفت بما تركت و لا يعذرك من تقدم عليه بما اشتغلت به. يا أبا ذر كن على عمرك أشح منك على درهمك و دينارك يا أبا ذر هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا أو هرما مقعدا أو موتا مجهزا أو الدجال فإنه شر غائب ينتظر أو الساعة و الساعة أدهى و أمر إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه و من طلب علما ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنة يا أبا ذر من ابتغى العلم ليخدع به الناس لم يجد ريح الجنة يا أبا ذر إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل لا أعلمه تنج من تبعته و لا تفت بما لا علم لك به تنج من عذاب الله يوم القيامة يا أبا ذر يطلع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار و قد دخلنا الجنة بتأديبكم و تعليمكم فيقولون إنا كنا نأمر بالخير و لا نفعله يا أبا ذر إن حقوق الله جل ثناؤه أعظم من أن يقوم بها العباد و إن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد و لكن أمسوا و أصبحوا تائبين يا أبا ذر إنك في ممر الليل و النهار في آجال منقوصة و أعمال محفوظة و الموت يأتي بغتة و من يزرع خيرا يوشك أن يحصد خيرا و من يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة و

لكل زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء لحظة و لا يدرك حريص ما لم يقدر له و من أعطي خيرا فالله أعطاه و من وقي شرا فالله وقاه يا أبا ذر المتقون سادة و الفقهاء قادة و مجالستهم الزيادة إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه صخرة يخاف أن تقع عليه و إن الكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه يا أبا ذر إن الله تبارك و تعالى إذا أراد بعبد خيرا جعل ذنوبه بين عينيه ممثلة و الإثم عليه ثقيلا وبيلا و إذا أراد بعبد شرا أنساه ذنوبه يا أبا ذر لا تنظر إلى صغر الخطيئة و لكن انظر إلى من عصيته يا أبا ذر إن المؤمن أشد ارتكاضا من الخطيئة من العصفور حين يقذف به في شركه يا أبا ذر من وافق قوله فعله فذاك الذي أصابه حظه و من خالف قوله فعله فإنما يوبق نفسه يا أبا ذر إن الرجل ليحرم رزقه بالذنب يصيبه يا أبا ذر دع ما لست منه في شيء فلا تنطق بما لا يعنيك و اخزن لسانك.كما تخزن ورقك يا أبا ذر إن الله جل ثناؤه ليدخل قوما الجنة فيعطيهم حتى يملوا و فوقهم قوم في الدرجات العلى فإذا نظروا إليهم عرفوهم فيقولون ربنا إخواننا كنا معهم في الدنيا فبم فضلتهم علينا فيقال هيهات هيهات إنهم كانوا يجوعون حين تشبعون يظمئون حين تروون و يقومون حين تنامون و يشخصون حين تخفضون يا أبا ذر جعل الله جل ثناؤه قرة عيني في الصلاة و حبب إلي الصلاة كما حبب إلى الجائع الطعام و إلى الظمآن الماء و إن الجائع إذا أكل شبع و إن الظمآن إذا شرب روي و أنا لا أشبع من الصلاة يا أبا ذر أيما رجل تطوع في يوم و ليلة اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة كان له حقا واجبا بيت في الجنة يا أبا ذر إنك ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الجبار و من

يكثر قرع باب الملك يفتح له يا أبا ذر ما من مؤمن يقوم مصليا إلا تناثر عليه البر ما بينه و بين العرش و وكل به ملك ينادي يا ابن آدم لو تعلم ما لك في الصلاة و من تناجي ما انفتلت يا أبا ذر طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة يحملونها فيسبقون الناس إلى الجنة ألا هم السابقون إلى المساجد بالأسحار و غير الأسحار يا أبا ذر الصلاة عماد الدين و اللسان أكبر و الصدقة تمحو الخطيئة و اللسان أكبر و الصوم جنة من النار و اللسان أكبر و الجهاد نباهة و اللسان أكبر يا أبا ذر الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء و الأرض و إن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصره فيفزع لذلك فيقول ما هذا فيقال هذا نور أخيك فيقول أخي فلان كنا نعمل جميعا في الدنيا و قد فضل علي هكذا فيقال له إنه كان أفضل منك عملا ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن و جنة الكافر و ما أصبح فيها مؤمن إلا حزينا فكيف لا يحزن المؤمن و قد أوعده الله جل ثناؤه إنه وارد جهنم و لم يعده إنه صادر عنها و ليلقين أعراضا و مصيبات و أمورا تغيظه و ليظلمن فلا ينتصر يبتغي ثوابا من الله تعالى فلا يزال حزينا حتى يفارقها فإذا فارقها أفضى إلى الراحة و الكرامة يا أبا ذر ما عبد الله عز و جل على مثل طول الحزن يا أبا ذر من أوتي من العلم ما لا يبكيه لحقيق أن يكون قد أوتي علما لا ينفعه إن الله نعت العلماء فقال عز و جل ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذا يُتْلى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ سُجَّداً وَيَقُولُونَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولا وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً**﴾ يا أبا ذر من استطاع أن يبكي فليبك و من لم يستطع

فليشعر قلبه الحزن و ليتباك إن القلب القاسي بعيد من الله تعالى و لكن لا يشعرون يا أبا ذر يقول الله تعالى لا أجمع على عبد خوفين و لا أجمع له أمنين فإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة و إذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة يا أبا ذر لو أن رجلا كان له كعمل سبعين نبيا لاحتقره و خشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة يا أبا ذر إن العبد ليعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيمن ذنب ذنوبه فيقول أما إني كنت خائفا مشفقا فيغفر له يا أبا ذر إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها و يعمل المحقرات حتى يأتي الله و هو عليه غضبان و إن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها يأتي آمنا يوم القيامة يا أبا ذر إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقلت و كيف ذلك بأبي أنت و أمي يا رسول الله قال يكون ذلك الذنب نصب عينيه تائبا منه فارا إلى الله عز و جل حتى يدخل الجنة يا أبا ذر الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه و هواها و تمنى على الله عز و جل الأماني يا أبا ذر إن أول شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة و الخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعا يا أبا ذر و الذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله جناح بعوضة أو ذباب ما سقى الكافر منها شربة من ماء يا أبا ذر إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله و ما من شيء أبغض إلى الله تعالى من الدنيا خلقها ثم عرضها فلم ينظر إليها و لا ينظر إليها حتى تقوم الساعة و ما من شيء أحب إلى الله من الإيمان به و ترك ما أمر بتركه يا أبا ذر إن الله تبارك و تعالى أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام يا عيسى لا تحب الدنيا فإني لست أحبها و أحب الآخرة فإنما هي دار المعاد يا أبا ذر إن

جبرئيل عليه السلام أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء فقال لي يا محمد هذه خزائن الدنيا و لا تنقصك من حظك عند ربك فقلت حبيبي جبرئيل لا حاجة لي بها إذا شبعت شكرت ربي و إذا جعت سألته يا أبا ذر إذا أراد الله عز و جل بعبد خيرا فقهه في الدين و زهده في الدنيا و بصره بعيوب نفسه يا أبا ذر ما زهد عبد في الدنيا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه و أنطق بها لسانه و بصره بعيوب الدنيا و دائها و دوائها و أخرجه منها سالما إلى دار السلام يا أبا ذر إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه فإنه يلقن الحكمة فقلت يا رسول الله من أزهد الناس فقال من لم ينس المقابر و البلى و ترك فضل زينة الدنيا و آثر ما يبقى على ما يفنى و لم يعد غدا من أيامه و عد نفسه في الموتى. يا أبا ذر إن الله تبارك و تعالى لم يوح إلي أن أجمع المال إلى المال و لكن أوحى إلي أن سبح بحمد ربك و كن من الساجدين و اعبد ربك حتى يأتيك اليقين يا أبا ذر إني ألبس الغليظ و أجلس على الأرض و ألعق أصابعي و أركب الحمار بغير سرج و أردف خلفي فمن رغب عن سنتي فليس مني يا أبا ذر حب المال و الشرف أذهب لدين الرجل من ذئبين ضاريين في زرب الغنم فأغارا فيها حتى أصبحا فماذا أبقيا منها قال قلت يا رسول الله الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا أ هم يسبقون الناس إلى الجنة فقال لا و لكن فقراء المسلمين فإنهم يأتون يتخطون رقاب الناس فيقول لهم خزنة الجنة كما أنتم حتى تحاسبوا فيقولون بم نحاسب فو الله ما ملكنا فنجور و نعدل و لا أفيض علينا فنقبض و نبسط و لكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبنا

يا أبا ذر إن الدنيا مشغلة للقلوب و الأبدان و إن الله تبارك و تعالى سائلنا عما نعمنا في حلاله فكيف بما أنعمنا في حرامه يا أبا ذر إني قد دعوت الله جل ثناؤه أن يجعل رزق من يحبني كفافا و أن يعطي من يبغضني كثرة المال و الولد يا أبا ذر طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة الذين اتخذوا أرض الله بساطا و ترابها فراشا و ماءها طيبا و اتخذوا كتاب الله شعارا و دعاءه دثارا يقرضون الدنيا قرضا يا أبا ذر حرث الآخرة العمل الصالح و حرث الدنيا المال و البنون يا أبا ذر إن ربي أخبرني فقال و عزتي و جلالي ما أدرك العابدون درك البكاء و إني لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصرا لا يشركهم فيه أحد قال قلت يا رسول الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا و أحسنهم له استعدادا يا أبا ذر إذا دخل النور القلب انفسح القلب و اتسع قلت فما علامة ذلك بأبي أنت و أمي يا رسول الله قال صلى الله عليه وآله الإنابة إلى دار الخلود و التجافي عن دار الغرور و الاستعداد للموت قبل نزوله يا أبا ذر اتق الله و لا تر الناس أنك تخشى الله فيكرموك و قلبك فاجر يا أبا ذر ليكن لك في كل شيء نية صالحة حتى في النوم و الأكل يا أبا ذر لتعظم جلال الله في صدرك فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب اللهم اخزه و عند الخنزير اللهم اخزه يا أبا ذر إن لله ملائكة قياما من خيفة الله ما رفعوا رءوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة فيقولون جميعا سبحانك ربنا و بحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تعبد يا أبا ذر لو كان لرجل عمل سبعين نبيا لاستقل عمله من شدة ما يرى يومئذ و لو أن دلوا من غسلين صب في مطلع الشمس لغلت منه جماجم من في

مغربها و لو زفرت جهنم زفرة لم يبق ملك مقرب و لا نبي مرسل إلا خر جاثيا على ركبتيه يقول رب ارحم نفسي حتى ينسى إبراهيم إسحاق و يقول يا رب أنا خليلك إبراهيم فلا تنسني يا أبا ذر لو أن امرأة من نساء أهل الجنة أطلعت من سماء الدنيا في ليلة ظلماء لأضاءت الأرض أفضل مما يضيئها القمر ليلة البدر و لوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض و لو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه و ما حملته أبصارهم. يا أبا ذر اخفض صوتك عند الجنائز و عند القتال و عند القرآن يا أبا ذر إذا تبعت جنازة فليكن عقلك فيها مشغولا بالتفكر و الخشوع و اعلم أنك لاحق به يا أبا ذر اعلم أن كل شيء إذا فسد فالملح دواؤه فإذا فسد الملح فليس له دواء و اعلم أن فيكم قين الضحك من غير عجب و الكسل من غير سهو يا أبا ذر ركعتان مقتصدتان في التفكر خير من قيام ليلة و القلب ساه يا أبا ذر الحق ثقيل مر و الباطل خفيف حلو و رب شهوة ساعة توجب حزنا طويلا يا أبا ذر لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيكون هو أحقر حاقر لها يا أبا ذر لا تصيب حقيقة الإيمان حتى ترى الناس كلهم حمقى في دينهم و عقلاء في دنياهم يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فهو أهون لحسابك غدا و زن نفسك قبل أن توزن و تجهز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى منك على الله خافية يا أبا ذر استح من الله فإني و الذي نفسي بيده لا أزال حين أذهب إلى الغائط مقنعا بثوبي أستحي من الملكين الذين معي يا أبا ذر أ تحب أن تدخل الجنة قلت نعم فداك أبي قال صلى الله عليه وآله فأقصر من

الأمل و اجعل الموت نصب عينيك و استح من الله حق الحياء قال قلت يا رسول الله كلنا نستحي من الله قال ليس ذلك الحياء و لكن الحياء من الله أن لا تنسى المقابر و البلى و تحفظ الجوف و ما وعى و الرأس و ما حوى و من أراد كرامة الآخرة فليدع زينة الدنيا فإذا كنت كذلك أصبت ولاية الله يا أبا ذر يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح يا أبا ذر مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر يا أبا ذر إن الله يصلح بصلاح العبد ولده و ولد ولده و يحفظه في دويرته و الدور حوله ما دام فيهم يا أبا ذر إن ربك عز و جل يباهي الملائكة بثلاثة نفر رجل في أرض قفر. فيؤذن ثم يقيم ثم يصلي فيقول ربك للملائكة انظروا إلى عبدي يصلي و لا يراه أحد غيري فينزل سبعون ألف ملك يصلون وراءه و يستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم و رجل قام من الليل فصلى وحده فسجد و نام و هو ساجد فيقول الله تعالى انظروا إلى عبدي روحه عندي و جسده ساجد و رجل في زحف فر أصحابه و ثبت هو يقاتل حتى يقتل يا أبا ذر ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها يوم القيامة و ما من منزل ينزله قوم إلا و أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم يا أبا ذر ما من صباح و لا رواح إلا و بقاع الأرض ينادي بعضها بعضا يا جارة هل مر بك من ذكر الله تعالى أو عبد وضع جبهته عليك ساجدا لله فمن قائلة لا و من قائلة نعم فإذا قالت نعم اهتزت و انشرحت و ترى أن لها الفضل على جارتها يا أبا ذر إن الله جل ثناؤه لما خلق الأرض و خلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا

أصابوا منها منفعة فلم تزل الأرض و الشجر كذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الأرض و ذهبت منفعة الأشجار يا أبا ذر إن الأرض لتبكي على المؤمن إذا مات أربعين صباحا يا أبا ذر إذا كان العبد في أرض قفر فتوضأ أو تيمم ثم أذن و أقام و صلى أمر الله عز و جل الملائكة فصفوا خلفه صفا لا يرى طرفاه يركعون بركوعه و يسجدون بسجوده و يؤمنون على دعائه يا أبا ذر من أقام و لم يؤذن لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه يا أبا ذر ما من شاب ترك الدنيا و أفنى شبابه في طاعة الله إلا أعطاه الله أجر اثنين و سبعين صديقا يا أبا ذر الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين يا أبا ذر الجليس الصالح خير من الوحدة و الوحدة خير من جليس السوء و إملاء الخير خير من السكوت و السكوت خير من إملاء الشر يا أبا ذر لا تصاحب إلا مؤمنا و لا يأكل طعامك إلا تقي و لا تأكل طعام الفاسقين يا أبا ذر أطعم طعامك من تحبه في الله و كل طعام من يحبك في الله عز و جل. يا أبا ذر إن الله عز و جل عند لسان كل قائل فليتق الله امرؤ و ليعلم ما يقول يا أبا ذر اترك فضول الكلام و حسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك يا أبا ذر كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما يسمع يا أبا ذر ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان يا أ ذر إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم و إكرام حملة القرآن العاملين و إكرام السلطان المقسط يا أبا ذر ما عمل من لم يحفظ لسانه يا أبا ذر لا تكن عيابا و لا مداحا و لا طعانا و لا مماريا يا أبا ذر لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما ساء خلقه يا أبا ذر الكلمة الطيبة صدقة و

كل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة يا أبا ذر من أجاب داعي الله و أحسن عمارة مساجد الله كان ثوابه من الله الجنة فقلت بأبي أنت و أمي يا رسول الله كيف يعمر مساجد الله قال لا يرفع فيها الأصوات و لا يخاض فيها بالباطل و لا يشترى فيها و لا يباع فاترك اللغو ما دمت فيها فإن لم تفعل فلا تلومن يوم القيامة إلا نفسك يا أبا ذر إن الله تعالى يعطيك ما دمت جالسا في المسجد بكل نفس تنفست فيه درجة في الجنة و تصلي عليك الملائكة و يكتب لك بكل نفس تنفست فيه عشر حسنات و يمحى عنك عشر سيئات يا أبا ذر أ تعلم في أي شيء نزلت هذه الآية ﴿**اصْبِرُوا وصابِرُوا ورابِطُوا واتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ قلت لا أدري فداك أبي و أمي قال في انتظار الصلاة خلف الصلاة يا أبا ذر إسباغ الوضوء في المكاره من الكفارات و كثرة الاختلاف إلى المساجد فذلكم الرباط يا أبا ذر يقول الله تبارك و تعالى إن أحب العباد إلي المتحابون من أجلي المتعلقة قلوبهم بالمساجد و المستغفرون بالأسحار أولئك إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت العقوبة عنهم يا أبا ذر كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاث قراءة مصل أو ذكر الله أو سائل عن عل يا أبا ذر كن بالعمل بالتقوى أشد اهتماما منك بالعمل فإنه لا يقل عمل بالتقوى و كيف يقل عمل يتقبل يقول الله عز و جل﴿**إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه و من أين مشربه و من أين ملبسه أ من حل أم من حرام يا أبا ذر من لم يبال من أين يكتسب المال لم يبال الله عز و جل من أين أدخله

النار يا أبا ذر من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله عز و جل يا أبا ذر إن أحبكم إلى الله جل ثناؤه أكثركم ذكرا له و أكرمكم عند الله عز و جل أتقاكم له و أنجاكم من عذاب الله أشدكم له خوفا يا أبا ذر إن المتقين الذين يتقون من الشيء الذي لا يتقى منه خوفا من الدخول في الشبهة يا أبا ذر من أطاع الله عز و جل فقد ذكر الله و إن قلت صلاته و صيامه و تلاوته للقرآن يا أبا ذر ملاك الدين الورع و رأسه لطاعة يا أبا ذر كن ورعا تكن أعبد الناس و خير دينكم الورع يا أبا ذر فضل العلم خير من فضل العبادة و اعلم أنكم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا و صمتم حتى تكونوا كالأوتار ما ينفعكم ذلك إلا بورع يا أبا ذر إن أهل الورع و الزهد في الدنيا هم أولياء الله تعالى حقا يا أبا ذر من لم يأت يوم القيامة بثلاث فقد خسر قلت و ما الثلاث فداك أبي و أمي قال ورع يحجزه عما حرم الله عز و جل عليه و حلم يرد به جهل السفهاء و خلق يداري به الناس يا أبا ذر إن سرك أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله عز و جل و إن سرك أن تكون أكرم الناس فاتق الله و إن سرك أن تكون أغنى الناس فكن بما في يد الله عز و جل أوثق منك بما في يدك يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بالِغُ أَمْرِهِ**﴾. يا أبا ذر يقول الله جل ثناؤه و عزتي و جلالي لا يؤثر عبدي هواي على هواه إلا جعلت غناه في نفسه و همومه في آخرته و ضمنت السموات و الأرض رزقه و كففت عنه ضيقه و كنت له من وراء تجارة كل تاجر يا أبا ذر لو أن ابن آدم فر من رزقه كما يفر ن

الموت لأدركه كما يدركه الموت يا أبا ذر أ لا أعلمك كلمات ينفعك الله عز و جل بهن قلت بلى يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة و إذا سألت فاسأل الله عز و جل و إذا استعنت فاستعن بالله فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فلو أن الخلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتب لك ما قدروا عليه و لو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك ما قدروا عليه فإن استطعت أن تعمل لله عز و جل بالرضا في اليقين فافعل و إن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا و النصر مع الصبر و الفرج مع الكرب و إن مع العسر يسرا يا أبا ذر استغن بغنى الله يغنك الله فقلت و ما هو يا رسول الله قالصَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غداء يوم و عشاء ليلة فمن قنع بما رزقه الله فهو أغنى الناس يا أبا ذر إن الله عز و جل يقول إني لست كلام الحكيم أتقبل و لكن همه و هواه فإن كان همه و هواه فيما أحب و أرضى جعلت صمته حمدا لي و ذكرا و وقارا و إن لم يتكلم يا أبا ذر إن الله تبارك و تعالى لا ينظر إلى صوركم و لا إلى أموالكم و أقوالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم يا أبا ذر التقوى هاهنا و أشار إلى صدره يا أبا ذر أربع لا يصيبهن إلا مؤمن الصمت و هو أول العبادة و التواضع لله سبحانه و ذكر الله تعالى في كل حال و قلة الشيء يعني قلة المال يا أبا ذر هم بالحسنة و إن لم تعملها لكيلا تكتب من الغافلين يا أبا ذر من ملك ما بين فخذيه و بين لحييه دخل الجنة قلت يا رسول الله و إنا لنؤاخ بما تنطق به ألسنتنا قال يا أبا ذر و هل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد

ألسنتهم إنك لا تزال سالما ما سكت فإذا تكلمت كتب الله لك أو عليك. يا أبا ذر إن الرجل يتكلم بالكلمة في المجلس لينصحكم بها فهوى في جهنم ما بين السماء و الأرض يا أبا ذر ويل للذي يحدث و يكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ويل له يا أبا ذر من صمت نجا فعليك بالصدق و لا تخرجن من فيك كذبا أبدا قلت يا رسول اله فما توبة الرجل الذي كذب متعمدا قال الاستغفار و الصلوات الخمس تغسل ذلك يا أبا ذر إياك و الغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا قلت يا رسول الله و لم ذلك بأبي أنت و أمي قال لأن الرجل يزني و يتوب إلى الله فيتوب الله عليه و الغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها يا أبا ذر سباب المؤمن فسوق و قتاله كفر و أكل لحمه من معاصي الله و حرمة ماله كحرمة دمه قلت يا رسول الله و ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره قلت يا رسول الله فإن كان فيه ذاك الذي يذكر به قال اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته و إذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته يا أبا ذر من ذب عن أخيه المسلم الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار يا أبا ذر من اغتيب عنده أخوه المسلم و هو يستطيع نصره فنصره نصره الله عز و جل في الدنيا و الآخرة فإن خذله و هو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا و الآخرة يا أبا ذر لا يدخل الجنة قتات قلت و ما القتات قال النمام يا أبا ذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله عز و جل في الآخرة يا أبا ذر من كان ذا وجهين و لسانين في الدنيا فهو ذو لسانين في النار يا أبا ذر المجالس بالأمانة و إفشاء سر أخيك خيانة فاجتنب ذلك و اجتنب مجلس العشيرة يا أبا ذر تعرض أعمال أهل الدنيا على الله من الجمعة إلى الجمعة

في يوم الإثنين و الخميس فيستغفر لكل عبد مؤمن إلا عبدا كانت بينه و بين أخيه شحناء فيقال اتركوا عمل هذين حتى يصطلحا يا أبا ذر إياك و هجران أخيك فإن العمل لا يتقبل مع الهجران يا أبا ذر أنهاك عن الهجران و إن كنت لا بد فاعلا تهجره فوق ثلاثة أيام.كملا فمن مات فيها مهاجرا لأخيه كانت النار أولى به يا أبا ذر من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار يا أبا ذر من مات و في قلبه مثقال ذرة من كبر لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك فقال رجل يا رسول الله إني ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاقة سوطي و قبال نعلي حسن فهل يرهب على ذلك قال كيف تجد قلبك قال أجده عارفا للحق مطمئنا إليه قال ليس ذلك بالكبر ولكن الكبر أن تترك الحق و تتجاوزه إلى غيره و تنظر إلى الناس و لا ترى أن أحدا عرضه كعرضك و لا دمه كدمك يا أبا ذر أكثر من يدخل النار المستكبرون فقال رجل و هل ينجو من الكبر أحد يا رسول الله قال نعم من لبس الصوف و ركب الحمار و حلب الشاة و جالس المساكين يا أبا ذر من حمل بضاعته فقد برئ من الكبر يعني ما يشتري من السوق يا أبا ذر من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله عز و جل إليه يوم القيامة يا أبا ذر إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه و لا جناح عليه فيما بينه و بين كعبيه يا أبا ذر من رفع ذيله و خصف نعله و عفر وجهه فقد برئ من الكبر يا أبا ذر من كان له قميصان فليلبس أحدهما و ليلبس الآخر أخاه يا أبا ذر سيكون ناس من أمتي يولدون في النعيم و يغذون به همتهم ألوان الطعام و الشراب و يمدحون بالقول أولئك شرار أمتي يا أبا ذر من ترك

لبس الجمال و هو يقدر عليه تواضعا لله عز و جل في غير منقصة و أذل نفسه في غير مسكنة و أنفق ما جمعه في غير معصية و رحم أهل الذل و المسكنة و خالط أهل الفقه و الحكمة طوبى لمن صلحت سريرته و حسنت علانيته و عزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه و أنفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله يا أبا ذر البس الخشن من اللباس و الصفيق من الثياب لئلا يجد الفخر فيك مسلكا يا أبا ذر يكون في آخر الزمان قوم يلبسون الصوف في صيفهم و شتائهم يرون أن لهم الفضل بذلك على غيرهم أولئك تلعنهم ملائكة السموات و الأرض يا أبا ذر أ لا أخبرك بأهل الجنة قلت بلى يا رسول الله قالﷺ كل أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره. قال أبو ذر رضي الله عنه و دخلت يوما على رسول اللهﷺ و هو في المسجد جالس وحده فاغتنمت خلوته فقالﷺ يا أبا ذر إن للمسجد تحية قلت و ما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما ثم التفت إليه فقلت يا رسول الله أمرتني بالصلاة فما الصلاة قال الصلاة خير موضوع فمن شاء أقل و من شاء أكثر قلت يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله عز و جل قالﷺ الإيمان بالله ثم الجهاد في سبيله قلت يا رسول الله أي المؤمنين أكمل إيمانا قالﷺ أحسنهم خلقا قلت و أي المؤمنين أفضل قالﷺ من سلم المسلمون من لسانه و يده قلت و أي الهجرة أفضل قالﷺ من هجر السوء قلت و أي الليل أفضل قالﷺ جوف الليل الغابر قلت فأي الصلاة أفضل قالﷺ طول القنوت قلت فأي الصوم أفضل قالﷺ فرض مجزئ و عند الله

أضعاف ذلك قلت فأي الصدقة أفضل قال ﷺ جهد من مقل إلى فقير في سر قلت و أي الزكاة أفضل قال ﷺ أغلاها ثمنا و أنفسها عند أهلها قلت و أي الجهاد أفضل قال ﷺ ما عقر فيه جواده و أهريق دمه قلت و أي آية أنزلها الله عليك أعظم قال ﷺ آية الكرسي قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم عليه السلام قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المسلط المبتلى إني لم أبعثك لتجتمع الدنيا بعضها على بعض و لكني بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فإني لا أردها و إن كانت من كافر أو فاجر فجوره على نفسه و كان فيها أمثال و على العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يناجي فيها ربه و ساعة يفكر فيها في صنع الله تعالى و ساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم و أخر و ساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال من المطعم و المشرب و على العاقل أن يكون ظاعنا إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم و على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شأنه حافظا للسانه و من حسب كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام قال ﷺ كانت عبرا كلها عجب لمن أيقن بالنار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجب لمن أبصر الدنيا و تقلبها بأهلها حالا بعد حال ثم هو يطمئن إليها عجب لمن أيقن بالحساب غدا ثم لم يعمل قلت يا رسول الله فهل في الدنيا شيء مما كان في صحف إبراهيم و موسى عليه السلام مما أنزله الله عليك قال ﷺ اقرأ يا أبا ذر ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا والآخِرَةُ خَيْرٌ وأَبْقى**﴾ إِنَّ هذا

يعني ذكر هذه الأربع الآيات لَفِي الصُّحُفِ الأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ ومُوسى قلت يا رسول الله أوصني قال أوصيك بتقوى الله فإنه رأس أمرك كله فقلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله عليك بتلاوة القرآن و ذكر الله عز و جل فإنه ذكر لك في السماء و نور في الأرض قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله عليك بالجهاد فإنه رهبانية أمتي قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله عليك بالصمت إلا من خير فإنه مطردة للشيطان عنك و عون لك على أمور دينك قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله إياك و كثرة الضحك فإنه يميت القلب و يذهب بنور الوجه قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله انظر إلى من هو تحتك و لا تنظر إلى من هو فوقك فإنه أجدر أن لا تزدري نعمة الله عليك قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله صل قرابتك و إن قطعوك و أحب المساكين و أكثر مجالستهم قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله قل الحق و إن كان مرا قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله لا تخف في الله لومة لائم قلت يا رسول الله زدني قال صلى الله عليه وآله يا أبا ذر ليردك عن الناس ما تعرف من نفسك و لا تجر عليهم فيما تأتي فكفى بالرجل عيبا أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه و يجر عليهم فيما يأتي قال ثم ضرب على صدري و قال يا أبا ذر لا عقل كالتدبير و لا ورع كالكف عن المحارم و لا حسب كحسن الخلق).

الملحق الثالث

الغرب والامام المهدي عليه السلام[1]

يعيش العالم اليوم أزمة خانقة تتجلى في الرعب والقلق والخوف الذي يستولي عليه من المستقبل وتراه يبحث عن السعادة فلا يجدها رغم ان شعوبا عديدة في بلاد الغرب تتمتع برفاهية مادية عالية الا ان اعلى مستويات الجريمة والانتحار والأمراض الصحية والاجتماعية الفتاكة تتواجد فيها وهذا كله نتيجة طبيعية للابتعاد عن المنهج الالهي والاعراض عن الالتزام بشريعة الله تبارك وتعالى وهي سنة الهية جارية في مخلوقاته، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا﴾(٢) أي ضيقة خانقة وقال: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾(الزخرف:٣٦) فاي حياة بائسة سيفرضها هذا الشيطان على قرينه.

وهذه الحالة من البؤس والتعاسة التي جعلت البشرية تتوقع اليوم اكثر من ذي قبل، قبل ظهور المصلح العظيم الذي يتكفل باقامة دولة الحق لان

---

(١) كلمة القيت بالنيابة عن سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي(دام ظله) في الحفل الذي اقامته كلية التربية للبنات جامعة الكوفة بمناسبة ذكرى مولد الامام المهدي عليه السلام في النصف من شعبان عام ١٤٢٤هـ

(٢) طه: من الآية ١٢٤.

جميع الديانات السماوية تبشر بمثل هذا اليوم الا ان أتباع كل ديانة يقولون انه منهم ونسمع اليوم ان العالم المسيحي يبشر اليوم بقرب ظهور المنقذ وتباع الان في أوربا بطاقات المراهنة على ذلك.

لكن اعتقادهم ناشيء من عنجهيتهم واستكبارهم واستعلائهم على الآخرين والا فان كتبهم صريحة في انه من ذرية نبي آخر الزمان ومن ولد اسماعيل الذبيح وليس من إسرائيل يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام وما مجيء أساطيلهم وعدتهم وعددهم الا لمواجهة هذا الرجل الذي سينطلق من هذه الارض المباركة ليفتح العالم وهم لا يعلمون انه ربما كان الآن يعيش بين ظهرانيهم ومطلع على أساليب عملهم ومكائن القوة عندهم وليعرف أصحابه السبيل الى تعطيل كل هذه القوة بأيسر السبل وقد قدم أحد الاخوة أطروحة لدعم هذه الفكرة فان بعض الروايات تقول انه حين الظهور تشرق الشمس من الغرب وقد وصفت روايات اخرى الامام عليه السلام بانه كالشمس التي جللها السحاب فما المانع ان يكون شروق الشمس بمعنى ظهور الامام عليه السلام وبزوغ نوره من الغرب أي ان قدومه يكون من هناك ويؤيد هذه الفكرة ان للإمام عليه السلام شبهاً بعدد من الأنبياء ومنهم موسى الكليم عليه السلام ومن وجوه تشابهه معه أن فرعون الذي علا في البلاد واستكبر وأخذ يذّبح أبناء بني إسرائيل ويستحي نسائهم خوفاً من الوليد المنتظر الذي تناقلت الأخبار ان نهاية ملكه على يديه وإذا به نفسه يتولى رعاية هذا المولود وخدمته ليتحقق بالارادة الالهية ما كان يخشاه فربما كانت

القوى المستكبرة في الغرب كفرعون هي التي تتولى رعاية الإمام واصحابه فيتنعمون بخيراتها، واذكر شاهدين على كيفية انهيار هذه القوى المستكبرة التي تحاول ان تظهر عظمتها وجبروتها وبأيسر السبل عندما يأذن الله تبارك وتعالى.

الاول: ما رأيناه من تفكك الاتحاد السوفيتي وذوبانه من دون تعرضه لاي هجوم خارجي بعد ان كان قوة عظمى كما يصفونها تقف في مقابل حلف شمال الاطلسي كله، لكن هذه القوة تلاشت بفعل ضعفها الحقيقي وكمون عوامل الفناء فيها بسبب ابتعادها بل محاربتها الشريعة الالهية واندثرت معها كل الافكار التي كانت تبشر بها وتخدع الناس بالسعادة التي توفرها لها.

الثاني: مشكلة الصفرين التي أرعبت العالم المتقدم في التكنلوجيا حتى استعد لحرب النجوم لكن غفلة بسيطة كادت تودي بكل مشاريعه وذلك حينما كان يؤرخ للسنين وينظم برامجه على ذكر اول مرتبتين فيشير للسنة ١٩٩٨ بـ ٩٨ ولم يصحُ الا على خطر مرعب في نهاية عام ١٩٩٩ حيث ان انقلاب(٩٩) الى الصفرين يعني العودة الى سنة ١٩٠٠ وليس الانتقال الى عام ٢٠٠٠ فارتبكت الحسابات المصرفية ومواعيد الرحلات وغيرها والأخطر من ذلك نظام الاسلحة الاستراتيجية والعابرة للقارات وحبست الدول انفاسها وحشدت قواتها ومعداتها خشية وقوع الكارثة في ساعة الصفر من ليلة ٢٠٠٠/١/١ وبذلت المليارات من اجل تجنبها وشاء الله تبارك

وتعالى ان يدفع عنها البلاء الذي كاد ان يدمرها بسبب غفلة بسيطة فكانت موعظة الهية لعلها تتخلى عن جبروتها وطغيانها المصطنع ولكنه لم تستفد من هذا الدرس ومن غيره كما هو شان المستكبرين.

وترى شعوب الغرب نفسها الان تتذمر وتخرج بمظاهرات للاعتراض على سياسات حكّامها هذا وهم متنعمون بما توفره لهم حكوماتهم وغارقون في الماديات واللهو والمتعة التي تقسي القلب وتمنع من التوصل الى حقائق الامور فكيف لو التفتوا الى حقيقة حالهم في الحاضر والمستقبل خصوصا بعد الموت وفي الآخرة اذا بعثوا للحساب ونشرت أعمالهم.

وهاهم مثقفوهم ومفكروهم ينادون بان الحل الوحيد لهذا الضياع وعلاج الامراض الفتاكة كالايدز هو العودة الى القيم الروحية والالتزام بها وتربية الناس على الاخلاق الفاضلة ان هذه كلها ارهاصات ومقدمات الظهور الميمون المبارك لاقامة دولة العدل وما علينا الا التمسك بديننا القويم وتجسيد مبادئه الالهية الكفيلة لتوفير السعادة للانسان في الدارين حتى يقتنع الاخرون بان الحل الوحيد لعلاج البشرية هو الاسلام، وإذا أساء بعض من انتسب اليه وحُسِبَ عليه فالذنب ذنبه وليس ذنب الشريعة الالهية.

الملحق الرابع

اليوم الموعود اصبح قريبا[1]

ان اليوم الموعود للظهور المبارك قد قرب بشكل ملحوظ وقد تحققت علاماته والاهم من ذلك توفر شروطه فان العلامات قد يحصل فيها البداء كما إنها واردة بألفاظ مجملة ورمزية وقابلة للانطباق على كثيرين فالمهم مراعاة الشروط لان الشرط جزء من أجزاء العلة التامة فلابد من اكتمالها ولا أريد الدخول في بيان التفاصيل فإنها موكولة إلى كتاب شكوى الإمام عليه السلام شروط ظهور الإمام عليه السلام بنحو الإجمال.

اذكر باختصار بعض ما يتعلق بالمقام فان من شروط الظهور:-

١ـامتلاء الأرض بالظلم والجور والتعسف والعدوان وهو ما بدا واضحاً بعد انفراد الولايات المتحدة كقوة عظمى وحيدة في العالم وازداد وضوحا بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام(٢٠٠١) حيث أظهرت امريكا ومن ورائها الصهيونية من الظلم ما لم يسبق له مثيل ولم يسلم من قنابلهم لا

(١) مقتبس من كتاب نحن والغرب. وهذه الشروط من الامور المهمة التي لابد لخطيب المنبر التنبيه عليها وتهيئة الناس واعدادهم لنصرة الامام عليه السلام.

المسجد ولا المستشفى ولا سيارات الإسعاف ولا السجون ولا النساء ولا الشيوخ وقتل الأطفال وهم في أحضان آباءهم ودمرت البيوت واقتلعت الأشجار وحوصر الأبرياء ونشروا المواد التي تسبب الأمراض الخبيثة واعتقد ان الشواهد الكثيرة على كل ذلك حاضرة في أذهانكم ولازالوا مكشرين عن أنيابهم لافتراس كل من ليس معهم ولا يخضع لأرادتهم ولا يركع لهم.

٢ـ وصول الإسلام والمذهب الحق إلى كل بقعة من بقاع الأرض وآخر معقل اقتحمه الإسلام هو الولايات المتحدة نفسها فقد اجري في فيها استطلاع للرأي العام قبل مدة للإجابة عن سؤال ماذا تعرف عن الإسلام؟ فأجابت الأغلبية لا نعرف شيئا.

أما الآن فقد حصل إقبال على الإسلام بشكل لا نظير له ونفذت الكتب التي تتحدث عن الإسلام بالإيجاب أو السلب ـ أي كتاب فيه عن الإسلام اقتناه الأمريكيون ـ وازداد عدد المسلمين في أمريكا بعد أحداث ١١ـ٩ـ ٢٠٠١ الى أربعة أضعاف وفق ما أعلنته إحدى المؤسسات المتخصصة في الموضوع واضطر الرئيس الأمريكي نفسه ان يبين محاسن الإسلام وفضائله وارتباطه بالله بعد ان كانوا يشوهون صورته ويظهرونه وكأنه دين بداوة وتخلف.

وكل هذا الانتشار للإسلام ليس بفضل جهود المسلمين مع الآسف

وانما لعظمة مبادئ الإسلام و أحكامه فهو بنفسه ينتشر فبالرغم من حاجته لابنائه الا انه إذا قصر المسلمون فانه يمشي بنفسه أما المسلمون فهم ثمانية ملايين في أمريكا لم يحملوا همّ الإسلام مع الأسف وعاشوا أنانيتهم ولم يعملوا لإيصال صوته إلا بمقدار بعض الشكليات البسيطة يصلون ويصومون وغير ذلك أما اليهود فهم ستة ملايين وهم اقل عددا من المسلمين ولكنهم مسيطرون على السياسة والاقتصاد والإعلام وكل شيء في حياة الأمريكيين.

٣ ـ وصول عدد معتد به من المسلمين الى درجة التضحية الكاملة في سبيل الإسلام وهو ما لم يكن معهوداً من قبل واوضح دليل على ذلك الاستشهاديين الفلسطينيين الذين أذاقوا الصهاينة الرعب وهم بذلك يعيدون ذكرى اعظم استشهاديين في التاريخ وهم أصحاب الحسين عليه السلام حيث كان الواحد منهم يقذف نفسه وسط سبعين ألفا ويريهم العجائب من الشجاعة حتى يقضي شهيدا وهذا المستوى من التضحية والإقدام على الموت بشكل اختياري وبكل سرور ينتظره الإمام من أنصاره ليستطيع بهم فتح العالم.

٤ ـ انتشار الوعي الديني في المجتمع وعودة الناس الى ربهم ودينهم والتفاتهم الى تطبيق الحكم الشرعي في كل تفاصيل الحياة وما كان مثل هذا من قبل بل كان المتدينين قلة قليلة ويتحاشون إظهار ذلك لان المتدين يوصف بالرجعية والتخلف.

٥ ـ مرور المجتمع بألوان من الابتلاءات التي يعجز عن تحملها الكثير وخصوصا المجتمع العراقي بعد الحصار الجائر والعدوان الغربي المستمر وخروجه من جميع هذه الامتحانات ناجحا من خلال التمسك بدينه والولاء لأئمته عليهم السلام ولعمري ان العراق يثبت جدارته لاحتضان الإمام الموعود عليه السلام واستعداده الكامل لتحمل كل أنواع الصعوبات معه وهذا سر المعاناة التي يمر بها مجتمعنا لانه المجتمع الذي يحتضن الامام لا ما يشاع من ان العراقي مستحق للعذاب لخبث افعاله وسوء معدنه فهذه فكرة أنشأها فينا اعدائنا ليفقدونا الثقة بأنفسنا وإلا فقد جرب الذين اختلطوا بمختلف الشعوب ان العراقيين هم أطيب قلبا واكرم اخلاقا واكثر استجابة لداعي الدين والتمسك به فهذه الشروط الخمسة التي اختصرناها لكم.

الفهرس

الكتاب الأول شكوى القرآن

الكتاب الثاني: شكوى المسجد

الفصل الرابع
تكاليفنا تجاه المساجد من القرآن والسنة الشريفة

الفصل الخامس
المسجد والحوزة العلمية

الفصل السادس
أحكام المساجد وآدابها

الكتاب الثالث: شكوى الامام

الشكوى الأولى: الجهل بقضيته عليه السلام

الشكوى الثانية: الابتعاد عما كان عليه السلف الصالح

الشكوى الثالثة

الاهتمام بالعلامات اكثر من الشروط وفتنة المادية الغربية

الشكوى الرابعة: حبس الحقوق الشرعية

الشكوى الخامسة: عدم اجتماع قلوب شيعته

الملاحق



اسم المؤلف: الشيخ محمد اليعقوبي

عنوان الكتاب: ثلاثة يشكون

الناشر: مؤسسة البديل للدراسات والنشر

طباعة وتوزيع: دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر

الطبعة: الأولى - السنة: ٢٠٠٩م - ١٤٣٠هـ



مؤسسة البديل للدراسات والنشر

بيروت - طريق المطار - سنتر الساحل - بلوك (أ) الطابق (٤)

هـ بيروت/ ٧٠٢٥٨٢٢٦ ٠٠٩٦١ هـ العراق ٠٠٩٦٤٧٨٠٥٥٦٦٩٠٩

البريد الالكتروني aram_1430@yahoo.com

دار المتقين

للثقافة والعلوم والطباعة والنشر

بيروت - طريق المطار - سنتر الساحل - بلوك (ب) الطابق (٣)

هـ ٧٠٦٣٧٧٤٦ - ٠٣٩٥٣٦٢٢ (٠٠٩٦١)

العراق: ٠٠٩٦٤٧٨٠٦٣٠٦٣٨٦

البريد الالكتروني: daralmotkin@yahoo.com

يطلب الكتاب في الخليج والمعارض الدولية من

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر والتوزيع

هـ / ٠٣٢٥٧٩٨٤ - ٠١٥٥٣٤٥٦ ص.ب ٢٥/١١٧ غبيري بيروت
